جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية

أبو منصور الثعالبي

وآثاره الأدبية

رسالة ماجستير
مقدمة لكلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد

حسين محمد سعيد عبد الحليم

إشراف
الأستاذ الدكتور

حسن جاد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

:: مقدمة ::

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فقد جاء القرن الرابع الهجري بعد أن بلغت الحضارة العربية قمتها في العلم والمعرفة والثقافة والحضارة ، وبعد أن بلغ النقد الأدبي عند الآمدي وأمثاله ذروته الفنية ، وموضوعيته المنهجية ،وآتت الثقافة العربية ثمارها من الكتب الأدبية واللغوية بما قيض الله لها من أعلام استوعبوا الثقافة العربية الأصيلة ، وتمثلوا الثقافات الأجنبية الوافدة ، ووقفوا على الصراع الذي دار بين الثقافتين ،مما أثار المعارك الأدبية بين أنصار القديم وأنصار الحديث على نحو ما نعرف من الخصومات بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام ، تلك الخصومات التي أثمرت كتاب الموازنة للآمدي ، وعلى نحو ماعرفنا من الصراع بين أنصار المتنبي وخصومه ، ذلك الصراع الذي أثمر كتاب الوساطة للجرجاني في القرن الرابع .

وهكذا توالت الجهود في تأليف كتب الأدب والنقد والموازنة وغيرها من كتب العلم والمعرفة والتراجم والطبقات في شتى نواحي المعرفة ، وانتهى ذلك كله الى القرن الرابع الذي وعى هذه الثقافات والمؤلفات .

وكان من أعلام هذا القرن الأديب الشاعر الناقد اللغوي الاخباري أبو منصور الثعالبي الذي استوعب كل ماانتهى اليه من ذلك التراث الأصيل والوافد ،والذي منحه الله موهبة البيان ، وسعة العلم ، وذكاء القلب ، وسلامة الفطرة ،ودقة الحس ،ورقة الشعور ، فألف في معظم الفنون ، وكتب في كثير من ألوان الأدب والمعرفة ،حتى بلغت كتبه اكثر من مائة كتاب في الأدب واللغة والامثال والأخبار والتراجم ونحو ذلك .

وقراء العربية يعرفون هذا الرجل من خلال أشهر كتبه : (اليتيمة ـ فقه اللغة ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ التمثيل والمحاضرة ـ خاص الخاص ـ لطائف المعارف) .

وهكذا اجتذبتنى شخصية هذا الرجل ، وأغرتنى بصحبته ومعايشته ودراسة أدبه ، والوقوف على آثاره ، وتسجيل ذلك كله فى هذا البحث .

وحسب الثعالبى أن يطلق عليه (جاحظ نيسابور) ، ولا غرابة فى اطلاق هذا اللقب عليه ، فهو لا يكاد يقل عن (جاحظ البصرة) سعة علم ، وغزارة معرفة ، وتنوع ثقافة ، وامتلاكا لناصية البيان فى سجاحة اسلوب ، ونصوع ديباجة وإشراق تعبير .

ولكن هذا الرجل على ذلك لم ينل حظه من دراسة الباحثين ، وعناية الكاتبين ، واهتمام الادباء ، على الرغم مما أثرى به المكتبة العربية ، واضافة الى تراثها المجيد .

ومن هنا صحبت الرجل ، وعكفت على دراسة آثاره التى تتيح لمن يتمثلها ويستوعبها الوقوف على جوانبه المتعددة ، واستظهار شخصيته العلمية والأدبية .

على أن دراسة هذه الشخصية وجوانبها المتعددة تلقى الأضواء الكاشفة على التاريخ الأدبى لهذا العصر الزاهر ، وتمثل لنا حلقة لها شأنها فى سلسلة الأدب العربى فى النصف الثانى من القرن الرابع والربع الأول من القرن الخامس بوجه خاص وفى سلسلة الأدب العربى فى مختلف العصور بوجه عام .

وقد سلكت فى دراستى للثعالبى هذا المنهج التالى :

الباب الأول :

وقد خصصته لدراسة عصره وحياته وثقافته ، حيث عرضت فى الفصل الأول صورة لعصره من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية .

وفى الفصل الثانى ترجمت لحياته ونشأته محققا مولده ووفاته من خلال الآراء التى أثيرت حول ذلك .

ثم بينت فى الفصل الثالث ثقافته ومصادرها والمؤثرات التى أثرت فيه وكونت شخصيته .

الباب الثانى :

وقد خصصته لدراسة أدبه ، ففى الفصل الأول درست شعره ، وأوضحت خصائصه

الفنية ،وقومته تقويما نقديا معتمدا على ذوقي الخاص ،واجتهادي الشخصي . وفي الفصل الثاني درست نثره دراسة فنية مبينا خصائصه وطريقته فيه ،موضحا ملامح الاسلوب الجاحظي في هذا النثر .

أما الفصل الثالث فقد خصصته للثعالبي الناقد ،حيث رصدت آثاره النقدية ، وما تناوله من قضايا سبق بها ،وما ابتدعه من آراء تمثل ذوقه الفني الخاص ،ورأيه الشخصي الذي تفرد به .

أما الفصل الرابع فقد أوضحت فيه مكانة الثعالبي في عالم الأدب والنقد ،حيث سجلت آراء النقاد فيه ،ونظرتهم اليه ،وحكمهم عليه ،وبهذا الفصل تتضح مكانته العلمية والأدبية .

الباب الثالث :

وقد خصصته لآثاره ومؤلفاته ،حيث عرضت لكل ماألفه في فنون العلم واللغة والأدب والتاريخ والاخبار والتراجم والأمثال ،وغير ذلك مما تتبعته في جميع المصادر التي سجلت كتبه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة ،ماعرف منها ومالم يعرف . ثم اخترت خمسة كتب من أشهر ماألف للدراسة التفصيلية التي كشفت فيها عن موضوع كل كتاب ومنهجه وطريقته وقيمته ،وهي دراسة اعتمدت في معظمها على مجهودي الخاص، وكشفت فيها عن جوانب هذه الشخصية الفذة ،ومكانتها في عالم الأدب العربي ، وجعلت لكل كتاب فصلا خاصا به .

وهكذا عشت مع الثعالبي في آثاره ، كما صحبته في دراسة حياته وأدبه محللا ، مستوعبا ،مستنبطا ،كاشفا لكثير من الجوانب التي كانت مجهولة لدى قراء العربية .

هذا هو جهدي الذي بذلته في أمانه واخلاص ،ويعلم الله ماعانيته من المصاعب لقلة المراجع ،وندرة ماكتب عن الرجل .

ولست أدعي أني وفيت جاحظ نيسابور حقه من الدراسة ،فلم أترك بعدي زيادة لمستزيد ،فذلك مالا يستطيع أن يدعيه أحد في أي عمل من الأعمال ،اذ الكمال لله وحده ،فان ماكتبته عن هذا الحافظ الأمين لذلك التراث الضخم ماهو الا غيض

من فيض ،فقد كان علما من أعلام الأمة العربية ،أحب القرآن الكريم ،واكثر من الاستشهاد بآياته ،وضمنها شعره ونثره وجميع مؤلفاته ،لأنه أحب العربية التي نزل بها القرآن ،وترك لنا من الأثر ماسيظل قبسا هاديا ،يستضيء به عشاق المعرفة وطلاب العلم ،والله ولي التوفيق .

* * *

:: البـــــاب الأول ::

عصر الثعالبي وحياتـــــه

:: الفصـــــل الأول ::

عصر الثعالـــــــبي

- ١ -

عاش الثعالبي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس " ٣٥٠ - ٤٢٩ هـ " بعد أن سقطت بغداد في ايدى البويهيين وتوزع الحكـــم والسلطان وأنقسم العالم الاسلامي الى دويلات .

والقرن الرابع الذى ولد وعاش فيه صاحبنا الثعالبي " يعد في طليعة قـــرون الخصب والسعة في تاريخ هذه الأمة في ميادين العلم ومجالات التفكير " (١)

وقد بلغ العلم فيه أوجه بعد أن تمكنت أسبابه في عصرين سبقا هذا العصـــر . هما " العصر العباسى الأول الذى بدأ بولاية العباسيين الأمر وانتهى بولايـــة المتوكل على الله العباسى . وفيه هيأ العباسيون أسباب الثراء والسيادة . وفيــه كانت نشأة كثرة من العلوم الاسلامية وفيه حفلت دور الخلفاء بالأدباء والعلمـــاء والشعراء . ثم العصر العباسى الثانى الذى بدأ بخلافة المتوكل على الله العباسى وانتهى بظهور الدولة البويهية . وفيه استبد الأتراك بالأمر فحوقوا الحضارة شيئا ما . وكادت أن تدرس على أيديهم لولا بقية من تلك الجذور الأولى دفينه حتى اذا مـــا أشرقت عليها شمس ذلك العصر الثالث امتدت وربت وكانت لها تلك الثمار الطيبـــة . وكما كان العصر الأول عصر بسطة في السلطان . كان هذا العصر الثالث عصر بسطة في العلم . ففيه بلغ النضج العلمى غايته .

" ولقد كان سلاطين الدولة البويهية مقبلين على العلم والأدب . لا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب فكان من وزرائهم وعمالهم وقضاتهم وكتابهم : ابن العميد والصاحب بن عباد وسابور ابن اردشير والمهلبى . هذا الى أنه كان من سلاطين آل بويه انفسهم من ذاع صيته في الأدب والشعر " (٢) فكان عضد الدولـــة

---

(١) الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم ص ٦ .
(٢) لطائف المعارف - مقدمة المحققين .

(سنة ٣٧٢ هـ) مشاركا في فنون من الأدب فقرب اليه العلماء والكتاب . وقد ألف ابو اسحق الصابي كتابه (التاجي) في أخبار آل بويه واتصل ببلاط هذا الخليفة جمهرة من الشعراء منهم : المتنبي والسلامي ، ولقد بلغ به شغفه بالشعر أن لو كان المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الأنباري التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات * لعمرك تلك احدى المعجزات

وكان هو نفسه ينظم الشعر "(١) وقد ذكر له الثعالبي في كتابه "يتيمة الدهر" شيئا من شعره .

كما كان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ ــ ٣٥٧ هـ) شاعرا ، وكذلك كان تاج الدولة .

وكان الى جوار الدولة البويهية في العراق وفارس وخراسان ، الدولة السامانية في تركستان تزخر بخاري بالأدباء والعلماء والشعراء ، وتفيض نيسابور المدينة التي ولد فيها الثعالبي بالمدارس . ونيسابور ورد ذكرها في " الموسوعة العربية الميسرة " بأنها مدينة (٢٤٢٧٠ نسمة) شرق ايران ، شيدت في مكان مدينة ساسانية قديمة ، كانت قاعدة الدولة الطاهرية (القرن التاسع) ولد ودفن بها عمر الخيام وهي بلد أبي الفضل احمد بن محمد النيسابوري الملقب بالميداني صاحب كتاب مجمع الأمثال ، وأبي منصور الثعالبي . "(٢)

ويقول ياقوت الحموي في " معجم البلدان " "نيسابور : بفتح أوله ، والعامة يسمونه نيشابور وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمه معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها . "(٣)

وأورد ذكرها شهاب الدين النويري في " نهاية الأرب " قال " حكى عن عمر ابن الليث الصفار أنه كان يقول : كيف لا أقاتل عن بلدة حشيشها الريباس وترابها النقل وحجرها الفيروزج "(٤)

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص٤ (٢) الموسوعة العربية الميسرة/ ص ١٨٦٦
(٣) معجم البلدان /المجلد الثاني / ص ٣٥٦
(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب/ السفر الأول/ ص ٣٦٣

ونيسابور عاصمة جزء من أربعة أجزاء من اقليم خراسان وما وراء نهر جيحون . وهذا الاقليم الواسع ازدهر فى عهد الدولة السامانية وعظم حتى امتد من الصحراء الكبرى الى الخليج الفارسى ومن حدود الهند الى الفرات .

" والمقدسى يسمى أقليم خراسان وما وراء النهر " اقليم المشرق " وقد رحل الى هذا الاقليم فى العهد السامانى وقال : انه أجل الأقاليم واكثرها أجلة وعلماء وهو معدن الخير ومستقر العلم وركن الاسلام المحكم وحصنه الاعظم ثم قال : وهو أكثر الأقاليم علما وفقها .

وللمذكرين به صيت عجيب ولهم أموال جمة ومذاهبهم مستقيمة ... وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ... والغلبة فى الاقليم لأصحاب أبى حنيفة .. وبنيسابور رسوم حسنة فيها مجالس المظالم وبهذا الاقليم عصبيات بين الشيعة والكرامية وبين الشافعية والحنفية . وقد يراق فى هذه العصبيات الدماء . ويدخل بينهم السلطان ... وقد أخرجت هذه البلاد مالا يحصى من رجال الحديث والفقه فعلى رأس المحدثين الامام البخارى وهو من بخارى . كما أخرجت نيسابور مسلم بن الحجاج النيسابورى مؤلف الصحيح المنسوب اليه " صحيح مسلم " (١)

وكما كان بين سلاطين آل بويه من أغرم بالعلم وأحب العلماء . كذلك كان بين السامانيين من أغرم بالعلم وأحب العلماء . والى جوار هاتين الدولتين : البويهية والسامانية . كانت الدولة الزيارية فى طبرستان . وكان منهم شمس المعالى قابوس بن وشمكير " ٣٦٦ — ٤٠٢ هـ " الشاعر الأديب الكاتب . ذو البصر بالفلسفة والنجوم . وصاحب رسالة الاسطرلاب .

ثم كانت الدولة الغزنوية " التى غلب سلطانها محمود (٣٨٨ هـ — ٤٢١ هـ) على كثير من البلاد . ولكنه على هذا البطش كان يقدر العلماء ويجل الشعراء . لا ينتهى اليه علم بعالم أو شاعر الا بعث اليه يستقدمه . ومما يحكى عنه فى ذلك أنه سمع أن فى مجلس مأمون به مأمون . أمير خوارزم . جماعة من رجال العلم والفلسفة . منهم ابن سينا الفيلسوف والبيرونى الرياضى المؤرخ وأبو سهل الفيلسوف وأبو الحسن

---

(١) ظهر الاسلام حـ ١ ص ٢٦١ — ٢٦٧

الخمار الطبيب وأبو نصر الرياضي . وتتوق نفس محمود الى أن يضمهم اليه في بلاطه فيكتب الى مأمون بذلك ، ولم يملك أن يرد طلبة محمود ، كما لم يملك أن يقضي في أمر هؤلاء الأعلام . فجمعهم اليه يستشيرهم ، فمنهم من أجاب ومنهم من اعتذر " (١)

وهكذا نجد في هذه الفترة أن الدويلات الاسلامية قد تعددت وكان لكل دولة رئيسها ونظامها وجيوشها وسياستها وعاصمتها بعد أن كانت الخلافة في قبضة الخليفة الذي كان يحكم العالم الاسلامي من بغداد " تفرق السلطان في بيوت كثيرة وتوزع الحكم فاستوطن اكثر من عاصمة واضطربت أمور العالم الاسلامي والعربي بتأثير سياسات متضاربة متخاصمة مما أوهن نفوذ المسلمين وقل غرب سلطانهم " (٢)

— ٢ —

هكذا انفرط عقد العالم الاسلامي فصارت فارس والري واصبهان والجبل في أيدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن الياس ، والموصل وديار بني ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الأخشيد ، وخراسان في يد نصر بن احمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، ولم يبق للخلافة العباسية الا بغداد . " ولئن عد هذا ضعفا من الناحية السياسية فانه لا يعد ضعفا من الناحية العلمية ، فالمملكة الاسلامية في القرن الرابع الهجري كانت أعلى شأنا في العلم من القرون التي كانت قبلها ، ولئن كانت الثمار السياسية في القرن الرابع الهجري قد تساقطت فالثمار العلمية قد نضجت فيه . الا أن الحالة الاقتصادية كانت على اسوأ مايكون ، فثروة الأمة ليست موزعة توزيعا عادلا ولا شبه عادل ، أموال تتدفق على الملوك والأمراء ومن يلوذ بهم ، وفقر مدقع لباقي أفراد الشعب . " (٣)

واذا رجعنا الى الحالة الاجتماعية في القرن الرابع ، وجدنا الأدب كله بأنواعه صدى لهذه الحياة الاجتماعية . فلما أفرط الملوك والأمراء في الظلم والاستبداد ومصادرة الأموال انقسم الشعراء الى قسمين : قسم يلهو معهم ، وينتفع بمالهم

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص ٦
(٢) الحياة الادبية في الاندلس في العصر العباسي الثاني ص ٦٨
(٣) ظهر الاسلام/ ط ١ / جـ ٢ / ص ١ — ٣٤

كالمتنبى والناشىء والخالديين وغيرهم وقسم تمنعه نفسه من الملق كأبى العلاء فيتخذ خطة أخرى وهى الذم والقدح.

ونظرا لأن الحالة الاجتماعية كانت على هذا النحو فقد وجد المستجدون الكثيرون، وكان منهم أدباء، ولهم لغة وطريقة، كلغة الادباتية اليوم، حكاها لنا الثعالبى فى اليتيمة وقد كان له الفضل الأكبر فى تاريخ آداب المائة الرابعة (١) "

وقد كان النتاج الأدبى فى هذا العصر من نظم ونثر صورة صحيحة للحياة الاجتماعية فى غناها وترفها من جانب، وفقرها وبؤسها من جانب آخر وفى اضطراب الحالة السياسية والحالة الاجتماعية وفى حياة اللهو وحياة الجد وفى انحلال الاخلاق وانغماس الأدباء فيها، ونص بعضهم عليها الى غير ذلك من المظاهر.

" ولعل خير مايمثل أدب هذا العصر كتاب يتيمة الدهر للثعالبى، وربما كان أكبر من يمثل كتاب النثر ابن العميد وابن عباد والخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى وابو حيان التوحيدى، كما كان اكبر من يمثل الشعراء المتنبى وابن حجاج والشريف الرضى وابو العلاء المعرى والصنوبرى " (٢)

لقد كان من اعلام الكتاب من هم فى الطبقة العليا فى المجتمع كابن العميد وابن عباد والوزير المهلبى والاسكافى وزير السامانيين وابراهيم الصابى، فهؤلاء بحكم مركزهم وترفهم كان نتاجهم الادبى مترفا يتمثل فى التأنق فى الفن والترف فى الصناعة فأناقة الملبس والمأكل والمعيشة جديرة بأن تحمل أصحابها على التأنق فى الأدب هذا وقد تزاحم الكتاب والشعراء على ابواب قصور الملوك والأمراء.

" ان الكتاب هم السنة الملوك، انما يتراسلون فى جباية خراج أو سد ثغر أو عمارة بلاد أو اصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو دعاء الى ألفة، أو نهى عن فرقة، أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشاكلها من جلائل الخطوب ومعاظم الشؤون وقد وسمتهم خدمة الملوك بشرفها وبوأتهم منازل رياستها " (٣)

وكانت تقع خصومات عنيفة بين الكتاب نشأت عن أطماعهم فى الاستئثار بالحظوة عند

---

(١) ظهر الاسلام / ط ١ / حـ ٢ ص ٩٥
(٢) ظهر الاسلام / حـ ١ / ص ١٣٢ــ١٣٥ (٣) نشر النظم وحل العقد / ص ٢

الوزراء والرؤساء والملوك . يقول الدكتور زكي مبارك " ومن اهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب فقد قامت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم في الحياة المادية فكانوا يمثلون غالبا طوائف من الافكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفرضة في العصر الحاضر وكان لهم من القوة ماكان للشعراء ، فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك من تقريبهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك . " (١)

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمذاني والخوارزمي وخصومة التوحيدي والصاحب بن عباد .

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان الى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ماكان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ومن النبل عند الفقر : اذ " تسميهم ايام اللدونة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة " وقد كانوا كما قال : " ماتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا قل معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت أنوفهم .... الخ "

وفي تلك المنافسات الشديدة وتلك الدسائس الملعونة التي كانت تقع بين الكتاب دليل على جشعهم في حب الحياة ، وفهمهم لها فهما ماديا يتناسب مع تلك العبقريات الفنية . " (٢)

وكانت المناصب المرموقة في ذلك العصر لا يرقى اليها الا من كانت له قدرة ادارية وقدرة بلاغية وحتى يبلغ الكاتب هذه المنزلة والحظوة عند الملوك والأمراء كان لابد من أن يلجأ الى منافسة غيره من الكتاب والا بقي في الطبقة الفقيرة بعيدا عن الخلفاء والأمراء لأن الناس في هذا القرن كانوا ثلاث طبقات متميزة : " الطبقة الأولى طبقة الارستقراطيين من خلفاء ووزراء وتجار كبار وأشراف ، والطبقة الوسطى من تجار

---

(١) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / زكي مبارك / حـ١ ص ٢٤
(٢) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / حـ١ / زكي مبارك ص ٢٤ـ٢٥

٤٢٩

متوسطين وملاك متوسطين ونحوهم ،وطبقة فقيرة وهى عامة الشعب من صغار الفلاحين وصغار العمال والعلماء الذين بعدوا عن الخلفاء والأمراء . "(١)

—٣—

خدمت الدولة البويهية العلم والأدب خدمة كبرى ،ومع أنهم فرس الأصل واكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ،فقد كانوا يتعصبون فى العلم والأدب للسان العربى .

وكان كثير من البويهيين أدباء مثقفين ثقافة واسعة أشهرهم فى ذلك عضد الدولة ،فكان يشارك فى عدة فنون منها الأدب ،وكذلك عز الدولة أبو منصور بختيار ، وتاج الدولة ابن عضد الدولة ،ولهم أشعار ورد بعضها فى " اليتيمة " .

وكان على حدود الدولة البويهية فى فارس الدولة الزيارية أول ملوكها مرد وايج بن زيار ،ملكت جرجان وطبرستان ،وكانت فى خصومة مع البويهيين، واشتهر من رجالها فى خدمة الأدب أمير كان كابن العميد وابن عباد فى أنه أديب كبير ومثقف واسع الثقافة ومشجع بمنصبه وجاهه للعلماء والأدباء وهو الأمير قابوس بن وشكمير وكان ابوه وشكمير وعمه مرد وايج ملكين من ملوك الرى واصبهان قبل بنى بويه ثم كان قابوس واليا على جرجان وطبرستان ولقبه الخليفة الطائع شمس المعالى ومع أنه كان جبارا قويا سفاكا للدماء الا أنه كان يحب العلماء والأدباء ويشجعهم . " وله جملة رسائل أدبية طبعت فى مصر تحت عنوان " كمال البلاغة " وهو فيها متأنق ،كل كلمة فيها توزن قبل أن توضع وكل جملة تقاس بالقياس الدقيق لتكون لفق اختها ،وروحه أقرب الى روح بديع الزمان منها الى ابن العميد وابن عباد ،وله المقطعات الشعريه كقوله .

خطرات ذكرك تستثير صبابتى * فأحس منها فى الفؤاد دبيبا

لا عضو لى الا وفيه صبابة * فكأن أعضائى خلقن قلوبا

وألف رسالة فى الاصطرلاب ،وقد مات محصورا فى قلعة وحمل تابوته الى جرجان فى مشهد عظيم كان قد بناه لنفسه سنة ٤٠٣ هـ . "(٢)

---

(١) ظهر الاسلام / حـ٢ / ص٣٤ (٢) ظهر الاسلام /حـ١ /ص٢٥٧–٢٥٨

" واذا رجعنا الى الخصائص الأدبية في هذا القرن لنعرف مقدار تأثيرها في تفكير أدباء العصر ومقدار تأثرهم بها ، نجد أن النثر والشعر قد خضعا لسنن الحضارة والترف والاختلاط بالامم الأخرى غير العربية وبفلسفاتها وآرائها وآدابها ، وكان القرن الرابع بما زخر به من آثار الترف والرفاه وضروب الزركشة والزخرفة والتلوين ذا أثر كبير على الأدب بكلا فرعيه ،حيث نقله من جوه الفطري الساذج واطاره القائم على الاهتمام بالروح والمعنى والخيال الواضح الأداء ،الى عالم الزخرفة والتصنيع والاهتمام بالتزويق والمظاهر اللفظية ." (١)

وكانت أظهر ميزة في ذلك العصر هي اجادة الوصف ،ولم يكن الوصف عندهم مما يأتي عفوا عند المناسبات الطارئة بل تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار والرياض والنبات والنسيم والرياح والليل والنجوم والجداول والغدران والأنهار والبحار والأحواض والقصور ومنازل اللهو ومجالس الشراب والنساء والغلمان والجواري السود والقيان وآلات الطرب ومحاسن الشباب وأهوال الشيب والرعد والبرق والمطر والثلج والصحو والبلاغة والشعر والنثر والخيل والسيوف والنار والأفاعي والثعابين والطيور والأطعمة والفواكه والسكاكين والكؤوس والخواتم والحلي والقلائد والمحابر والأقلام والسفن والدواب والجيوش والأساطيل وأيام الصيف والشتاء والربيع، واطنبوا في وصف المعاني الوجدانية كما اطنبوا في وصف المرئيات فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها فوصفوا الحقد والبغض والكرم والبخل ،وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من الهنات والعورات كل ذلك بطريقة مقصودة .

وانني لا أرى ان هذا الاتجاه في الوصف له مزايا وعيوب فمن تلك المزايا تنظيم الافكار وترتيب الأغراض وقوة التصوير في المحسوسات والمعنويات .

وقد لاحظت أن الدكتور زكي مبارك يرى " أنهم قد كونوا مدرسة وصفية لم توجد في العصور السابقة وأن المحدثين من الأدباء في عصرنا هذا قد تأثروا بالتعابير الوصفية الرائعة التي تمتاز بها هذه المدرسة الوصفية وأن النقاد المحدثين في مصر قد اعجبوا بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء " صدور كالاغريض أو صدور

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين /ص١١

البزاة البيض" وهذه العبارة مأخوذة من قول الثعالبى فى وصف آثار السرى الرفاء " كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض واجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح " (١)

وكان كتاب ذلك العصر مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعا ولا خيالا طريفا الا اقتبسوه وأضافوه الى ثروتهم النثرية فكان للنثر — اكثر النثر — هذا الذى نحسنه وشراه من التزام بالسجع فى جميع الرسائل وتأنق فى كتابة الأخوانيات والفكاهات وصور الحياة العامة ، وامعان فى المبالغة واكثار من التشبيه والاستعارة . وكان للشعر — اكثر الشعر — هذا الذى نلمسه ونشاهده من اهتمام بالتصنيع والجناس والتكوين والزخرفة اللفظية وصراحة فى الكدية والتسول وتكشف فى المجون والخلاعة ، وتغزل مفضوح بالجوارى والغلمان ووصف لمظاهر الترف والنعيم .

فأدب هذا العصر تقدم خطوات فى السجع والمحسنات اللفظية والمبالغة والتهويل ، " فالصابى وابن عباد أفرطا فى السجع وكادا يلتزمانه ، هذا وأمعن الأدباء فى الاستعارات والمجازات وأفرطوا فى التشبيهات وتفننوا فى تزيين الكتابة .

وهؤلاء الأدباء الذين تبوأوا مراكز حساسة فى مجتمعاتهم نراهم " قد خلقوا ذوقا عاما فى الأدب يستحسن طريقتهم ، فجارى الأدباء هذا الذوق كما نراه عند الثعالبى فى كتبه فيما ينشىء وفيما يروى .

فالتزاويق اللفظية صدى للتزاويق فى الحياة الاجتماعية ونرى كثيرا من الأدب فى هذا العصر شكلا تنقصه الروح . كما كانت الحياة الاجتماعية كذلك شكلا بلا روح .

ولعل هذا نشأ من كثرة المجالس الأدبية غير الرسمية فى منازل الأصدقاء والأغنياء والأدباء وحبهم للملح والتناد ر ووصف مايعرض ، فقد اكثروا من المقطوعات حتى زاحمت القصائد " (٢) . نرى نماذج منها كثيرة فى كتب الثعالبى . هذه ناحية ، وناحية أخرى هى قوة أثر الرقيق فى الناحية الاجتماعية وانعكاس صورتها فى الأدب فقد ملىء

---

(١) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / زكى مبارك / حـ١ ص ١٩
(٢) ظهر الاسلام / حـ١ / ص ١٣٤

أدب ذلك العصر بوصف القيان والجوارى البيض والسود والغلمان حتى لا نكاد نجد شاعرا الا وله شعر فى هذا الباب.

— ٥ —

" أما الغزل بالغلمان فقد كان من الأغراض التى جدت فى القرن الثانى الهجرى كنتيجة لشيوع عادة اللواط بين طائفة من المجتمع كأبى نواس واضرابه من المتهتكين ، وقد تسربت هذه العادة الى المجتمع الاسلامى عن طريق الفرس بصورة تدريجية . ومهما يكن فقد شاعت عادة اللواط فى هذا العصر كغيرها من العادات الفارسية بحيث أصبح حب الغلمان والتولع بهم شأن العامة والخاصة . "(١)

وهكذا كانت الطامة الكبرى عندما استشرى هذا الداء فى المجتمع الاسلامى فى مختلف طبقاته ، ويعلق الاستاذ احمد أمين قائلا " والطامة الكبرى ماغشى المجتمع من حب الغلمان ظهر صداه فى الأدب "(٢)

على هذا النحو انجرف الأدباء فى هذا التيار فأكثروا من القول فى هذا الغرض حتى ليندر أن نجد بينهم من لم يقل شعرا فى غلام . ومن الغريب فى هذا الأمر أن ذوى المناصب الكبرى لم يكونوا يتحرجون من التغزل بالغلمان واظهار العشق لهم والولع بهم ويذكر الاستاذ احمد أمين أسماء بعض الذين طرقوا هذا الباب وهم: " أبو تمام والبحترى والصنوبرى وكشاجم وأبو الفتح البستى وابن حجاج وابن سكرة والقاضى التنوخى والثعالبى وأبو فراس والصابى حتى الوزير المهلبى لم يمنعه منصبه أن يقول فى مملوك تركى جميل قاد جيشا لمحاربة بنى حمدان .

ظبى يرق الماء فى * وجناته ويروق عوده
ويكاد من شبه العذا * رى فيه أن تبدو نهوده

بل نرى من هذا ظاهرة غريبة ، وهى عدم تحرج ذوى المناصب الكبيرة كالوزراء والقضاة من كثرة القول فى هذا الباب مما يدل على أن الرأى العام قد فتر استنكاره له وعده من باب الظرافة والمجون الا فى الأوساط المتشددة "(٣)

---

(١) الأدب فى ظل بنى بويه ص٢٦٦ (٢) ظهر الاسلام حـ ١ ص١٣٥
(٣) ظهر الاسلام حـ١ ص١٣٩

وهكذا نجد أن ظاهرة المجون والخلاعة واللهو قد تفشت فى تلك المجتمعات واستشرى داؤها وقل دواؤها فأنتجت شاعرين عما فى شعرهما لا يستتران من العقل بسجف ولا يبنيان جل قولهما الا على سخف وهذان الشاعران هما ابن حجاج وابن سكرة فابن حجاج قال فيه الثعالبى : " انه فى شعره لا يستتر من العقل بسجف ولا يبنى جل قوله الا على سخف ..... يمد يد المجون فيعرك بها آذان الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . "(١)

ومثله ابن سكرة الذى قال فيه الثعالبى : " فائق فى قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار فى ميدان المجون والسخف ما أراد . "(٢)

ومع هذا السخف الذى نراه فى شعرهما فقد جرى شعرهما فى الناس ورواج هذا الشعر أكبر دليل على ما وصل اليه الانحلال الخلقى فى هذا المجتمع .

— ٦ —

وظهرت طائفة فى البلاد تستجدى بأدبها وكان من صداها فى هذا العصر ظهور نوع من الأدب جديد ، وهو مقامات بديع الزمان ثم الحريرى ، وكان بديع الزمان قد اتصل بالأمير محمد بن منصور فأكرمه ونزل بنيسابور سنة ٣٨٢ هـ فأملى بها مقاماته المشهورة ، وكانت الخصومة بينه وبين أبى بكر الخوارزمى أيام اقامتهما فى نيسابور ، وقد قص البديع هذه الخصومة فى رسائله التى تدل على ما عرف عن البديع من جودة حفظ وحضور بديهة وقوة بيان ، وكان له الفضل الكبير فى مقاماته التى حذا حذوها الحريرى .

— ٧ —

وكان فى اقليم خراسان وما وراء نهر جيحون حركة أدبية قوية اكثر الشعراء فيها من المقطوعات فى المناسبات جريا على أساليب العراق وفارس ، وكان ملوك السامانيين ووزراؤهم يشجعون الحركة الأدبية والعلمية . وقد نبغ فى الدولة السامانية من الشعراء كثيرون عدد هم الثعالبى فى اليتيمة ونقل طرفا من أشعارهم ، ولعل من أحقهم

---

(١) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٠ (٢) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣

بالذكر محمد بن موسى البلخي وكان يقال : " أخرجت بلخ أربعة : أبا القاسم الكعبي في علم الكلام وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف وسهل بن الحسن في شعر الفارسية ومحمد بن موسى في شعر العربية "(١) ومما امتاز به أنه كان مولعا بنقل الأمثال الفارسية الى العربية نظما وقد مجد الثعالبي بخاري في الدولة السامانية بقوله :

" كانت بخاري في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر . "(٢)

وفي هذا الاقليم لمع نجم علم من أعلام النثر هو الأديب الكبير ابو بكر الخوارزمي كما لمع نجم بديع الزمان الهمذاني .

وقد نبغ غيرهما من العلماء الأعلام في مختلف مجالات النشاط الفكري والفني ممن لا يحصون كثرة ولا يدركون عمقا ، ومن الأدباء والنقاد من انتهت اليهم معالم العبقرية وخصائص الأدب والفن ، واجتمعت فيهم خلاصة المعارف والأذواق حتى كان للفكر العربي صرح ثابت الدعائم قوي الأركان ينشر نوره شرقا وغربا ويشارك في بناء الحضارة الانسانية مشاركة فعالة بل لا أجاوز الحد اذا قلت أن هذا الفكر الذي حمله العرب كان السراج الوهاج الذي يبعث النور في سائر الأرجاء .

— ٨ —

وقد اصبح المتأدبون في القرن الرابع يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولا فنية يجد القارئ لذة ومتعة حين يراها وقعت موقعا حسنا . وفي رأيي أن لهذا الزخرف قيمة كبيرة في فهم ذلك العصر لأنه يدلنا على أن أهل ذلك العصر عرفوا لغتهم معرفة جيدة ووقفوا على أسرارها .

وهكذا نجد تأنقا شديدا في الاسلوب ومبالغة مفرطة في المعاني أما التأنق في الاسلوب فمصدره الاسراف في استعمال السجع والمحسنات البديعية كالجناس والطباق ، اذ لم يكد يبدأ القرن الرابع حتى رأينا السجع يعم جميع الرسائل السلطانية مصحوبا بالجناس والطباق فكان ابن العميد أول من نحا هذا النحو في كتاباته ثم

---

(١) يتيمة الدهر جـ٣ / ص٢١ (٢) يتيمة الدهر جـ٣ / ص٣٣

تابعه على ذلك بقية الكتاب كالصاحب والبديع والخوارزمي والصابي والثعالبي وغيرهم .

أما المبالغة المفرطة في المعاني فقد ظهرت في الاستعارات البعيدة التشبيهات وفي عبارات التفخيم والتعظيم والتهويلات .

ويقول الدكتور محمود غناوي الزهيري " ومن الغريب أن يسري هذا الذوق الأدبي الى المؤلفين فيسيطر على لغة التاليف في هذا العصر ، فقد كان المؤلفون ينحون في كتبهم نحو الأدباء في كتاباتهم من حيث العناية بالحلية اللفظية والمبالغات والتهويلات مما أدى الى غموض المعاني ، بل الى افسادها في كثير من الأحيان " (١)

—٩—

أما من الناحية العقلية وانتشار الثقافة ، فقد كان العصر متقدما حقا ، تم فيه امتزاج الثقافات ، تثقف الفرس والهنود الثقافة العربية وانتجوا فيها ، وانتشرت الثقافة اليونانية في البلاد وشجع الخلفاء الطب والتنجيم ، ونشطت حركة الترجمة من اليونانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية .

وفي ظل هذا العصر ظهر من أئمة اللغة أبو منصور الأزهري من هراة وقد رحل الى العراق وأخذ عن أئمة علمائها كابن دريد ، وطاف في أرض العرب يجمع اللغة منهم وقد صنف في اللغة كتاب التهذيب في عشرة مجلدات وكذلك الجوهري صاحب الصحاح وهو من فاراب سافر الى بلاد العرب وجمع ما استطاع من اللغة . وقد شارك في بناء ذلك الصرح رجال لا يتسع المجال لذكرهم وقد أظلهم لواء الاسلام ووحدتهم أواصر العقيدة ، متخذين من كتاب الله اماما ومن الكعبة قبلة ومن العربية لسانا ، ومن هذا المنطلق علينا أن نحيي هؤلاء الرجال تقديرا لأعمالهم وأخص بالذكر رجلنا الذي نترجم له : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، دخل الى هذا العصر والمعاجم اللغوية قد استقرت على منهج، والانشاء قد تميزت له أساليب احتذاها اللاحقون، والفلسفة قد ادركت كما لها ، والطب

---

(١) الأدب في ظل بني بويه /ص ٢٩٦ — ٢٩٧

والطبيعيات قد ثبتت أسسها ، والموسوعات قد ظهرت بواكيرها ، والشعر قد تحلل من كثير من تقاليده الأولى ونهج نهجا جديدا فذاق ابو منصور من هذا كله وتفتح عقله على هذا كله فتأثر نثره وشعره بالخصائص الأدبية فى عصره ، وكان لمذهب التصنيع الأدبى صداه المدوى فى نفسه ، وانعكاساته الواضحة على أدبه ، حتى عده النقاد والأدباء فريد عصره ووحيد دهره .

* * *

:: الفصل الثانـــي ::

" حياة الثعالـــــبي "

قيض الله للغتنا العربية رجالا وقفوا أنفسهم على خدمتها ، وتوافروا عليهـــا يجمعون تراثها ويشاركون فى بناء صرحها وحضارتها الساحقة السامية ، وقد وثـب الاسلام بها وثبة كبرى ، حيث أصبحت لغة الدين الجديد ، وفرضت نفسها فرضـا على أمم متعددة وثقافات متباينة ،استطاعت بعد ذلك أن تهضم هذه الثقافات ،ولما جاء العصر العباسي الثالث أصبحت اللغة العربية لغة المعارف المتعددة ،وأغدق السلاطين والولاة الهبات والعطايا على الادباء والشعراء ، مما رغب الناس فـــى الدراسة والبحث ، وكان من ثمار هذا العصر أبو منصور الثعالبي .

الثعالبي : هى نسبة ستة من أعلام العرب هم :ـ

أولا : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل صاحبنا الذى نترجم له .

ثانيا : أبو منصور الحسين بن محمد المرغنى نسبة الى مرغن من أعمال الغور فـــى أفغانستان .. " مؤرخ عربى لا نعرف عنه الا انه أهدى كتابه " غرر السير " الى نصر أخى محمود الغزنوى ، ونشر (زوتنبرج) الجزء الخامس(باريـــس سنة ١٩٠٠م) وحاول فى المقدمة التى صدر بها هذه الطبعة أن يثبـت أن هذا الكتاب للثعالبي (صاحبنا) ، ولكن أدلته ليست مقنعة . "(١) والحقيقة أن أدلته سوف تصبح مقنعة عندما نسندها بأدلة أخرى أشد اقناعا وذلك حين نعرض لآثار الثعالبي .

ثالثا : " عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجعفرى الجزائرى : فقيه من أهل شمال افريقية ولد فى الجزائر عام ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م "(٢)

رابعا : " الشيخ الأجل أحمد بن على بن الحسين الثعالبي من مشائخ رئيـــس المحدثين محمد بن على ابن بابويه ".(٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية / مجلد ٦ ص١٩٨

(٢) المصدر نفسه ص١٩٩ (٣) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧

خامسا : " أبو بكر محمد بن بكر بن الفضل بن موسى الثعالبي الفقيه من أهل مصر المتوفى سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة . "(١)

سادسا : " عبد العزيز الثعالبي : ولد في تونس الخضراء عام ١٨٧٣ م ، ونشأ في كنف جده عبد الرحمن الثعالبي من اقطاب الجزائر وسادتها المشهورين ، فورث عنه اخلاقه ومبادئه ، وكان عبد العزيز من اخطب الخطباء ، وكان صحفيا وكاتبا ومصلحا اجتماعيا " (٢)

اسمه ولقبه :

ونعود الى صاحبنا الذى نكتب عنه وهو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، وقد كني بأبي منصور ولقب بالثعالبي ، وهذا اللقب اختلف فيه الذين أرخوا له وذكروه في كتبهم ، فابن خلكان ذهب الى " انه كان هو بنفسه فراء " (٣)

ومحققو " فقه اللغة " للثعالبي قالوا : " لقب بالثعالبي لأنه كان فراء يخيط جلود الثعالب ويعملها . " (٤)

ومحمد كردعلي ذكر أن " هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها ، وقيل له ذلك لأنه كان فراء . " (٥)

والحافظ بن كثير يذكر أنه " سمي الثعالبي لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب " (٦)
وابن الحنبلي يقول : " ولنسبته الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراء . " (٧)

والشيخ كمال الدين الدميري يقول : " الثعالبي منسوب الى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء . " (٨)

---

(١) الأنساب ٣ : ١٣٢
(٢) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ص ٤٢٢ و ٤٢٣
(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٤) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي / مقدمة المحققين ص رقم (د)
(٥) كنوز الأجداد ص ٣٣٣
(٦) البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٤٤
(٧) شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٤٧
(٨) حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ١٧٨

ومحقق " ثمار القلوب " للثعالبى ينقل ما قاله المؤرخون من " أن نسبته الى الثعالب ترجع الى خياطة جلودها وعملها ، أو قيل له ذلك لأنه فراء " (١).

ونقل أيضا الدكتور زكى مبارك عن المؤرخين فقال : " والثعالبى نسبة الى خياطة جلود الثعالب . قيل له ذلك لأنه كان فراء قبل أن يظهر أدبه ويعلو نجمه ويبعد صيته " (٢).

والدكتور مندور أخذ يربط بين مهنته وبين طريقته فى تأليف كتبه (٣).

مولــــده :

ولد أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى فى نيسابور وهى يومئذ قلعة من قلاع العلم والمعرفة ، سنة خمسين وثلثمائة للهجرة أجمع على ذلك كل من أرخ له أو ذكره ، ولم يخالف فى ذلك واحد منهم ، يذكر ذلك "العباسى" فى " معاهد التنصيص " (٤) وابن الانبارى فى " نزهة الألبا " (٥) وابن خلكان فى " وفيات الأعيان " (٦) وابو الفدا فى " المختصر فى أخبار البشر " (٧) والحافظ بن كثير فى " البداية والنهاية " (٨) والصفدى فى " الوافى بالوفيات " (٩) وابن قاضى شهبة فى " طبقات النحاة واللغويين " (١٠) وابن العماد الحنبلى فى " شذرات الذهب " (١١) والحافظ الذهبى فى " العبر فى خبر من غبر " (١٢) وصدر

---

(١) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى / التمهيد للمحقق ص ٣ ، ٤ .
(٢) النثر الفنى ٢ : ١٧٩ .
(٣) النقد المنهجى عند العرب ص ٣١٣.
(٤) معاهد التنصيص حـ ٢ ص ٩٣.
(٥) نزهة الألبا ٣٦٥.
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ .
(٧) المختصر فى أخبار البشر .
(٨) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ .
(٩) الوافى بالوفيات حـ ١٩ .
(١٠) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧ .
(١١) شذرات الذهب حـ ٢ ص ٢٤٧ .
(١٢) العبر فى خبر من غبر ٢ : ١٧٢ .

الدين بن معصوم المدنى فى " انوار الربيع " (١) وطاش كبرى زادة فى " مفتاح السعادة " (٢) ومحمد كرد على فى " كنوز الأجداد " (٣) والبغدادى فى " هدية العارفين " (٤) ، وتابعهم على ذلك المحدثون .

أصلـــه :

وقع الخلاف فى تحديد أصله ، فقد اغفل القدماء التعريف بأصله ، واختلف فى ذلك المحدثون ، فقد ذهب الحوفى الى أنه فارسى الأصل . " (٥) وذكره أحمد لواسانى فى قائمه لأسماء أعلام فارس . " (٦)

وأدرجه الدكتور رضا زادة شفق فى " تاريخ الأدب الفارسى " ضمن قائمة المشاهير العلماء فى العصر الغزنوى وقصد أنه من أصل فارسى . " (٧)

ويقول محمد كرد على " والغالب أنه من أصل عربى " (٨)

ويأتى بعد هؤلاء جميعا الاستاذ محمود الجادر فيفند آراء من قالوا بأنه فارسى الأصل ، ويقطع بأنه من أصل عربى ، فيسوق الأدلة والبراهين لاثبات ذلك ، فيقول : " لو أننا استقصينا الحقيقة فى مظانها لوجدنا مايكاد يقطع بأن الرجل عربى الاصل . ويؤيد قول الثعالبى فى حديثه عن أبى القاسم اسماعيل بن احمد الشجرى : "ومن ملحه قوله وهو منقول عن بيتين بالفارسية للأعاجم " . وقول الثعالبى أيضا فى حديثه عن أبى الحسن الاغاجى : " هو أشهر فى شعراء الفارسية وفرسانهم من الهجرة . " ان أشارته الى (الأعاجم) و (شعراء الفارسية وفرسانهم) بضمير الغائب لتدعو الى التشكيك فى الرأى القائل بأنه من أصل فارسى ، فلو كان الرجل فارسيا لاستغنى عن بعض كلامه ، وبقى المعنى مستقيما . فهو يستطيع أن يقول " هو منقول عن الفارسية " فى النص الأول و " هو أشهر فى الشعراء والفرسان من الهجرة " فى النص الثانى .

---

(١) انوار الربيع ١ : ١٧٢
(٢) مفتاح السعادة ح ١ ص ٢٦٢ .
(٣) كنوز الاجداد ٢٣٣
(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٥) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ص ٢١٩
(٦) نظرات جديدة فى تاريخ الأدب ص ٢٩٤
(٧) تاريخ الادب الفارسى ص ٦٣
(٨) كنوز الأجداد ص ٢٣٣

ويسوق دليلا آخر أوضح من سابقه واكثر اظهارا للحقيقة ، فيورد قول الثعالبي في أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : " من أعاجيب الدنيا ، ذلك أنه من الفاراب احدى بلاد الترك ، وهو امام في علم لغة العرب " فيعلق الجادر قائلا : " الا ترى ان الثعالبي لو لم يكن عربيا ما تعجب من كون الجوهري الأعجمي اماما في لغة العرب ، وهو نفسه امام فيها ؟ بهذا يقوم لدينا الدليل على عربية الرجل . " (١)

وأنا أؤيد رأي الاستاذ (الجادر) بأن الثعالبي عربي الأصل دون أن يثير شكي في أصله استشهاده بعدد من النصوص الفارسية في بعض كتبه (٢) ، أو افادته من اللغة الفارسية في بعض معانيه الشعرية ، وما الى ذلك من مظاهر أملتها البيئة عليه ، فليست معرفة المرء لغة قوم دليلا مقنعا على أنه منهم .

نشأته ورحلاته :

لم يكن صاحبنا من بيت رفيع ، أو صاحب حسب يتطاول به ، ويصل الى المجد عن طريقه ، وانما كان من بيت يشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب ، فأرسلته اسرته الى الكتاب حيث تلقى أول ثقافته ، وتخرج ابو منصور في الكتاب ليجد نفسه أمام أحد أمرين : اما أن يشتغل بمهنة أبيه فيعيش مغمورا ، واما أن يعمل في المدارس المنتشرة في بلدته ، وكان ان اختار الطريق الثاني فعمل مؤدبا للصبيان . " (٣)

ولما كانت ثقافته محدودة في أول الأمر ، لم تساعده ليجد منزلة عالية بين هذا الحشد الضخم من العلماء الموهوبين الذين كانت تعج بهم نيسابور ، لهذا عقد العزم على أن يصل الى ما كان يصبو اليه ، فاتصل بالخوارزمي وأخذ عنه وتثقف على آثار من سبقوه من العلماء والادباء واخذ ينهل من كتبهم ، وساعده على ذلك الامير أبو الفضل الميكالي الذي فتح له مكتبته . وهكذا هيأت له الظروف سبيل اللحاق بركاب الأمراء وخدمتهم بكتبه ، وقد مهد له علمه وأدبه الطريق فصادق أصحاب الأدب والجاه ، ومشى في ركاب السلاطين والوزراء وتفيأ ظلالهم ، واتيح لابي منصور من المراجع واسباب الثقافة مالم يتح لغيره من مؤرخي الأدب ، فلا غرو أن نراه وقد

---

(١) الثعالبي ناقدا واديبا ص ٢٠ ، ٢١

(٢) وردت نصوص فارسية في يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٩ ، ٤٠ : ١٤٩ وثمار القلوب ١٨٨ ولطائف المعارف ٩ .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧

أصبح عملاقا بين ادباء عصره " وقد رزق أبو منصور حافظة قوية وذكاء طيبا استطاع به أن يجنح الى التخصص في كتبه ودراساته ، فهو يفرغ الى فرع من فروع الفن فيجمع مادته ويدرسها ويقسمها ثم يقدمها اليك في ثوب قشيب ،فلا تنتقل الا الى زهرة فواحة ، أو روض أريج . "(١)

ولقد قدر ابو منصور فوجد أنه غير بالغ ماكان يتمناه من الشهرة والمال ان هو ظل مقيما في نيسابور ، فرحل الى (بخارى) ، وكان ذلك في أيام الأمير نوح بن منصور السامانى ، ولكن الثعالبى لم تدم اقامته بها مدة طويلة ، " لأن (بغراخان ايلك) ملك الترك هاجمها ودخلها وهرب(نوح) منها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة "(٢) فعاد أبو منصور الى نيسابور بخفى حنين .

واذا كان ابو منصور قد اخفق في الحصول على المال من رحلته هذه ،فقد ربح ربحا غير منظور عندما لقى افاضل الادباء في بخارى كالمأمونى وأبى منصور سعيد بن أحمد البريدى وأبى بكر محمد بن عثمان النيسابورى الخازن وأبى الحسن الافريقى المتيم . "(٣)

وعند عودته الى نيسابور أتاحت له الفرصة للتعرف على بديع الزمان الذى ملأ نفسه اعجابا وأفاد منه كثيرا ، فقد وصفه بقوله : " هو أحمد بن الحسين ،بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ،وفرد الدهر ، وغرة العصر ،ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ،وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ،وقوة النفس "(٤) وفي هذه الفترة التقى صاحبنا بأديب آخر هو أبو الفتح على بن محمد البستى (٥) ، وقال أبو منصور في ترجمته : "وجمعتنى واياه صلة الأدب التى هي اقوى من قرابة النسب" (٦) وجرت بين الأديبين الصديقين رسائل شعرية منها مايقوله أبو

---

(١) التمثيل والمحاضرة للثعالبى /مقدمة المحقق ٥ ، ٦ .
(٢) الكامل في التاريخ ٩ : ٩٥ ، ٩٦
(٣) ترجم لهم في يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٣ و ٤ : ٨٤ ، ١٥٧
(٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦
(٥) ترجمته في يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٢
(٦) اليتيمة ٤ : ٣٢٠ ،أحسن ماسمعت ٤٣ ،لطائف المعارف ٢٠٦ ، خاص الخاص ٤٢ .

الفتح البستي في صاحبه الثعالبي :

قلبي رهين بنيسابور عند أخ * ماثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف اخلاق مهذبة * من الحجا والعلا والظرف تنتسخ (١)

وكانت رحلة أبي منصور الثانية الى جرجان بدعوة من صديقه المؤرخ المشهور أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي صاحب كتاب (اليميني) ونائب شمس المعالي قابوس بن وشكمير ، فدعاه هذا لزيارة سيده في جرجان ، وكان ذلك سنة احدى وتسعين وثلاثمائة للهجرة . ومثل أبو منصور أمام الامير يهنئه بعودة ملكه اليه بقصيدته التي مطلعها من البسيط :

الفتح منتظم والدهر مبتسم * وظل شمس المعالي كله نعم (٢)

ثم قدم له كتابه " المبهج " فأكرمه الامير ، وقد ذكر ذلك ابو منصور نفسه في كتابه " المبهج " بان الامير اعطاه حقه ووفاه مهره ، يقول فيه : " وقد كنت حين وردت حضرة الامير السيد شمس المعالي ، خدمت به مجلسه حرسه الله تعالى وآنسه ، فجمع عليه يديه ، وشغل به لحظه ، واعطاه حقه ، ووفاه مهره . " (٣)

وعاد من رحلته هذه بعد أن أغدق عليه الامير من المال " مستصحبا به الامان من الزمان " (٤) وفي نيسابور عندما هزم اميرها ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين اسماعيل بن نوح الساماني ، دخل الثعالبي عليه مهنئا بقصيدته التي مطلعها (٥) (من الطويل) :

تهلجت الايام من غرة الدهر * وحلت باهل البغي قاصمة الدهر ؟

فاكرم الامير شاعرنا الثعالبي ، وتوطدت العلاقة بينهما ، وقد خدمه ابو منصور بكتابين " الاقتباس " و " أجناس التجنيس " واصبح الثعالبي من المقربين لدى الأمير .

وفي سنة احدى واربعمائة أصاب القحط خراسان " (٦) ، فاضطر الثعالبي الى السفر مرة ثالثة ، وكانت وجهته هذه المرة الى (اسفرائين) ، واستقبله فيها أبو

---

(١) ظهر الاسلام جـ١ ص ١٧٠
(٢) اليميني للعتبي / ورقة ١٣٣ وجه
(٣) المبهج للثعالبي : المقدمة ٢ .
(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٤
(٥) اليميني للعتبي /ورقة ١٠٤ وجه وظهر
(٦) الكامل في التاريخ ٩ : ٢٢٥

العباس الفضل بن على الذى قال فى ترجمته فى (اليتيمة) : " ومن حسن أثره ومن نقيبته أن اسفرائين حرم آمن وجنة عدن عامرة . " (١)

ولكنه سرعان ما رحل عنها لينعم مرة أخرى بحضرة الامير شمس المعالى قابوس وليخدمه بكتابه " التمثيل والمحاضرة " (٢) . ثم ارتحل الى الجرجانية ليلتقى بالأمير أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه ، وكان بلاطه يضم أجل علماء العصر كابن سينا والبيرونى وابى الريحان ، ونظم الثعالبى عدة قصائد فى مديح الأمير خوارزم شاه " (٣) وخدمه بكتبه " الملوكى " و " المشرق " و " الطرائف واللطائف " و " نثر النظم وحل العقد " و " الكناية والتعريض " .

وكما أهدى الثعالبى خوارزم شاه كتبا ، اهدى وزيره أبا عبد الله محمد بن حامد (٤) كتابين هما " تحفة الوزراء " و " أحسن ماسمعت " .

ثم سافر من " الجرجانية " الى " غزنة " محملا بالهبات والعطايا من الأمير ووزيره " (٥) وهناك فى (غزنة) اتصل بالسلطان يمين الدولة محمود بن ناصر الدين سبكتكين الغزنوى الذى استدعى بعض العلماء والادباء الذين كانوا فى بلاط الامير خوارزم شاه مأمون بن مأمون . وللثعالبى قصيدة فى مدح السلطان يمين الدوله (٦) ، مطلعها (من السريع):

يا خاتم الملك وياقاهر الـ * أملاك بين الأخذ والصفح

وقدم له كتابه " لطائف المعارف " (٧) .

ويبدو أن أبا منصور لم ينل ماتمناه عند السلطان ، فلجأ الى أخيه الأمير أبى المظفر الذى اكرمه ، ثم التقى هناك فى (غزنة) بالشيخ أبى الحسن محمد بن عيسى الكرجى الذى كتب له كتابه " تحسين القبيح وتقبيح الحسن " (٨) . ثم ترك غزنة

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٧ (٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ٦
(٣) اللطائف والظرائف ٦٤ ، أحسن ماسمعت ١٨٤ (٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨
(٥) اللطائف والظرائف/ المقدمة ٥ ، أحسن ماسمعت ١٩٢
(٦) ثمار القلوب للثعالبى ٣٥ (٧) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٢
(٨) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٧

الى (هراة) ،ولم تطل اقامته هناك بل غادرها راجعا الى نيسابور مسقط رأسه ، وزار صديقه القديم أبا الفضل الميكالى الذى أشار عليه بتأليف كتاب فى اللغه ،وفتح له مكتبته ليأخذ من الكتب مايريد ،فألف كتابه " فقه اللغة وسر العربية " وقدمه الى أبى الفضل "(١) .

وعكف فى شيخوخته على تأليف ذيل لكتابه " يتيمة الدهر " ،سماه " تتمة اليتيمة " أورد فيه تراجم كثير من حاشية السلطان مسعود بن السلطان محمود من الادباء ، ويبدو أن العمل فى هذا الكتاب استغرق بقية عمره بعد أن شاخ وهرم ، وصرح بذلك فى كتابه " تتمة اليتيمة " نفسه(٢) .

اتصالاتـــه :

من خلال اقامته بنيسابور وتنقله بين الدويلات الاسلامية المتفرقة اتصل بطائفة من رجال الأدب والملك فى عصره ، منهم الأمير ابو الفضل الميكالى والأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه والسلطان قابوس بن وشمكير (شمس المعالى) والسلطان محمود بن سبكتكين (يمين الدولة) وابو الفتح البستى وسهل بن المرزبان وغيرهم واليك لمحة عن حياة كل واحد منهم :

١ـ الأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالى :

وقد ذكرته أولا لأنه اكثر اتصالا والتصاقا به لدرجة أنه أصبح صديقا له ، وهو من اسرة قديمة العهد بالمجد ، وهو أشهر اعلامها ،ذكره ابن شاكر الكتبى ،قال : " كان أوحد خراسان فى ذلك العصر أدبا وفضلا ونسبا ، حسن الخلق ، مليح الوجه والشمائل ، كثير القراءة ، دائم العبادة ، سخى النفس ، وله من التصانيف كتاب (المنتحل)، وكتاب (مخزون البلاغة) ديوان رسائله ، ديوان شعره ، كتاب (ملح الخواطر ومنح الجواهر) ومن شعره :

---

(١) فقه اللغة ١٦

(٢) تتمة اليتيمة ١ : ٢٦ و ٢٨ و ٣١ و ٤٥ و ٧٣

اذا ماجاد بالأموال ثـــنى * ولم تدركه فى الجود الندا مـــه
وان هـجست خواطره بجمـــح * لريب حوادث قال الندى مـــه (١)

وذكر له الحصرى فى " زهر الاداب " فصلا من كتاب الى أبى منصور الثعالبى :
" وصل كتاب مولاى وسيدى أبدع الكتب هوادى واعجازا ، وأبرعها بلاغة واعجازا ، فحسبت الفاظه در السحاب ، أو أصفى قطرا وديمة ، ومعانيه در السخاب ، بـــل أوفى قدرا وقيمة ، وتأملت الابيات فوجدتها فائقة النظم والرصف عبقة النسيم والعرف فائزة بقداح الحسن والظرف ، مالكة لزمام القلب والطرف ، ولا غرو أن يصدر مثلهـا عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يمتعـه بما منحه من هذه الغرر والأوضاح ، كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح " (٢)

ولنسمع أبا منصور يصفه قائلا : " من أراد أن يسمع سر النظم وسحر الشعر ورقيـة الدهر ، ويرى صوب العقل وذوب الطرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ماأسفر عنه طبع مجده ، وأثمره عالى فكره من ملح تمتزج بالنفوس لنفاستها وتشرب بالقلوب لسلاستها :

قواف اذا ما رواها المشـــوق * هزت لها الغانيات القـــدودا
كسون عبيدا ثياب العبيـــد * وأضحى لبيد لديها بليـــدا

وأيم الله ماهو يوم اسعفنى فيه الزمان بمواجهة وجهه ، واسعدنى بالاقتباس من نوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ، ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من الحاظه ، وانتهبت فضائل الفوائد من الفاظه ، الا تذكرت ماانشدنيه أدام الله تاييده لابن الرومى :

لولا عجائب صنع الله ما نبتـــت * تلك الفضائل فى لحم ولا عصـــب

وقول الطائى :

فلو صورت نفسك لم تزدهـــــا * على مافيك من كرم الطبـــــاع

وقول كشاجم :

ماكان أحوج ذا الكمال الـــى * عيب يوقيه من العـــــين

(١) فوات الوفيات حـ ٢ ص ٥٢
(٢) زهر الآداب حـ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩

وبحث بقول أبى الطيب :

فان تفق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه بيان أبى اسحق الصابى حيث يقول للصاحب " ورثة الله اعمارها كما بلغه فى البلاغة أقدارها "

الله حسبى فيك من كل ما * تعود العبد على المولى

فلا تزل ترفل فى نعمة * انت بها من غيرك الأولى (١)

هذا وكانت لأبى الفضل آثار كثيرة لم يبق منها الا شذرات متفرقة فى (اليتيمة) و (ثمار القلوب) و (زهر الآداب) ، وهو ملتزم السجع والازدواج فى رشاقة وعذوبة واتساق .

وينوه الدكتور زكى مبارك بفنون الميكالى ، فيقول : " وأظهر الفنون التى كان يجيدها الميكالى هو فن الاخوانيات ، ورسائله الى أصدقائه مشربة بأنفاس الحنين ، حتى لتحسبها رسائل عاشق لا رسائل صديق . وكان قلمه من أفصح الاقلام فى وصف الكتب يتهاداها الأصدقاء ، وبجانب هذه البراعة كان الميكالى كريم الاخلاق ، وأدبه مقسم بين كتاب شوق ، أو رسالة عتب ، أو كلمة توجع ، أو خطاب اقتضاء ، أو مالكة تهنئة ، أو نميقة ثناء . والظاهر ان الميكالى كان بليغ الأثر فى أنفس معاصريه ، وأن فريقا منهم كان يؤلف الكتب بارشاده وفى ضوء فكره ، لأنه فيما يظهر من شعره ونثره كان قوة عظيمة من القوى الأدبية ، وكان غنيا فكان بيته ملجأ الشعراء والكتاب والمؤلفين ، صنعته فى شعره أظهر منها فى نثره ، فهو حين ينثر سهل الخليقة ، فاذا نظم تكلف ، وهو يؤثر الجناس على سائر انواع البديع . " (٢)

ويقول الباخرزى تلميذ الثعالبى فى أبى الفضل : " لو قيل لى : من أمير الفضل ؟ لقلت : الأمير أبو الفضل ... وهو كاتب شاعر ألف الثعالبى له كتاب " ثمار القلوب " ، فأما أدبه فقد كان على ذبول عوده غضا يكاد يغض من أزهار الربيع غضا ، وأما شعره فقد أعلن اهل الصناعة بشعار الانتماء اليه ، ورفرفت الشعراء بأجنحة الاستفادة عليه ، وأما رسائله فوسل بدر وسلك لا يخونه الدر ، ومن تأمل منثوره فى " المخزون " علم أنه فرحة

---

(١) زهر الآداب جـ١ ص ١٧٣ ، فقه اللغة / المقدمة للثعالبى ص ٤ ، ٥ .
(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع ٣١٩ — ٣٢١

المخزون ، وشفاء القلب السليم ، وعقلة المستوفز ، وأنس المقيم . ويذكر لنا مؤلفاته منها (مخزون البلاغة) و (ملح الخواطر ومنح الجواهر) توفى سنة ست وثلاثين واربعمائة ، كان لأبي منصور خصوصيته به " (١) .

لقد ذكر الباخرزى كتابا باحدا اهداء الثعالبى لأبي الفضل وهذا أعتبره ضنا من التلميذ العاق لاستاذه الثعالبى علما بأنه الف ايضا من أهم كتبه وهو " فقه اللغة " واهداه لأبي الفضل .

٢ـ الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زياد بن وردانشاه الجيلي أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان (٢) :ـ

كان يتمتع بشخصية جذابة شغلت أرفع منزلة بين كتاب القرن الرابع وسار ذكرها بين ادباء الأندلس حتى عده ابن شهيد ضريعا لبديع الزمان ، " وكان للظروف القاسية التى عاناها فى حياته السياسية أثر بليغ فى طبع مواهبه الأدبية بذلك الطابع المحزن الذى يغلب على شعره ونثره . وهو يذكرنا بالمعتمد بن عباد الأندلسي فكلاهما يبكى ملكه وحظه ومجده . " (٣) . وله شعر ممتاز ، قال الثعالبي فى اليتيمة (٤) : " أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك وغرة الزمان وينبوع العدل والاحسان ، ومن جمع الله الى عزة الملم بسطة القلم ، والى فضل الحكمة فضل الحكم ، ثم قال : " ومن مشهورما ينسب اليه من الشعر قوله :

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
فان تكن عبثت أيدى الزمان بنا * ومسنا من تمادى بؤسه ضرر
ففى السماء نجوم مالها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

---

(١) دمية القصر حـ ٢ ص١٤٧ .
(٢) وفيات الأعيان / المجلد الرابع ص٧٩
(٣) النثر الفنى فى القرن الرابع حـ ٢ ص٢٧٧
(٤) يتيمة الدهر حـ٤ ص٥٩ ـ ٦١

وينسب اليه اروع ماقيل فى التشبيب :

خطرات ذكرك تستثير مودتـــي * فأحس منها فى الفؤاد دبيبـــا
لا عضولي الا وفيه صبابـــة * فكأن أعضائي خلقن قلوبـــا

يذكر له جملة من النثر ايضا ، فكان نثره من اعاجيبفن الانشاء ،وفيه الصنعة الدقيقة تخفى الا على الفحول ، فقد ذكره الدكتور زكى مبارك وقال : " وهو نثر مصنوع صنعة دقيقة جدا لا يدركنهها الا الفحول ، وقد عنى بدراسته من المتقدمين عبـــد الرحمن اليزدادى الذى أختار من رسائله ماسماه " كمال البلاغة " ،ثم يعود ويذكر أن قابوس بن وشمكير يلتزم الصنعة فى اكثر من مايكتب حتى فى الموضوعات الفلسفيـة ، له نظرات فلسفية منها : رأيه فى العالم ، وتقدير لنفس الحيوان ، وله آراء فى الفلك والنجوم ، وهى صورة لمعارف أهل عصره فى هذا العلم " (١) .

" وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها ، وخطه فى نهاية الحسن ،غير أنه كان على ماخص به من المناقب والرأى البصير بالعواقب مر السياسة ، لا يساغ كأســه ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه ، يقابل زلة القدم باراقة الدم ، لا يذكر العفو عنـــد الغضب ، فما زال على هذا الخلق حتى إستوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب عنه فأجمع أعيان عسكره على خلعه ، وتنصيب ابنه مكانه . " (٢)

هذا وقد ترجم عن شمس المعالى أبو منصور الثعالبى فى كتاب ألفه له ،قـــال فى أوله : " أما على أثر حمد الله الذى هو أول كتابه وآخر دعوى ساكنى دار ثوابه ، والصلاة على خيرته من بريته وعلى الصفوة من ذريته ،فان خير الكلام من شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك إلى بسطة العلم ونور الحكمة الى نفوذ الحكم ، وجعله مميزا على ملوك العصر ، ومدبرى الأرض ،وولاة الأمر ،بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يـــدرك أقلها بالعبادات ، ومحاسن سير الانام تطرسها أسنة الأقلام ،وتدرسها الســنة الليالى والأيام ، وهذه صفة تغنى عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه اياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ،ولعلم سامعها ببديهة السماع انها للأمير

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع جـ٢ ص٢٧٨ — ٢٨٠
(٢) وفيات الأعيان / المجلد الرابع/ ص٨٠ و ٨١

شمس المعالي خالصة وعليه مقصورة ، وبه لاحقة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخيار ، واجماع الأولياء ، واتفاق الاعداء - كامل المجد ، وكافى الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلغه الله اقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ، وملكه أزمة الأمر ، كما ملكه أعلة الفضل ، وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بادامة أيامه التى هى أعياد الدهر ، ومواسم اليمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شبابا ونموا ، كما زاده فى الشرف علوا حتى تكون السعادات وفد بابه ، والبشائر قرى سمعه ، والمسار غذاء نفسه ، ويتراءى به الاقبال الى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل . " (١)

٣- الأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه : كان أديبا عالما ، أحب العلماء والأدباء وقربهم اليه فى مجلسه ، وأحاطهم برعايته ، وبذل لهم العطاء الوافر . " وقد علم السلطان محمود ابن سبكتكين أن فى مجلس مأمون بن مأمون (من أمراء خوارزم) جماعة من رجال العلم والفلسفة ، منهم ابن سينا والبيرونى وأبو سهل المسيحى وابن الخمار وأبو نصر العراق ، فكتب اليه أن يرسلهم ليشرفوا بمجلسه ويستفيد من علمهم ، فجمعهم مأمون وقرأ عليهم كتاب السلطان ، فأبى ابن سينا وفر ، وقبل البيرونى وابن الخمار والعراق . " (٢)

وقد ألف له الثعالبى كتاب (النهاية فى الكناية) ذكره الاستاذ احمد امين (٣) .

وذكر الاستاذ عبد الفتاح الحلو أن الثعالبى اتصل بالأمير خوارزم شاه وخده بكتابه (الملوكى) (٤) .

٤- أبو عبد الله الحمدونى وزير خوارزم شاه : اتصل به الثعالبى ، وقد عرفنا مكانته عنده ، وقدم اليه كتابه " تحفة الوزراء " (٥)

٥- الوزير سهل بن المرزبان : الذى كانت تربطه بالثعالبى صداقة ومودة وتدلنا على

---

(١) زهر الآداب حـ٢ ص٤١٦ (٢) ظهر الاسلام حـ١ ص٢٨٦

(٣) المصدر نفسه حـ١ ص٢٧٦

(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبى / مقدمة المحقق ص ٥ .

(٥) المصدر نفسه " " " ص ٥ .

ذلك الطرفة التي جرت بينهما ، قال الثعالبي : قال لي سهل بن المرزبان يوما : " ان من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل ... الخ " (١)

وكتب الثعالبي الى أبي نصر سهل بن المرزبان يحاجيه :

حاجيت شمس العلم في ذا العصر .

فكتب اليه جوابه :

يا بحر آداب بغير جزر

٦ـ السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين : سار على اسلوب العصر في أن يزين مملكته بالعلماء والأدباء كما يزين تاجه باللآلئ ، " ولما فتح اقليم خراسان وسائر ايران وما وراء النهر وسجستان وجه الأدباء مديحهم اليه ، فبديع الزمان ينشئ القصائد في مدحه ، كالتي يقول فيها :

تعالى الله ماشـــاء * وزاد الله ايمانـــي
أأفريدون في التـــاج * أم الاسكندر الثانـــي
أم الرجعة قد عـــادت * الينا بسليمـــان
أظلت شمس محمـــود * على انجم سامـــان

وكذلك انشأ أبو منصور الثعالبي القصائد في مدحه يقول في احداها :

ياخاتم الملك ويافاتح الـ * أملاك بين الأخذ والصفـــح
عليك عين الله من فاتـــح * للأرض مستول على النجـــح
راياته تنطق بالنصر بـــل * تكاد تملأ كتب الفتـــح
فاسعد بأيامك واستغرق الـ * أعداء بالكبح والذبـــح (٢)

٧ـ ابو الفتح البستي : كان كاتب السلطان محمود ، وموضع سره ومستشاره في أمره ، وهو أديب كبير له شعر جيد ونثر جيد ، فأما شعره فأكثره مقطوعات يعمد فيها الى المعنى الدقيق ، فيصوغه في لفظ رشيق ، وأما نثره فواضح جميل ، فيه السجع والازدواج على طريقة عصره ، وهو في نثره يكثر من الأمثال ، وفي نظمه يكثر

(١) الوافي بالوفيات حـ ١٦ ورقة ١٠٠ ظهر .
(٢) ظهر الاسلام حـ١ ص١ ٢٨ ـ ٢٨٥

من الحكم "[1] قال فيه الثعالبي : " ان له طريقة خاصة به ، فهو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الانيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة . "[2]

" كذلك تظهر طريقته في شعره من دقة المعنى ، واناقة اللفظ في مثل قوله :

لا يغرنك انني لين المس ☆ فحروني اذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ☆ ثم فيه للآخرين زكام

ويظهر أن له ثقافة واسعة في علم النجوم استخدمها كثيرا في شعره ، وعلى الجملة فشعره ونثره يدلان على رقة ذوقه وسعة ثقافته . "[3]

٨ـ هذا وقد ذكر الاستاذ عبد الفتاح الحلو[4] طائفة من الذين اتصل بهم الثعالبي منهم : أبو المظفر ناصر الدين سبكتكين صاحب الجيش وأخو السلطان محمود الغزنوي ، والسلطان مسعود بن سبكتكين ، والسلطان محمد بن محمود سبكتكين ، والشيخ العارض أبو الحسن مسافر بن الحسن ، وأبو سليمان حمد بن محمد الخطابي شيخ الثعالبي ، وأبو حفص عمر بن علي المطوعي ، وصاحب الجيش ابو عمران موسى بن هارون الكردي ، والرئيس ابو سهل احمد بن الحسن الحمدوني ، وأبو الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمري والشيخ أبو الحسن محمد بن عيسى الكرجي ، والقاضي أبو الحسن المؤمل بن الخليل بن احمد البستي ، وأبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي الكاتب ، وأبو معمر المفضل بن أبي سعد الاسماعيلي ، والوزير ابو نصر أحمد بن محمد ، والعميد أبو منصور بن مشكان الكاتب ، وأبو غانم معروف بن محمد القصري ، وأبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور ، والاستاذ أبو القاسم عبد الواحد الأصبهاني ، والقاضي الهروي ، وأبو محمد الحسن بن المؤمل الحربي ، وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد .

أما عن اتصال الثعالبي بالصاحب بن عباد ، فقد ورد ذلك في مقدمة محقق

---

(١) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٨١ — ٢٨٥

(٢) يتيمة الدهر جـ٤ ص ٣٠٢ (٣) ظهر الاسلام جـ١ ص ٢٨١ـ٢٨٥

(٤) مجلة المورد / وزارة الاعلام العراقية / مجلد ٦ عدد ١ سنة ١٩٧٧م ص ١٤٠

" التمثيل والمحاضرة " حيث يقول : " واتصل - يعني الثعالبي - بالصاحب بن عباد ، وخدمه بكتابي " لطائف المعارف " (١) . وذكر ذلك الاستاذ أحمد أمين حين قال : " ونرى مثلا ابا منصور الثعالبي يؤلف كتابه " لطائف المعارف " للصاحب بن عباد . " (٢)

بينما نجد محققي " فقه اللغة وسر العربية " لم يذكروا ذلك عندما قالوا : " فقد عرفنا عن الثعالبي أنه نشأ في جوار الأمير ابي الفضل الميكالي وفي ظل الوزير سهل بن المرزبان ، تربط بينهم جميعا صداقة ومودة ، وكشف لك عن بعضها شعره اليهما ، كما عرفنا محله من خوارزم شاه ووزير أبي عبد الله الحمدوني . " (٣)

وعندي ماينفي الرأي القائل بأنه اتصل بالصاحب ، وبخاصة بعد أن " فضل الثعالبي في يتيمة ، شعراء عرب الشام على شعراء سائر البلدان ، يذكر بعد هذا التفضيل أن جماعة من أصحاب أبي القاسم اسماعيل بن عباد أخبروه أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم . " (٤)

وحدث الثعالبي نقلا عن أبي نصر التهذيبي ، بأنه قال : " سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني يقول : انصرفت يوما من دار الصاحب وذلك قبيل العيد ... الخ " (٥)

وهكذا لا نجد في كتاب اليتيمة أن الثعالبي شافه الصاحب كعادته عندما ينقل خبرا عن شخصيته ادبية فانه يقول سمعت فلانا ، أو روى لي فلان كذا وكذا ..

وبهذا نستدل على أن الثعالبي لم يتصل بالصاحب .

وأما بخصوص اتصاله بسيف الدولة فقد ذكر الدكتور عمر فروخ " بأن سيف الدولة

---

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ص ٥ .
(٢) ظهر الاسلام ح ١ ص ٢٧٦
(٣) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي / مقدمة المحققين / ص رقم (ط) .
(٤) يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ١٣ (٥) المصدر نفسه ١ : ١٣

انشأ بلاطا فى حلب جمع من الادباء والشعراء والعلماء مالم يجتمع مثله الا فى بلاط الرشيد فى بغداد ، نجد من هؤلاء المتنبى وأبا فراس وأبا الفرج الاصفهانى والثعالبى وابن خالويه والفارابى . " (١)

وهذه زلة قلم لأن سيف الدولة توفى سنة ٣٥٦ هـ وولد الثعالبى سنة ٣٥٠ هـ أى كان عمر الثعالبى ست سنوات عند وفاة سيف الدولة .

تلاميذه :

لم يرد فى كتب الادب من تلاميذ الثعالبى الا اسم الباخرزى وهو أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى صاحب " دمية القصر " فقد كان والده والثعالبى صنوين ، تلاصق الدار الدار ، ويجمع بينهما جوار ، ويدور بينهما فى الأدب حوار ، وتجرى لهما فى المعارضة اشعار . لقد نشأ الباخرزى فى حجر أبى منصور ، يأخذ من أدبه ، ويفيد من كتبه ، ويربط سببه بسببه ، وابو منصور يرعاه بعطفه ويلحظه بطرفه ، وينشئه على لفه ، . يقول الباخرزى فى " دمية القصر " : " وكنت وأنا بعد فرخ أزغب ، فى الاستضاءة بنوره - يعنى الثعالبى - أرغب ، وكان هو ووالدى بنيسابور لصيقى دار وقريبى جوار ، فكم جملة كتبت كانت تدور بينهما فى الاخوانيات ، وقصائد يتعارضات بها فى المجاوبات ، ومازال بى رؤوفا ، وعلى حانيا حتى ظننته أبا ثانيا ، رحمه الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج قاره . " (٢)

وقد ورد فى مقدمة " لطائف المعارف " : " وكأنى بهذا الصديق على بن الحسن والد أبى الحسن قد ترك الدنيا وترك لصديقه أبى منصور هذا الناشىء الصغير ، فكفله أبو منصور ، وأحسن كفالته ، وما نسى هذا الناشىء حين شب وكان من المؤلفين أن يذكر هذا الفضل لأبى منصور ، وأن يكون واحدا من هؤلاء الذين ترجموا له .

وقد كنا نحب أن نقرأها كلمة طويلة ، تفصل شيئا من حياة أبى منصور الخاصة التى لا تفصل عن المؤلفين المعاصرين غير البعيدين عمن يكتبون عنهم . " (٣)

---

(١) تاريخ الأدب العربى / الأعصر العباسية ص٤٠٠

(٢) دمية القصر ١٨٣

(٣) لطائف المعارف / مقدمة المحققين ص١٠ ٩

ولكن على الرغم من هذا الجوار القريب وتلك الصلة الوطيدة ، فلقد ضن على استاذه الذى أخذ من أدبه وأفاد من كتبه ،لم يذكر غير خبر مألوف وحديث معروف فكان تلميذا عاقا .

وقد ذكره الاستاذ الرافعي فقال : " وضع على بن الحسن المعروف بالباخرزى كتابه " دمية القصر " الذى جعله ذيلا على (اليتيمة) للثعالبى ،عقد فيه فصلا لأئمة الأدب قال فى أوله " هؤلاء قوم ليس لهم فى دواوين الشعر رسم ،ولا فى قوانين الشعراء اسم " ثم ترجم طائفة من علماء اللغة كأبى الحسين بن فارس صاحب (فقه اللغة) وابن جنى النحوى ، وأسد العامرى ، والجوهرى صاحب الصحاح ، وتلميذه ابى صالح الوراق ، فدل صنيعه على أن الشعراء يومئذ كانوا هم المستبدين بلقب الأدباء . والباخرزى نسبة الى باخرز: ناحية من نواحى نيسابور ،وقتل على هذا فى بعض مجالس الأنس سنة ٤٦٧ هـ . " (١)

ولنا أن نستشف فلسفته فى الحياة من بيتين قالهما وذكرهما له ابن معصوم المدنى : وهو أنه يريد أن يصرف كل ماله قبل موته ، وأن يعمر شباب عمره بالشراب فيلوم نفسه اذا ترك الشراب قبل الشيب وملوم عنده مورث ماله يقول :

ساعمر بالشراب شباب عمرى * فترك الشرب قبل الشيب لوم
وأبذل فضل مالى قبل موتى * فمورث ماله عندى ملوم (٢)

ولكن شارح كتاب معجم الادباء لياقوت ذكر فى الهامش نقلا عن (طبقات الشافعية حـ٣ ص٢٩٨) أن الباخرزى مصنف (دمية القصر) ، والدمية ذيل على تتمة الثعالبى ، تفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ،ثم أخذ فى الأدب وتنقلت به الأحوال الى أن قتل سنة سبع وستين وأربعمائة . وذكر ياقوت أن كنيته (أبو القاسم) (٣)

لعله تفقه على الشيخ الجوينى بعد أن أخذ عن الثعالبى .

---

(١) تاريخ آداب العرب حـ١ ص٢٦ ، ٢٧
(٢) انوار الربيع حـ١ ص١٧٢
(٣) معجم الأدباء حـ١٣ ص٣٣

وفاتــــه :

لقد اختلف المؤرخون والادباء في تحديد السنة التي توفي فيها أبو منصــور الثعالبي ، فبعضهم ذكره من وفيات سنة تسع وعشرين واربعمائة للهجرة ،ذكر ذلـك ابن خلكان (١) وابن كثير (٢) وأبو الفدا (٣) ، وتابعهم على ذلك المحدثون . وبعضهم قال أنه توفي سنة ثلاثين واربعمائة وهم : ابن قاضي شهبة (٤) وابن العماد الحنبلي (٥) والحافظ الذهبي (٦) . وآخرون لم يؤكدوا سنة وفاته ،بل تأرجح رأيهم بين سنة تســع وعشرين وثلاثين واربعمائة منهم الصفدي (٧) وصدر الدين بن معصوم المدني (٨) .

وليس فيما ورد بالنسبة لسنة وفاته كبير خلاف فالفرق بين الآراء يسير ،يكــاد يعلن أن وفاة الثعالبي كانت في آخر سنة تسع وعشرين ،فحدث هذا الاختلاف فـــي الآراء ، والسبب في هذا أن معظم كتب التراجم ذكرت أنه عاش ثمانين سنة .

ورثاه الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست الشاعر المشهور النيسابوري بقوله :

كان أبو منصور الثعالــــــبي * ابرع في الاداب من ثعلـــب

ليت الردى قد مني قبلــــــه * لكنه اروغ من ثعلـــــــب

يطعن من شاء من الناس بالموت كطعن الرمح بالثعلـــــــب (٩)

وقد غادر أبو منصور بعد أن ترك من الآثار ماسيظل قبسا هاديا يستضيء بــه عشاق المعرفة وطلاب الأدب.

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ .
(٢) البداية والنهاية ج١٢ ص٤٤
(٣) المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص١٦٢
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) شذرات الذهب ج٣ ص٢٤٧
(٦) المعبر في خبر من غبر ج٣ ص١٧٢
(٧) الوافي بالوفيات ج١٩ ورقة ٩٩ وجه
(٨) انوار الربيع ج ١ ص١٧٢
(٩) الوافي بالوفيات ج١٩ ورقة ١٠٠ وجه وظهر .

:: الفصل الثالث ::

(ثقافة الثعالبي ومصادرهـــــا)

لما كانت نفس الثعالبي تطمح الى الجاه والمكانة العليا عن طريق العلم والاستزادة منه ، والتوسع فيه ، فقد اتجه الى العلم والأدب ينهل من مواردهما ، ويعكف على استيعابهما ، ويطرق كل باب يوصل اليهما ،

وكان ممن اتصل بهم الأمير ابو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي الذى فتح له مكتبته الضخمة ، لينهل منها مايشاء ، وينقل منها مايريد ،

واتصل بالأدباء الكبار ولعل ابرزهم شيخه الخوارزمي محمد بن العباسي أصله من خوارزم ، وطوف في الشام ، ونزل ضيفا على سيف الدولة في حلب ، وعلى الصاحب ابن عباد في الري ، ثم عاد الى نيسابور ، " وكان يتعصب لبني بويه ويغض من سلطان خراسان ، ونكل به مرة من أجل ذلك ، ثم علت منزلته ثانية ، ونظر اليه أهل نيسابور بعين الاكرام والاعظام ، وعد امام الادباء ، حتى رمي ببديع الزمان الهمذاني وبلي بمساجلته ، وأعان البديع شبابه ولباقته ، ومساعدة خصوم الخوارزمي السياسيين للبديع ، فانخذل الخوارزمي انخذالا شديدا ، وكسف باله ، وانخفض طرفه ، ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره ومات سنة ٣٨٣ هـ "(١) وقد خلف لنا رسائله الأدبية القيمة على مافيها من تكلف احيانا جر اليه الغرام بالسجع والبديع ، وقد ورد في (نزهة الألبا) لأبي البركات الأنباري " أن الثعالبي أخذ عن الخوارزمي "(٢)

وقال محمد كرد علي في كتابه (كنوز الأجداد) : ان الثعالبي أخذ عن ابي بكر الخوارزمي "(٣)

أما في مقدمة كتاب (الاعجاز والايجاز) للثعالبي ، فيذكر (اسكند آصاف) " أن الثعالبي قد أخذ عن أشهر العلماء الثقات كابن السكيت وأبي عبيدة والأصمعي

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ١٢٧ (٢) نزهة الألبا ص ٣٦٥

(٣) كنوز الاجداد ص ٢٣٣

والخوارزمي وسيبوية والسيرافي والمبرد وابن جني وغيرهم • »(١)

ويبدو من ذلك أنه تثقف على آثارهم • وانتفع بما خلفوه •

ولما كان الخوارزمي هو شيخ الثعالبي •فاني مورد لمحة عن حياته :
أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير • كان اماما في اللغة والانساب • " ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان • فلما وصل اليه •قال لأحد حجابه: قل للصاحب على الباب أحد الادباء • وهو يستأذن في الدخول •فدخل الحاجب واعلمه • فقال الصاحب: قل له : قد ألزمت نفسي أن لا يدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك •فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ماقال • فقال الصاحب : هذا يريد أن يكون أبا بكر الخوارزمي • فاذن له في الدخول • فدخل عليه •فعرفه وانبسط له • »(٢)

وقد عده الدكتور زكي مبارك " من الشخصيات التي نهضت بالأدب العربي • وشغلت الناس عدة أجيال •وكان شاعرا • ولكن ديوانه ضاع ولم يبق من شعره الا القليل • وما أثر عنه من الشعر يدل على أن كتابته خير من شعره • »(٣)

أما ابو اسحق الحصري فيقول فيه : " انه كان رافضيا غاليا • وكان فاحشا بذيئا •مستخفا جريئا على ذوي الأنعام عليه والاحسان اليه • قال ابن عباد لما بلغه موته :

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم؟ قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم (٤)

هذا هو شيخ الثعالبي الذي أخذ عنه كما ذكرته كتب التراجم •ولكن الاستاذ عبد الفتاح الحلو ذكر " أن له شيخا آخر هو أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي • »(٥)

---

(١) الاعجاز والايجاز للثعالبي / تقديم اسكندر آصاف ص٥
(٢) وفيات الأعيان / المجلد الرابع/ ص٤٠٠ (٣) النثر الفني في القرن الرابع ص٢٥٩ — ٢٦١
(٤) ذيل زهر الآداب ص ٢٠٦ — ٢٠٨
(٥) مجلة المورد / وزارة الاعلام العراقية/مجلد ٦ عدد ١ سنة ٩٧٧ ام ص١٤٠

ومن الذين أخذ عنهم أبو منصور في جمع اشعار اليتيمة ونثرها : ابن لبيب غلام البيغاء وكتاب (التحف الطرف) ومحمد بن عمر الزاهر وعبد الصمد بن وهب المصري وأبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وأبو سعيد بن دوست وأبو الحسن محمد بن احمد الافريقي المتيم لسيف الدولة وأبو نصر سهل بن المرزبان وأبو حفص عمر بن علي الفقيه وأبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ،وأبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه (روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات) وأبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان وأبو الفضل الميكالي .

لقد كان الثعالبي جامعا لأشتات العلم والادب في عصره ،حتى عده الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري عندما رثاه بأنه أبرع في الاداب من ثعلب حين قال :

كان ابو منصور الثعالبي * ابرع في الآداب من ثعلب

وهذا ما دفع أبا يعقوب صاحب كتاب (البلاغة) الى قوله في الثعالبي :

وقيت نوائب الدنيا جميعا * فأنت اليوم حافظ أهل عصرك

ولم يكن الثعالبي متخصصا في فرع بل كان ينهل من كل مورد ،فخاض في علوم اخرى كالنقد والبلاغة واللغة والتاريخ ، فأصبح بحق الأديب الشاعر الناقد الناثر البليغ الفصيح اللغوي الحافظ الأمين حتى كونت مؤلفاته موسوعة لثقافة القرن الرابع لا يكاد يستغني عنها عالم أو أديب .

ومن دراستي لآثار الثعالبي وما كتب عنه قديما وحديثا ، تبين لي أن أعظم مؤثر في ثقافته الواسعة هو كتاب العربية الأكبر ــ القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم يعتبر الكتاب الأوحد الذي أثر في حياة البشرية كلها ،ومنهم الكتاب والشعراء والساسة ، وما زال مصدرهم الرئيسي الذي يعتمدون عليه ، وينهلون منه الى يومنا هذا .

فلا غرو أن يتأثر صاحبنا بالقرآن الكريم الذي أدهش العرب لما سمعوه ، وحير البابهم وعقولهم بسحر بيانه ،وروعة معانيه ، ودقة أئتلاف الفاظه . ولا عجب

أن يكثر من استشهاده بآياته فى جل مؤلفاته ، ويضمنها شعره ونثره حتى أنه ألف كتابا برأسه فى الاقتباس منه .

والمطلع على مؤلفاته يرى أنه يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية فى المواضع المناسبة وبخاصة فى كتابه "فقه اللغة وسر العربية " القسم الثانى ،حيث جعله له عنوانا صريحا بذلك "سر العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها " وهكذا نجده قد خص القرآن الكريم بدراسة واسعة متعددة النواحى ، وقد أحب اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن ، وهى المفتاح لمعرفة كنوزه ،ويلاحظ عليه أنه قد أحب العرب ، وهذا ليس بعجيب فهم طلائع الاسلام الرائدة ومنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وكل من يطالع مؤلفات أبى منصور الثعالبى لا يخفى عليه حبه لله تعالى ولرسوله الكريم وللعرب وللعربية التى شرفها الله بنزول افضل الكتب بها .

وانني لأجد هذا صراحة فى افتتاحية خطبة كتابه (فقه اللغة) ،يقول بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على محمد وآله " فانه من أحب الله أحب الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبى العربى أحب العرب ،ومن أحب العرب أحب العربية التى نزل بها افضل الكتب على افضل العجم والعرب "(١)

ويقول : " انه لو لم يكن فى الاحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصارفها ، والتبحر فى جلائلها ودقائقها الا قوة اليقين فى معرفة اعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى اثبات النبوة ، لكفى بهما فضلا يحسن أثره ويطيب فى الدارين ثمرة "(٢)

ومما كان له الأثر أيضا على ثقافة أبى منصور ، التراث الضخم من الثقافتين العربية والأجنبية المترجمة ، الذى حمل ثمار قرائح عباقرة العلماء والادباء من العرب وغير العرب من الامم المجاورة بفضل الكتب المترجمة عن اليونانية واللاتينية ، حيث كانت الترجمة متوفرة فى ذلك العصر ،فتأثر صاحبنا بها .

---

(١) فقه اللغة وسر العربية / المقدمة ص ٢
(٢) المصدر نفسه ص ٣

نعم أفاد الثعالبي من هذا التراث ، ولكنه خدم به كل طالب علم وأدب جاء بعده ، وما زال يخدم أبناء الأمة العربية بآثاره التي خلفها لنا ، ويقدمها غـــذاء قويا للعقول والأذواق " ووضع أمام قرائه صورا مختلفة للقرائح والعبقريات الـــتي عرفها بنفسه ، أو سمع بأخبارها ، أو قرأ آثارها ، حتى ليمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين ، "(١)

* * *

---

(١) النثر الفني القرن الرابع حـ٢ ص ١٨٠

:: الباب الثاني ::

:: الفصـــل الأول ::

شعر الثعالـــــبى

أغراضه :

لقد خضع الشعر العربى فى عصر الثعالبى لمؤثرات كان لها أطيب الأثر فى اظهار خلاصة قرائح الأدباء والشعراء وفى تنوع الأغراض الشعرية • فكان أن تأثـر الشعر بالبيئة التى كانوا يعيشون فيها وبالظروف السياسية والظروف الاجتماعية •

وبديهى أن يتأثر الثعالبى ابن ذلك العصر بهذه المؤثرات فكان من تأثيره بالبيئة أن أوحى اليه جمال المتنزهات بوصف مظاهر الجمال وكان من تأثره بالظروف السياسية شعره فى التهنئة بالفتوح والانتصار فى الغزوات وماكتبه فى تاريخ وفـاة بعض ملوك عصره • وكان من تأثره بالظروف الاجتماعية ماكتبه فى الاخوانيات وفـى شكواه من سوء الحالة الاقتصادية •

ومن الاغراض التى حظيت بنصيب وافر من شعره : المديح والوصف والغـزل بنوعيه (بالمؤنث والمذكر) والاخوانيات والخمريات والشكوى والحكمة ونظم الأمثـال والزهد والرثاء •

وأحيانا كان يمزج بين الغزل والشكوى (١) من البسيط

ريق الحبيب كريق المزن والعنـب
اذاقنى ثمرات اللهو والطـرب
وقد سرقت من الأيام صفوتهـــا
فكيف أهرب منها وهى فى طلبى

وقد مزج بين الوصف والخمريات والاخوانيات والغزل وقال (٢) من (الخفيف)

هذه ليلة لها بهجة الطـــا
ووس حسنا • واللون لون الغـداف
وقد الدهر وساة
ناه خطا من السرور الشافـــى

(١) خاص الخاص ٢٢٣ وثمار القلوب ٦٥٦
(٢) من غاب عنه المطرب ٢٥٧ خاص الخاص ٢٣٦ دمية القصر ٢ : ٢٢٨

بمدام صاف وخل مصـــــاف
وحبيب واف وسعد موانـــــى

وهذا المزج يلائم الميل العام الى جمع الصور والألوان الجديدة فى العمـل الفنى الواحد (١) أما أغراض شعره التى اكثر منها فهى :

١ـ المديح :

كانت جل اغراضه التى عالجها صاحبنا فى شعره تدور حول الحياة الـــتى كان يحياها ، وكان المديح فى شعره كثيرا يتوجه فيه الى أولياء نعمته من السلاطين والوزراء وهم كثير ، ولعل اقرب هؤلاء الزعماء والأمراء الى قلبه كان الميكالى الـذى جمع بين المال والجاه والأدب وقد أغدق عليه الأموال والضيعات فجاء شعـــــره مشحونا بالمبالغات والتهويل ، ونقرأ فيه ذلة الخضوع والضراعة التى نأباها ونرفضها وتلك كانت طبيعة عصره الذى نأت الحياة فيه عن مظاهر البساطة وجنحت فيــــه المعانى الى الغلو الذى يشين والذى يقرب من الكذب .

يقول فى أبى الفضل الميكالى (٢) : (من الكامل) وقد زاره الأمير فى داره

لا زال مجدك للسماء رســـيلا * وعلو مجدك بالخلود كفيـــلا
ياغرة الزمن البهيم اذا غــدا * أهل العلا لزمانهم تحجيـــلا
يا زائرا مدت سحائب طولـــه * ظلا على من الجمال ظليـــلا
وأنت بصوب جواهر من لفظـــه * حتى انتظمن لمفرقى اكليـــلا
بأبى وغير أبى هلال نـــوره * تستعجل التسبيح والتهليـــلا
نقشت حوافر طرفه فى عرصتـــى * نقشا محوت رسومه تقبيـــــلا
ولو استطعت فرشت مسقط خطوه * بجفون عين لا ترى التكحيـــلا
ونثرت روحى بعدما ملكت يـدى * وخررت بين يدى هواه قتيـــلا

ونراه عندما يعاتب أبا الفضل يستهل عتابه بالمدح الذى يرفع ممدوحه الى عنـــان السماء (من السريع)

ياسيدا بالمكرمات ارتـــدى * وانتعل العيوق والفرقــــدا
مالك لا تجرى على مقتضـــى * مودة طال عليها المــــدى

---

(١) الثعالبى ناقدا وأديبا ٤٥٨ (٢) زهرة الآداب حـ٢ : ٣٦٥

ان غبت لم أطلب وهذا سليمان بن داود بني الهدى

تفقد الطير على شغله * فقال : مالي لا أرى الهدهدا .

وقد علق تلميذه الباخرزي على هذه الأبيات فقال : ووقعت الى بعد وفاته يريد الثعالبي مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه وعليها آثار بنانه . فالتقطت منها مايصلح لكتابي هذا من أوساط عقودها وأناسي عيونها عن ذلك ماكتب الى الأمير أبي الفضل الميكالي يعاتبه (١) : وأورد الأبيات . ومن هذه الأبيات التي ذكرت الاحظ اتساع ثقافة الثعالبي وعلمه بالفلك وفقهه بالدين . هذا ويواصل مديحه لأبي الفضل فيمدحه ببلاغته وروعة شعره ونثره فيقول فيه (٢) (من المنسرح)

سبحان ربي تبارك الله ما * أشبه بعض الكلام بالعسل

والدر والسحر والرقى وابنة الـ * كرم وحلي الحسان والحلل

مثل كلام الأمير سيدنا * نظما ونثرا يسير كالمثل

ويمدح ألفاظه الغر وكلامه الحر ومعروفه الذي يستعبد الحر فيقول (٣) (من السريع)

اني أرى ألفاظك الغرا * عدلت الياقوت والدرا

لك الكلام الحر يامن غدا * معروفه يستعبد الحرا

وعندما أهداه الميكالي فرسا مدحه بقوله (٤) من الكامل

ياواهب الطرف الجواد كأنما * قد انعلوه بالرياح الأربعة

كالجاحم المشبوب او كالهاطل الـ

مصبوب أو كالباشق المتسرع (٥)

لا شيء اسرع منه الأخاطري

في شكر نائلك اللطيف الموقع

ولو انني انصفت في اكرامه * لجلال مهديه الكريم الألمعي

اقضمته حب الفؤاد لحبه * وجعلت مربطه سواد المدمع

وخلعت ثم قطعت غير (مضيق) (٦) * برد الشباب لجلد والبرقع

---

(١) دمية القصر ١٨٣ (٢) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦ وأحسن ماسمعت ٤٥

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ودمية القصر ٢ : ٢٢٩ زهر الآداب ١٣٧ معاهد التنصيص ٢ ٤٧٢ خاص الخاص ٢٣٨

(٥) سقط هذا البيت من وفيات الأعيان ٢ : ٣٥١

(٦) (مضيع) في وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١

وقد ذكر محمد كرد علي في كتابه (كنوز الأجداد)[1] قصيدة للثعالبي يمدح فيها الأمير أبا الفضل الميكالي . (من الكامل)

لك في المفاخر معجزات جمة
أبدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه
خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
كالوشي في برد عليه موشع
شكرا فكم من فقرة لك كالغنى
وافى الكريم بعيد فقر مدقع
واذا تفتق نور شعرك ناضرا
فالحسن بين مرصع ومصرع
ارجلت فرسان الكلام ورضت أف
راس البديع وأنت أمجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعا
تزري بآثار الربيع الممرع

وقوله في السلطان محمود بن سبكتكين عندما فتح سجستان سنة ٣٩٢ هـ (٢) من السريع

يا خاتم الملك ويا قاهر الـ * أملاك بين الأخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح * للأرض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل * تكاد تملي كتب الفتح

---

(١) كنوز الاجداد ص ٢٣٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ، عيون التواريخ ٤٦٢ زهر الآداب ١ : ١٧٨ .

(٢) في ثمار القلوب سقط من الابيات الرابع والخامس والسابع ، والقصيدة كلها في اليميني للعتبي ورقة ١٢٤ وجه .

كم أثر في الدين أثرته * يقصر عنه أثر الصبح
وكم علا للمجد شيدتها * تثني عليها ألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء بالكبح والذبح
ودم رفيعا عالي القدح * ممتنع الملك عن القدح

ومدحه ايضا بقوله (١) من الكامل :

كتب الامير كتائب في المعركة * والرأي منه طيب داء المملكة
فاذا رمى بالظن خطبا مشكلا * اصبحت ستور الغيب عنه مهتكة

وعندما يمدح السلطان مسعود يضعه في مصاف الأنبياء ، فيقول (٢) من البسيط :

دع الاساطير والأنباء ناحية * وعاين الملك المنصور مسعودا
تر الأكابر طرا والملوك معا * ورستما وسليمان بن داودا

ونرى المبالغة المرذولة السخيفة عندما يقول فيه (٣) من الكامل :

نثرت عليك سعودها الافلاك
وغدت لغرة وجهك الأملاك
زوجت بالدنيا لأنك كفوها
فاسعد بها وليهنك الأملاك
والأرض دارك والورى لك أعبد
والبدر نعلك والسماء شراك

ومن الأمراء الذين حظي عندهم الثعالبي كما حظي كثير من العلماء والادباء من أمثال البيروني وابن سينا وغيرهما ، الأمير أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه ، ويبدو أن صاحبنا كان من المقربين لديه ، وقد اغدق الأمير على الثعالبي العطاء ، حتى أهدى له بعض كتبه ومدحه بشعر رقيق لا يخلو من المبالغات والتهويل كما مر بنا ، فقال فيه (٤) من الطويل

أقول لمولانا خوارزم شاه لا * تزل بنداك الغمر للناس مالكا
هل المجد الا خلة من خلالكا * أو البدر الا نقطة من جمالكا
جمعت المعالي والمحاسن كلها * وتاك اله الناس عين كمالكا

---

(١) تحفة الوزراء ص ٥٤ (٢) خاص الخاص ٢٣٧
(٣) خاص الخاص ٢٣٧ ، تتمة اليتيمة ١ : ١١٤ (٤) ثمار القلوب ٣٢٨

ويقول فيه (١) من السريع :

وسائل عن دمعي السائـــل * وحال لوني الكاسف الحائــل
قلت له والأرض في ناظـــري * اضيق منها كفة الحابـــل
بليت والله بمملوكـــــة * في مقلتيها ملكا بابـــل
أو سيــف مأمــون بــن مأمــون القــرم الهمام الملـك العاد ل
فان لحاني عاذل في الهوى * يوما فما العاذل بالعـــادل

وعندما يمدح أصدقاءه يقلل من التهويل ، ويجنح الى الألفاظ الرقيقة ، كقوله في مدح القاضي أبي الحسن المؤمل بن خليل بن أحمد البستي (٢) من مجـــزوء الخفيف :

يا زمانا نعيمــــــه * لم يحرج على يـــــدي
طيبـــة كالكـــرى يلـــــــم مجفـــــن المسهــــد
أو كخلـــق المؤمــــل بـــن خليـــل بـــن أحمد

وكان يمدح عدة اشخاص في البيت والبيتين كقوله (٣) من الطويل :

سقى الله أياما اشبه حسنهـــا * وقد كنت في روض من العيش ناضر
بشعر ابن معتز وخط ابن مقلة * ودولة مسعود وخلق مسافـــــر

وكان احيانا يمدح ممدوحه بأبيات ، ثم يستعيرها لمدح ممدوح آخر مع تغيير في بعض الفاظها ، وقد مدح الأمير خوارزم شاه ببيتين قال (٤) من البسيط :

وقصر ملك نرى كل الجمال بـــه * واسعد الدهر تبدو من جوانبـــه
كأنما جنة الفردوس قد نزلـــت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبـــه

ثم مدح بالبيتين السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وغير فيهما فقال (٥) من البسيط :

يادار ملك نرى كل الجمال بها * واسعد الدهر تبدو من جوانبها
كأنما جنة الفردوس قد نزلـــت * في أرض غزنة تعجيلا لصاحبهـــا

---

(١) ثمار القلوب ٢٣٣ ودمية القصر ٢ : ٢٢٧ ومعاهد التنصيص ٤٧١ (البيت الرابع لم يذكره محقق التمثيل والمحاضرة ولا محقق الكناية والتعريض ولم يذكره محمد كرد علي في كنوز الاجداد ٢٣٦ (٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٦
(٣) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٠ عخاص الخاص ٢٣٧ (٤) أحسن ماسمعت ٩٣
(٥) لطائف المعارف ٢٠٨ ، نهاية الأرب ١ : ٣٦٥

ويرجع الى المبالغة والتهويل عندما يمدح أحد الملوك ، لم يذكر اسمه فى (خاص الخاص) يقول فيه [1] :

لنا ملك تاجه المشتري * وما أحد غيره لابسه
وملك الورى فوس ملجم * وما أحد غيره فارسه
وقد فتح الري فراسه * وكرمان يفتحها سائسه

ويقول فى الشيخ مسافر بن الحسن وان لم يذكر اسمه فى (خاص الخاص) ، الا انه يفهم من الابيات [2] .

تم الكتاب بدولة الشيخ الذى * قد صك تاج علاه فوق الفرقد
بدر الصدور مسافر ركن العلا * والمكرمات وكيمياء السؤدد
والحمد لله العظيم جلاله * ثم الصلاة على النبى محمد

وقوله فيه أيضا [3] :

أيا من مجده للدهر غره * وطلعته لعين الملك قره
وخدمته لنار العز زند * وحضرته لشخص السعد سره
أيا من ذكره مثل اسمه لا * يزال مسافرا فى خير سفره
حويت محاسن الدنيا كما قد * سبكت محاسن الاداب نثره
وحزت خصائص الرؤساء طرا * وحصلت السعود لديك صبره
ولما لم يسعك الدهر ثوبا * قطعت لشخص مجدك منه صدره
وكم لك عند عبدك من صنيع * رفيع لا يؤدى العبد شكره
وذنب الدهر جل وان أرانى * محياه الجميل قبلت عذره
ظفرت بما تشاء من الأمانى * واغمد عنك صرف الدهر ظفره
لرأسك خضرة فى كل يوم * وللكأسات فوق يديك حمره

وقال فى الشيخ الوزير أبى نصر أحمد بن محمد [4] :

بدر خلعت على الزمان رداءه * فسرى وسار بألسن الكتان
صدر الوزارة قد بدا فى دسته ال * سعدان والقمران والعمران

---

(١) خاص الخاص ٢٣٧ (٢) خاص الخاص ٢٤٤
(٣) خاص الخاص ٢٣٩ (٤) خاص الخاص ٢٣٨

ال يمدح يمين الدولة محمود بن سبكتكين : (من الكامل)

سعدت بغرة وجهك الأيـــــام * وتزينت ببقائك الأعـــــوام
وتصرفت بك في المعالي عمـــة * تعيى بها الافهام والأوهـــام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتذت * تتوارد الاســــاد والآرام
وافتض سيف علاك كل مدينـــة * بكر عليها للاياس ختـــام
هذى زرنج استغلقت وتمنعـــت * فكأنها الا عليك حـــرام
ففتحتها وابحتها ومنحتهـــا * نفرا هم لفنائك الخـــدام
وقدمت والايام تنشد في الـــورى * بيتا تجيد نشيده الأيـــام
قد جاء نصر الله والفتح الــذى * تزهى بكتبة وصفه الأقـــلام
بأجل احوال وأيمن مقـــدم * واتم اقبال يليـــه دوام (١)

وقال في أبي الحسن مسافر بن الحسن (من الخفيف) :

قد سقتنا السماء ماء الغيــوم * فاسقنا ياغلام ماء الكـــروم
نشرب الراح بادكار الرئيس الـــ * ـفرد في الجود والعلى والعلوم
واذا ما مســافر ســافرت اخبـاره عنياه اسفرت عن نجوم (٢)

وقوله في أبي الحسن مسافر : (من البسيط) :

ياسائلي وصف مولانا أبي حســن * مسافر في بديع القول محكمــه
المسك من ذكره والمزن من يــده * والروض من خلقه والدر من فمه (٣)

وقال في أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي : (من البسيط)

أبا سليمان سر في الأرض أو أقم * فانت عندي دنا مثواك أو شطنـا
ما أنت غيري فأخشى أن تفارقني * فديت روحك بل روحي فأنت أنـا (٤)

---

(١) اليميني ١ : ٣٧٣ و٣٧٤
(٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٠
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٧٠
(٤) معجم الادباء ٤ : ٢٥٤

وقال يمدح بعض الوزراء : (من الوافر)

نظرت فلم أجد لك من نظـير * ولم اسمع بمثلك من وزيـر
كريم الخيم موموق المعالـي * شريف المنتمى عف الضمـير
بديع اللفظ سحار المعانـي * فسيح الخطو فى الأدب الغزير
على الاعداء كالقدر المبـير * وللأصحاب كالقمر المنـير(١)

وقال يمدح ابا العباس مأمون خوارزم شاه : (من الطويل)

الا ان معنى الليث والغيث والشمس * يخوارزم شاه غرة الجن والانـس
ومن عجبى انى اذا مامدحتـه * تشاغلت بالتسبيح فى مجلس الانس(٢)

وقال يمدح أبا الفضل : (من الكامل)

يامن له كل الذى يكنى لـه * ومفرق العليا لديه مؤلـف
غنت بسؤدد ك الحمام الهتـف * وحكت أناملك الغيوم الوكـف
وتصرفت بك فى المكارم والعلـى * همم على قمم النجوم تصـرف
وملكت أحرار الكلام كأنهـا * خدم وغلمان لأمرك وقـف
وكأنما نور الربيع وزهـره * من وشى خطك فى المهارق أحرف(٣)

وقال فى مدح البلدة (بست) : (من الوافر) :

عشقت الجوحيا فهو طبعـك * وبست تراب بست فهى ربعك
وليس يريد هذا الدهر حصدى * لأنى فى بنى الاداب زرعـك(٤)

وقال فى مدح ابن مقلة (من البسيط) :

خط ابن مقلة من ارعاه مقلتـه * ودت جوارحه لو حولت مقـلا
فالدر يصفى لاستحسانه حسدا * والبدر يحمى من انواره خجلا (٥)

وقال يمدح شمس المعالى : (من البسيط) :

الفتح منتظم والدهر مبتسـم * وملك شمس المعالى كله نعـم
والعدل منبسط والحق مرتجـع * والشعب ملتئم والجور مصطلـم
القت مقاليدها الدنيا الى ملـك * ما زال وقفا عليه المجد والكـرم

---

(١) اجناس التجنيس لوحة ٤ أ
(٢) لباب الآداب لوحة ١٤٦ ب
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٥، ٣٥٦
(٤) لطائف المعارف ٢٠٦
(٥) ثمار القلوب ٢١٠

شمس المعالى وغيث المشرقين ومن * يتيه العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو ال * بدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام التى تخشى صواعقه * قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره * كأن علياه من دنياه تنتظم
والارض من صدره والريح من يده * والروض من خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته * يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا * وعاشر الفتح منشورا له علم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به * أمسى وأصبح بالرحمن يعتصم
أبلى الجديدين بالعمر الجديد ودم * للملك يخدمك التوفيق والقسم (١)

وقوله فى مدح السلطان محمد بن محمود بن سبكتكين الغزنوى : (من البسيط) :

اقول اذا سألونى عن مروءة من * مالا يقاس بانداد وأكفاء
محمد لمروءات الأنام غدا * كالزند للنار والينبوع للماء (٢)

وقال يمدح أبا العباس مأمون بن مأمون : (من المنسرح)

شيئان والله ما أقلهما * وليس لى فى سواهما أرب
فان تقل ما هما أجب وأقل * باب خوارزم شاه والأدب (٣)

وقال فيه أيضا ويذكر سليمان بن منصور بن نوح : (من الوافر) :

ألا عون الاله على همام * اليه فى العلى والمجد نوحى
ومن اضيافه الاشراف منهم * سليمان بن منصور بن نوح
ففى يمناه ارزاق البرايا * وفى يسراه مفتاح الفتوح (٤)

وقوله فى مدح أبى عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى : (من الطويل) :

اذا قيل من فرد العلى والمحامد * أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همام له فى مرتقى الدهر مصعد * يلوح له العيوق فى ثوب حاسد
كريم حباه المشترى بسعوده * وأصبح فى الآداب بكر عطارد

---

(١) اليمينى للعتبى ٢ : ٢٠٧ر٨
(٢) مرآة المروءات ٢٦
(٣) لباب الآداب لوحة ١٤٦ ب
(٤) المصدر نفسه ١٤٦ ب

جهى ص ٧٨ سؤو نماذج

٢ـ الوصف :

أبدع صاحبنا في فن الوصف حيث وصف كثيرا من كل ما وقعت عليه عينه، وعلى الأخص مشاهد الطبيعة ومظاهرها المختلفة، وصفا جميلا يبدو فيه التأنق في الصنعة، والدقة في المعاني، والبراعة في صنعة الشعر.

وصف الثعالبي (البشنقان) وهو أحد متنزهات نيسابور قائلا (١) (من الطويل)

ولما نزلنا البشنقان التي غدت * وراحت بجنات النعيم تشبه
وعارضنا ماء يروق مصندل * وواجهنا ورد يشوق موجه
وقهقه رعد في السماء مغرد * وفي الأرض ابريق المدام يقهقه
وغنى مغنى العندليب كأنما * يجاوبه في حلقه مزهر له
تنزه سمعي ما أراد وناظري * وقلبي مع الأحزان لا يتنزه

وبهره ربيع خراسان بما كان يبعثه في الطبيعة من حيوية وجمال أخاذ، فقال (٢) (من الطويل):

الغيم بين ممسك ومعصفر * والماء بين مصندل ومعنبر
والروض بين مدملج ومتوج * والورد بين مدرهم ومدنر
والأرض قد برزت لنا في أخضر * في أصفر في أبيض في أحمر
لتروقنا ببدائع وطرائف * من حسن منظرها وطيب المخبر
سبحان محيي الارض بعد مماتها * وكذاك يحيي الخلق يوم المحشر

لقد مزج في هذه الأبيات بين الألوان والأشكال مزجا فنيا رائعا حتى بدت وكأنها قطعة من السجاد من صنع حاذق صنعها بتمهل وأناة، فخرجت رائعة النقوش والألوان.

وكثيرا ما كان يرتحل من بلد الى آخر طلبا للمال والجاه، وكانت احدى رحلاته الى جرجان ولاحظ هناك من اختلاف هوائها، فوصف تقلب مناخها بقوله (٣)

---

(١) المبهج ٥٦، من غاب عنه المطرب ٢٣٨، خاص الخاص ٢٣٤
(٢) المبهج ٥٦، خاص الخاص ٢٣٣
(٣) لطائف المعارف ١٨٩، ثمار القلوب ٥٥٤ و ٥٥٥

(من الطويل)

ألا رب يوم لي بجرجان أرعن * ضحكت له من خرقة اتعجب

وأخشى على نفسي اختلاف هوائه * وما للفتى مما قضى الله مهرب

وما خير يوم أخرق متلون * ببرد وحر بعده يتلهب

ويبالغ في وصف برد خوارزم فيقول (١) (من البسيط) :

لله برد خوارزم اذا كلبت * انيابه وكست ابداننا الرعدا

فالشمس محجوبة والريح مدمية * جلود قوم أضاعوا الصبر والجلدا

والماء مستحجر والكلب منجحر * والزمهرير يسوق الصر والصردا

فلو تقبل معشوقا مخالسة * رأيت فاك على فيه وقد جمدا

وربما كان يقضي بعض لياليه في مجالس الانس والطرب ، فيشبه تلك الليالي بالمسك ويقول فيها (٢) :

يا ليلة كالمسك منظرها * وكذاك في التشبيه مخبرها

أحييتها والبدر يخدمني * والشمس انهاها وآمرها

وقد تأتي على شاعرنا ليلة يقاسي فيها انواع العذاب ، ويقول (٣) :

وليل بته رهن اكتئاب * اقاسي فيه انواع العذاب

اذا شرب البعوض دمي وغنى * فللبرغوث رقص في ثيابي

وقد شكا من قسوة الشتاء وشدته حين قال (٤) (من الرمل)

نحن في شتوتنا في قلق * وتمادي شفق في فرق

ليس يخلو يومنا والليل من * لثق أو زلق أو دمق

وكما يزعجه برد الشتاء يضايقه حر الصيف ، فيصف يوما حارا يشبهه بنار جهنم حيث يدعو ربه أن يصرفه عنه ، فيقول (٥) (من الخفيف) :

رب يوم هواؤه يتلظى * فيحاكي فؤاد صب متيم

قلت اذ صك حره حروجهي * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

---

(١) لطائف المعارف ٢٢٧ ، خاص الخاص ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) خاص الخاص ٢٣٧ (٣) خاص الخاص ٢٣٦

(٤) اللطائف والظرائف ٨٧

(٥) أحسن ماسمعت ٧٤ ، من غاب عنه المطرب ٨٨ ، اللطائف والظرائف ٨٨

وقد عاش شاعرنا فى زمن تارة تمر عليه ايام كلها شقاء وبؤس وتارة تكون هناء وسعادة ، وعنا يصف يوما صالحا من أيام طالحة ، يقول (١) :

ويوم سعد حسن البشـــر * عذب السجايا طيب النشـــر
لم تقذ عينى بأذاء ولــم * يطر فؤادى بيد الذعـــر
ولم يرعنى لا ولا ساء نـــى * كمادة الايام فى الشـــر
شبهته منتزعا من يــد ال * أحداث ذات الشر والضـــر
باللبن السائغ ذاك الــذى * من بين فرث ودم يجـــرى

وله فى وصف يوم نسيمه يسبى الطرف والقلب حيث يقول (٢) :

ويوم عبيرى النسيم سبى طرفى * وقلبى بما ابدى من الحسن والظرف
كأن موشى الجو فيه مطارفـــا * موشى الربا والشمس تنظر من سجف
صدور البزاة البيض صفت فقابلت * ظهور طواويس تدق عن الوصـــف
فلما وهى من صيب المزن عقده * واقبل يروى غلة الوث بل يشفـــى
رأيت به فى الروض أحسن منظر * يدل على صنع المهيمن ذى اللطف
فحلى بلا صوغ ونسج بلا يـــد * وضحك بلا ثغر ودمع بلا طر ف

وقال فى الربيع وآثاره (٣) :

أظن ربيع العام قد جاء تاجـــرا
ففى الشمس بزازا وفى الريح عطـــارا
وما العيش الا أن تواجه وجهـــه
وتقضى من الموشى والمسك أوطـــارا

ووصف الأيام والليالى له النصيب الأوفر فى شعره ، فيقول فى ليلة طويلة (٤) :

يا ليلة هى طـــــولا * كمثل شوقى ووجــــدى
مدت سرادق وشـــــى * على الورى أى مــــد
نجومها الزهر تحكـــى * من حسنها نثر عقـــد
والا نجم الحمر منهـــا * كالورد فى الـــلازورد

---

(١) دمية القصر ١٨٣ ، خاص الخاص ٢٣٦ (سقط البيت الثالث من الدمية)
(٢) خاص الخاص ٢٣٤ (٣) المصدر نفسه ٢٣٣
(٤) المصدر نفسه ٢٣٦

حتى أيام شهر رمضان لم تفلت من وصف الثعالبي الذي قال في يوم من أيامه [١] :

ويوم غذاء الجسم فيه محـــرم * ولكن غذاء الروح فيه محـــلل

فهل لك عن فيم من الند منشأ * يطل بماء الورد عندي ويهطـــل

له عبق كالعرف منك نسيمـــه * وخلقك اذكى منه نشرا وأفضـــل

وقد ذكرت أن الثعالبي ذاق من الحياة حلوها ومرها فتارة كان يشكو الدهر وتـــارة يمدحه وسنراه في الابيات التالية يمدح دهر سروره ، ويدعو له اذ عيشه بين السراري وسعادته بامتلاك الجواري حين يقول [٢] :

سقيا لدهر ســــــروري * والعيش بين الســـــراري

اذ طير سعدي جـــــواد * مع امتلاك الجــــواري

وغيم لهوي مطـــــير * وزند انســــــي واري

ايام عيشي كمـــودي * وقد ملكت اختيـــــاري

اجري بغير عـــــذار * اجنى بغير اعتـــذاري

ووصف موضوعات حضارية جديدة مجاراة لسنة العصر ، كوصف الفواكه والثمار والغنـــاء والحمامات والبرك والند ، فوصف التفاح بقوله [٣] (من البسيط) :

تفاح غزنة نفاع ونفـــــاح * كأنه الشهد والريحان والـــراح

احببه لصفات حازها قمـــر * في وجهه أبداً ورد وتفـــاح

ووصف الحمام بقوله [٤] (من الوافر) :

وحمام له حر النعـــــيم * ولكن شابه برد النعـــــيم

رأيت به ثوابا في عقـــــاب * وزرت به نعيما في الجحـــــيم

ونستخلص مما تقدم بأن الوصف كان للثعالبي فيه باع طويل واوصافه تزخر بالتصويـــر الرائع ، وبالتشبيهات البارعة ، واكثر أوصافه كانت في مباهج الطبيعة ، وفي الثمار ، وفي المتنزهات والليالي والأيام .

---

(١) المصدر نفسه ٢٣٦ (٢) دمية القصر ١٨٣

(٣) لطائف المعارف ٢٠٩

(٤) المبهج ٥٤ ، أحسن ماسمعت ٩٧ ، اللطائف والظرائف ٢٣

وصف التفاحة بقوله : (من المنسرح) :

ياحبذا حسنها ومرآهـــــا * وحبذا فى الثمار مجناهـــا
تفاحة فى الكرى توافقـــنى * وفى انتباهى قصرت أهواهـــا
لأنها فى المنام همة مــــن * يأمل طالا ويبتغى جاهـــا
وهى بهذى الأوصاف متحــة * تريح روحى بطيب رياهـــا (١)

وقولـه (من المتقارب) :

أياطيب عيشى أرى بركـــة * تشوق الى روضها ماءهـــا
اذا أنت واجهتها فى الدجى * حسبت الكواكب حصباءهـــا (٢)

وقوله (من البسيط) :

اما ترى اليوم مسكى الهوى وقد * مدت يد الشمس فى حافاتها كللا
كأنما شمسه قد ابصرت قمـرى * يربى عليها فغطت وجهها خجلا (٣)

وقال (من مجزوء الرجز) :

الأرض طاوســـــية * والجو جؤ جؤ فاختــــت
والورد د ربابــــــت * أحسن بد ر نابــــت
لكن فى عينى قـــذى * من نور شيب ثابــــت
لما بكيت دم الفـــؤا * د على الحبيب الفائـت
ضحك المشيب بعارضـى * ضحك العدو و الشامــت (٤)

وقال : (من الرجز) :

كأنما النارنج للربـــات * ثدى ابكار مخـــدرات
مزعفرات ومعصفــــرات * اواكر الكيمخت مذهبات

---

(١) من غلب عنه المطرب ٤٥ .
(٢) أحسن ماسمعت ٩٧
(٣) من غاب عنه المطرب ٦٢
(٤) من غاب عنه المطرب ٦٨
(٥) المصدر نفسه ص ٤٣

٣ـ الخمريــات :

لم نقرأ في سيرة الثعالبي مايدلنا على أنه كان ماجنا أو خارجا عن حــدود الدين وخلق الاسلام ، بل لم نشهد في معظم آثاره الا الدعوة الى الخلق الطيب ، والاشادة بمبادئ الدين .

ومن هنا فنحن لا نجد تفسيرا لما جاء في شعره من وصف الخمر والدعوة اليها ، الا أن يكون ذلك انسياقا مع شعراء عصره في هذا المجال ، أو اظهارا للبراعة في فن من فنون الشعر ، وهو الخمريات ، والا فكيف تتسق هذه الخمريات مع اتجاهه فيمــا خلف لنا من آثار ، فهو صاحب كتاب (الاقتباس من القرآن الكريم) و (التمثيــل والمحاضرة) و (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) و (الايجاز والاعجاز) و (الفرائد والقلائد) .

ان المطلع على هذه الكتب الاسلامية الجيدة لا يسعه الا أن يستغرب هــذا الشعر الذي يتكلم فيه عن الخمر .

لقد وصف شاعرنا الخمر وحث على شربها في مثل قوله [1] من مجزوء الرمل :

ومدام قد كفانـــــا * شغل اشغال المســارج
لو دنت منا القمــاري * لا كتست ريش التــدارج
فاشربنــه فهــو للغمــة والغمــاء فــارج
وهــو ريــق مــن فــم الدنيــا الذي ثغرك خــارج

ويعد الخمر نعم الصديق للأرواح فيقول [2] : من مجزوء الرمل :

وعقار عيش من هــــا * قرها عيش أنيـــق
فهو للانس نظــــام * والى اللهو طريـــق
وهي للأرواح فـــي أبــ * دا ننا نعم الصديـــق
قلت لما لاح لي منــ * ـها شعاع أو بريـــق
اشقيق أم عقيـــق * أم حريق أم رحيـــق

ويشبه الخمر عندما تفرغ في الكأس بالشمس تفرغ في قالب صنع من البدر فيقول [3] (من السريع) :

---

(١) خاص الخاص ٢٣٢ (٢) المصدر نفسه ٢٣٣
(٣) خاص الخاص ٢٣٢

يا واصف الكأس بتشبيهها * دونك وصفا عالى القدر
كأن عين الشمس قد افرغت * فى قالب صيغ من البدر

واحيانا يشبهها بعين الديك ويرغب فى شربها لأنها تزيل الهم والغم فيقول (١) (من الطويل) :

وليل كعين الظبى غيرت لونه * براح كعين الديك بل هو المع
فلما مزجت الروح منى براحها * ترحل عنى الهم والغم أجمع

وقوله (٢) فيها ايضا (من السريع) :

طالع يومى غير منحوس * فاسقنى ياطارد البوس
كأسا كعين الديك في روضة * كأنها حلة طاووس

وله ايضا فيما يتصل بالخمريات قوله (٣) : (من الخفيف) :

هذه ليلة لها بهجة الطا * ووس واللون لون الغداف
رقد الدهر فانتبهنا وسارقـ * ـناه خطوا من السرور الشافى
بمدام صاف وخل مصاف * وحبيب واف وسعد موافى

وقال ياقوت (٤) : ومن شعر الثعالبى ما رأيته بخط ابن الخشاب النحوى :

دعوت بماء فى اناء فجاءنى * غلام بها صرفا فأوسعته زجرا
فقال : هى الماء القراح وانما * تجلى لها خدى فأهمك الخمرا

وقال (٥) (من الطويل)

أرى الروح للانسان بالراح حاصلا * فصلنى بها نفسى فداؤك واصلا
وداو بجرح الراح بردا مواصلا * مناصله يمسسن منا المفاصلا
فقد لبس السنجاب غيم مطبق * وألبس وجه الأرض منا الحواصلا

وقوله (٦) (من الطويل)

وسكباجة تشفى السقام بطيبها * على أنها جاءت بلون سقيم
اذا زارها أيدى الرجال تزاحمت * كأيدى نساء فى ظلال نعيم

---

(١) خاص الخاص ٢٣٦ ، ثمار القلوب ٤١ (ذكر الراح) فى خاص الخاص بدل (الروح)
(٢) دمية القصر ١٨٣ ، ثمار القلوب ٤١٠ (دون نسبة)
(٣) التمثيل والمحاضرة ـ مقدمة المحقق (٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٥) المبهج ٤٦ (٦) محاضرات الادباء ١ : ٢٩٢

٤ـ الغزل بالمذكر: وهذا الغرض الشاذ الذى انحدر الى عصر الثعالبى من أبى نواس وشيعته ، منذ اوائل العصر العباسى ، قد تعلق به شعراء العصر ومجانه ، وعلى نحو تفسيرنا لخمريات الثعالبى ، نجده ينساق فى هذا التيار مجاراة لغيره ، وبغية فى اظهار البراعة فيه ، فمن ذلك تغزله بغلام خباز ، يقول فيه (١) (من البسيط)

برأسى سكة عار لنا قمــر * من وجه عثمان يا طوبى لجيرتــه
اذ قوت اجسامهما يبيعهم * وقوت ارواحهم من حسن صورتــه

ويتغزل بغلام شاعر ، بقول (٢) فيه (من الطويل) :

فديت غزالا راقنى د رشعـره * كما شاقنى فى نطقه د رثغـره
اذا ماغدا للشعر يغري بنظمه * غدوت لعقد الدمع اغرى بنثـره
ووالله ماأدرى أسحر جفونـه * تملك قلب الصب ام سحر شعـره

وتغزل بغلام هندي (٣) : (من الرجز) :

هذا غزال الهند فى الغزلان * كمثل عود الهند فى العيدان
وجه بديع الحسن فى الغلمان * مركب من ملح الخيـــلان
مصور من حدق الحســان * كأنه فى ناظر الانســـان
انسان عين الحسن فى الزمـــان

وقال فى غلام مسافر (٤) : (من الوافر)

فديت مسافرا ركب الفيافـى * وأثر فى محاسنه الســفار
فمسك ورد خديه السوافـى * وعنبر مسك صدغيه الغبـار

وله من غزله بالغلمان حين يبالغ فى وصف لقاء ذلك الشادن الذى يهزم جيش الكروب فيقول (من السريع) (٥)

وشادن أصبح عذر الذنـوب * لقاؤه يهزم جيش الكـروب
بدرة غرارة للـــورى * وطرة طرارة للقلـــوب

وقوله فى غلام لايذوق حلاوة الدنيا الا بغية ، وأن بعض صفاته حوت جميع الحسن (من الكامل) (٦)

يامن جميع الحسن بعض صفاتـه * وحلاوة الدنيا تذاق بفيـــة
لا تمرضن جسمى فانك روحـه * لا تحرقن قلبى فانك فيـــه

وله (٧) ايضا (من الطويل) :

(١) خاص الخاص ٢٣٠ ، أحسن ماسمعت ١٢٦ (٢) خاص الخاص ٢٤٢
(٣) خاص الخاص ٢٢٩ ، ٢٣٠ (٤) خاص الخاص ٢٣٠ ، أحسن ماسمعت ١٣٠ ، من غاب عنه المطرب ٢٢٧
(٥) خاص الخاص ٢٣١ (٦) خاص الخاص ٢٣١ (٧) خاص الخاص ٢٣١

وقالوا افترشت النطع صيفا وقد أتى
الخريف فمر فى نطعك الآن بالرفع
فقلت حبيبى شاعر سيف طرفه
ولابد للسيف الشهير من النطع

وقوله فى غلام فاتن سليم سمين (١) (من الخفيف) :

هل سبيل الى عناق كما عا * نقت عند الفراق يوم الوداع
شادنا فاتنا سليما جسيما * ملء عينى وملء قلبى وباعى

ويقول فى غلام (٢) (من الخفيف) :

لك صدغ كأنه قلب فرعو * ن ووجه كأنه يد موسى
وفم قد أتى ببرهان عيسى * فهو كالطيب منه يحيى النفوسا

وقال باقتراح بعض السادة عليه فى غلام مليح (٣) : (من البسيط)

قالوا تشوك خداه وشاربه * فقلت لا تعجبوا ماليس بالعجب
الشوك فى شجرات الورد محتمل * والشوك لا عجب فى مجتنى الرطب

وله أيضا (٤) : (من المتقارب) :

فديت غزالا فؤادى لديه * كمصفورة فى يد الباشق
له شفة مثل فص العقيـ * ـق تنقشه شفة العاشق

وله (٥) (من الطويل) :

فضضت ختام القلب منى وحزته * جميعا ولا والله غيرك مافضه
ولما نثرت المسك من فوق فضة * نثرت على مسكى نثارا من الفضة

وقال الباخرزى (٦) : " وأنشدنى والدى قال : انشدنى : يعنى الثعالبى — لنفسه (من الخفيف) :

عركتنى الايام عرك الاديـ * ـم وتجاوزن بى مدى التقويم
وغضن اللحاظ منى الا * عن هلاك يرنو بمقلة ريم
لحظه سقم كل قلب صحيح * ثغره برء كل جسم سقيم

---

(١) أحسن ماسمعت ١٥٨ (٢) المبهج ٤٨ (٣) خاص الخاص ٢٣٠
(٤) خاص الخاص ٢٣٢ (٥) خاص الخاص ٢٣٢
(٦) دمية القصر ١٨٣

قال (من الطويل) :

بنفسي مريض الطرف والود لم يدع * لعاشقه قلبا صحيحا ولا عقلا
اذا ماسقاني كأس عينيه في الهوى * فحسبي ما في فيه من سكر نقلا (٢)

وقوله (من السريع) :

وصولجان في يدي شادن * لا يسمح العاشق أن يذكره
وصولجان المسك في خده * متخذ حبة قلبي كره (٣)

وقوله في غلام عليه منطقه (من الطويل) :

خليلي اني من محبتي الحلي * بليت بحلوى الصفات أخي البدر
فعقد الثريا مستكن بثغره * ومنطقة الجوزاء في خصره بخري (٤)

وقوله (من الكامل) :

يالابسا لنقاب ورد أحمر * يافارشا وجهي بورد أصفر
حتى تحلني بخصر ناحل * وتعلني بعليل طرف أحور
ياواحدا في الحسن ها أنا واحد * في الحزن اصلى نار وجد مضمر
وأظل بين تذلل وتجبر * اذ أنت بين تدلل وتخير
مالي بوصفك سيدي من طاقة * ولو أنني استمليت طبع البحتري (٥)

وقال : (من البسيط) :

قد اقبل الصيف يحكي حرانفاسي * وفي فؤادي حر ماله آسي
فان سمحت ببرد الوصل فيك فقد * سللت نضو رجائي من يدي باسي (٦)

وقوله (من المنسرح) :

جالسني شادن كلفت به * في صفة جالنا به غضه
دمعي ياقوتة على ذهب * وفوه ياقوتة على فضه

وقوله في غلام : (وافر)

فديتك ياأتم الناس حسنا * واصلحهم لمتخذ حبيبا

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣
(٢) المبهج ٤٢
(٣) نهاية الارب ٢ : ٧٣
(٤) احسن ماسمعت ١٢٣
(٥) ثمار القلوب ٢٢٥ (بدون نسبة)
(٦) من غاب عنه المطرب ٣٩

فوجهك نزهة الابصار حسنا * وشدوك متعة الاسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا (١)

وقوله فى السماع : (متقارب)

غناؤك يهزم جيش الكروب * وعيناك للناس عذر الذنوب
فويل القلوب اذا ما رنوت * وأما شدوت فويل الجيوب (٢)

وقال فى غلام مضيف (من الطويل) :

فديتك ما هذا التجشم كله * لدعوة عبد روحه بك ترتاح
ولم كل هذا الاحتشام بمجلس * يزينه الريحان والشمس والراح
وفيك غنى عن كل شئ يروقنى * ووجهك لى فى ظلمة الليل مصباح
وريقك لى خمر وعيناك نرجس * وصدغك لى آسى وخدك تفاح (٣)

وقوله (من الخفيف) :

انت ياصاح لست عندى بصاح * أنت روحى وراحتى انت راحى
ومتى لاح برق ثغرك عندى * مطرتنى سحابة الارتياح (٤)

وقوله فى غلام معقرب الوجه : (متقارب)

بنفسى هلال يحال الهلال * لتلك المحاسن منه حسودا
كأن عقارب اصداغه * غذين بمسك فاصبحن سودا (٥)

وقال فى السماع (وافر)

غناؤك غنيتى من كل زاد * ورقصك قد تعلمه فؤادى
وأنت المحسن الحسن المحيا * فقد اصبحت فردا فى العباد (٦)

* * *

(١) ثمار القلوب ٤٨٩ (وقال بعض العصريين فى غلام ، والمبهج ٤٥ ، بيتيمة الدهر : ١ : ٢٥٠ .
(٢) المبهج ٤٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١١٩
(٣) احسن ماسمعت ١٢٤
(٤) احسن ماسمعت ١٣٥
(٥) احسن ماسمعت ١٣٠
(٦) المبهج ٤٤

٥ـ الغزل بالنساء :

أما الغزل بالنساء فهو أمر طبيعى بالنسبة لكل شاعر ، حتى وان لم يكن له تعلق بالمرأة أو شغف بها ، ويبدو ان شاعرنا قد اصطنع ذلك الغزل التقليدى ، فجرب فيه شعره ، وأجرى به قلمه ، كما يقول فى صباه (١) (من مجزوء الرجز) :

قلبي وجدا مشتعل * على الهموم مشتمل
وقد كستنى فى الهوى * ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عينى بها * فبالدموع تغتسل

ومن غزلياته الرقيقة قوله (٢) : (من الطويل) :

سقطت لحينى فى الفراش لزمته * أضم الى قلبى جناح مهيض
وما مرضى غير حبى وانما * أدلس فيكم عاشقا بمريض

وأما غزله فى الجوارى فهو صورة من غزله بالغلمان ، اذ تعمد وصف الجمال الحسى كقوله (٣) (من الكامل) :

ثغر كلمح البرق حسن بريقه * يشفى غليل المستهام بريقه
قد بت الثمه وارتشف المنى * من دره وعقيقه ورحيقه

وقوله فى جارية صقلبية (٤) : (من المتقارب) :

وتبر به الرأس فضية الـ * ـحجيرة فيروزج عينها
اذا طلعت سرنى قربها * وان غربت ساءنى بينها

ومن أرق ماقال (٥) : (من البسيط) :

لما بعثت فلم توجب مطالعتى * وامعنت نار شوقى فى تلهبها
ولم أجد حيلة تبتنى على رمقى * قبلت عين رسولى اذ آراك بها

---

(١) خاص الخاص ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٣ : ٣٩٠ ، من غاب عنه المطرب ٢٧١
(٢) دمية القصر ١٨٣ ، كنوز الأجداد ٢٣٦
(٣) أحسن ماسمعت ١٠٩ ، من غاب عنه المطرب ٢٧٣
(٤) خاص الخاص ٢٢٩
(٥) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ، الكناية والتعريض/ مقدمة الخاقانى ، عيون التواريخ ٤٦١ طبقات النحاة : ٢ : ١١٠

وقوله [1] :

لا كان فى عينى مجال للسنة * وجعلت عرضى عرضة للألسنة
ان ذقت طعم العيش بعدك ساعة * ورأيت يوم البين الا كالسنة

٦ـ الاخوانيات :

هذا غرض من أغراض الشعر يقصد به ماكان يدور بين الاصدقاء من الشعراء ، تدفعهم اليه الاخوة الصادقة .

وقد راجت الاخوانيات فى عصر الثعالبى رواجا منقطع النظير ، اذ عنى بها الادباء عناية كبيرة ، فأكثروا من المراسلات الودية شعرا ونثرا الى حد الاسراف ، وهذا صاحبنا الثعالبى له المقام الأوفى فى صياغة الاخوانيات ، وتكاد تسيل رقة لفرط ماحملته من الوان الصفاء فى معانيها وفى لغتها . ونجد مثلا لهذه الشاعرية المترعة بالصفاء فى مثل ماكتب مهنئا أحد اصدقائه بالزواج بقوله [2] : (من المنسرح)

قد لبس الدهر حسن صورته * مذ زوج المشترى بزهرته
وفى اقتران السعدين مافيه من * اشراق وجه العلى ونضرته
فالطرف مستأنس بقرته * والقلب يطوى على مسرته

وكتب الى صديقه أبى نصر سهل بن المرزبان ـ وقد لسعته عقرب فى قدمه ، فلما وجدت وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجح ـ بهذه الأبيات [3] : (من الكامل) :

ياعمدة الامراء والوزراء * ياعدة الادباء والشعراء
ياغرة الزمن البهيم وناظر ال * كرم الصميم وواحد الفضلاء
أرأيت حمة عقرب دبت الى * قدم بها تخطو الى العلياء
لما ارتقت باللسع اعظم مرتقى * احنت عليها رتبة العظماء
ان ذقت ضراء العقارب فابقين * بعقارب الاصداغ فى السراء
ياطيب لسعة عقرب دبت دياقها * ريق الحبيب بقهوة عذراء

وكتب الثعالبى الى الأمير أبى الفضل الميكالى فى جواب كتاب ورد عليه ، قال [4] : (من الخفيف) .

---

(١) معاهد التنصيص جـ٢ ص ٩١ . (٢) أحسن ماسمعت ١٧٩
(٣) دمية القصر ١٨٣ ، كنوز الاجداد ٢٣٧ (٤) زهر الآداب جـ١ ص ١٧٩

أنسيم الرياض جول الغدير * مازجته ريا الحبيب الأثير
أم ورود البشير من فك أسير أبسر عسير
في ملاء من الشباب جديد * تحت أيك من التصابي نضير
أم كتاب الأمير سيدنا الفرد فيا حبذا كتاب الأمير
وثمار الصدور ما اجتنيه * من سطور فيها شفاء الصدور
نمقتها أنامل تفتق الأنوار والزهر في رياض السطور
كالمنى قد جمعن في النعم الغر مع الأمن من صروف الدهور
يا أبا الفضل وابنه وأخاه * جل باريك من لطيف خبير
شيم يرتضعن در المعالي * ويعبرن عن نسيم العبير
وسجايا كأنهن لدى النشر ضاب الحياء بأرى مشور
ومحيا لدى الملوك محيا * صادق البشر مخجل للبدور

وقال يشكر الامير الميكالي على سقيه كرما له (١) : (من البسيط) :

يا بدر صدر بنيسابور مطلعه * وبحر جود لأهل الفضل مترعه
سقيت كرمى ماء فيه أربعة * من المياه وخير الماء انفعه
ماء الحياة وماء الوجه يشفعه * ماء الشباب وماء الورد يتبعه
بقيت ما بقيت نفس وما طلعت
شمس وما سار من مدحيك ابدعه
للعرف تصنعه والخير تزرعه * والمجد تجمعه والمدح تسمعه

وقال في التهنئة بالفطر (٢) : (من المتقارب)

أطال الله بقاء الأمير * وتوفيقه ثم تأييده
ففي كل يوم باقباله * يرى عيده غده عيده

وقال في دعاء العيد (٣) : (من الطويل) :

أخوك هلال العيد عادت سعوده * يحاكيك منه نوره وصعوده
فافطر على دهر يعنيك ناظر * وابشر بعيد مورق لك عوده
وعيدت يامن للمعالي قيامه * وللفضل والافضال فينا قعوده
بأيمن اهلال واسعد طالع * واكمل اقبال يليه خلوده

---

(١) خاص الخاص ٢٣٨ (٢) المصدر نفسه ٢٤٠ (٣) المصدر نفسه ٢٤١

وقال فى التهنئة بشرب الدواء [1] : (من المنسرح)

ياسيدا حاز طبعه الشرفـــا * ولم يدع منه لسورى طرفـــا
لما أخذت الدواء فالطالع السعـ * ـد على الحزم منك قد وقفـــا
جلوت سيف العلا وصفيت تبـ * ـر المجد والعيش مثل ذاك صفا
لا زلت تحسو السرور فى مهـــل * وتنفض الهم عنك والدنفـــا

وقال فى التهنئة بالفصد [2] : (من المتقارب)

على الطائر السعد بين النعـــم * وحصن الزمان وطيب النغـــم
يعالج بالفصد من جـــوده * دواء لطيف لداء العـــدم
وقال له دهره واقفـــــا * لديه يسوى صفوف الخـــدم
عليك دم الكرم فاجعله فـــى * مكان دم خارج بالسقـــم
وشربا على الورد ورد الخـــدود * وورد الغصون وورد النعـــم
فقد أصبح السقم يبكى دمـــا * بفرقة شخص العلا والكـــرم

وكتب الى أحد اصدقائه مع هدية أرسلها له وهى سكر وشمع قوله [3] : (من المتقارب)

بعثت الى سيدى ســــكرا * حلاوته فى قرار الصـــدور
وشمعا يمزق ثوب الدجـــى * ويلبس جيرانه ثوب نـــور

وكتب فى دعوة صديق الى مجلس أنس [4] : (من الوافر)

كتبت اليك من سكر الســـرور * وكاسات تدور على بـــدور
وماء الورد يهطل من سحاب الـ * بخور على السوالف والنحـــور
وعين الدهر قد نامت فقامـــت * لنا سوق الملاهى والســـرور
وقد قاد الغلام اليك طرفـــى * (فرأيك لاعدمتك فى الحضـــور)

ومن اخوانياته قوله فى عتاب صديق [5] : (من مجزوء الكامل)

إن غبت عنك شكوتـــنى * واذا وصلت هجرتـــنى
وتظل لى مستبطئـــا * فاذا حضرت حجبتـــنى

ويقول [6] : (من السريع)

---

(١) خاص الخاص ٢٤ (٢) المصدر نفسه ٢٤٢
(٣) أحسن ماسمعت ١٨٣ (٤) المبهج ٥٢ ، المتشابه ٢٤
(٥) من غاب عنه المطرب ٢٨٨ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٩
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥١ ، عيون التواريخ ٤٦٢ ، طبقات النحاة واللغويين ٢ : ١١١ .

عندي انسان ولكنه * اكبر لي من كل انسان
لقاؤه أشهى من البارد السـ * ـعذب الى غصان عطشان
فافترنا عندي افديكما * فانتما راحي وريحاني

وكتب الى صديقه أبي نصر سهل بن المرزبان يحاجيه قائلا [1] : (من الرجز)

حاجيت شمس العلم في ذا العصر * نديم مولانا الأمير نصر
ماحاجة لأهل كل مصر * في كل دار وكل قطر
ليست ترى الا بعيد العصر

فكتب اليه جوابه (من الرجز)

يابحر اداب بغير جزر * وحظه في العلم غير نزر
حزرت ماقلت وكان حزري * ان الذي تعنيه دهن البزر
يعصره ذو قوة وأزر

وقال في صديق له منجم [2] : (من المتقارب) :

صديق لنا عالم بالنجو * م يحدثنا بلسان الملك
ويكتم أسرار اخوانه * ولكن نموم بسر الفلك

وكتب الى صديقه أبي الحسن مسافر : (من الكامل) :

يامن تشابهت المحاسن والعلى * فيه واصبحت القلوب برسمه
فالخلق منه كخلقه والخلق منـ * ـه كلفظه والشعر منه كاسمه
وغذاء جسمي من سماع يمينه * وغذاء روحي من بدائع نظمه
لا زلت بين سعادة وزيادة * وسلمت من سيف الزمان وسهمه

فأجابه ابو الحسن : (في الوقت والساعة) :

افدي الامام الأوحد الفرد الذي * من شاء فرد زمانه فليسمه
لا زال منصورا كما يكنى بـ * ـه ولتفتخر روح غدت في جسمه [3]

وكتب أيضا الى أبي الحسن مسافر (من البسيط) :

من مبلغ الصدر مولانا أبي الحسن * مسافر نكتة الايام والزمن
خففت ظهري من ثقل الخطوب كما * اثقلته بالايادي الغر والمنن
صنائع منك جلت في الانام وقد * دقت معانيك في الاشعار والفطن
وقد أتاني قريض قد نفثت بـ * ـه كالسحر والراح والريحان في قرن [4]

---

(١) خاص الخاص ٢٤٢
(٢) الصدر نفسه طبعة السكري ص ١٨٩
(٣) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٨
(٤) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٩

٧ـ الشكوى :

ان سبب شيوع أدب الشكوى في عصر الثعالبي هو اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية وما أصاب الناس من ضروب المحن والنكبات وألوان الفاقة والحرمان والبؤس ، " فذوو المناصب الكبيرة كثيرا ماكانوا يتعرضون للقتل والسجن واستصفاء الأموال ، والأغنياء قلما تصفو لهم الحياة ، لانهم مهددون بالاستيلاء على أموالهم ، والمثقفون لا يكادون يحصلون على الكفاف من العيش ، والطبقة العامة فريسة للجوع والمرض والجهل ... لهذا كثرت الشكوى من النكبات والظلم والفقر وسوء الحال كثرة هائلة لا نجد لها مثيلا في أي عصر من العصور ، فكان من أثر ذلك هذا الادب الشاكي الحزين الذي نقرأه في دواوين الشعراء ورسائل الكتاب يندبون فيه الحظ العاثر " (١)

فهذا الثعالبي كانت بيئته مسرحا لاحداث مرة ، فقاسى ماقاساه الناس من شر الاحداث ، ودعا الى الابتعاد عن الانغماس في ملذات الدنيا بقوله (٢) (من الطويل) :

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها * ولا تنكحن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح

وهو يكره الليل لأن فيه همه ، ويكره الصبح لأن فيه مطالبه ، فيقول (٣) : (من الطويل) :

الليل أسهره فهمي راتب * والصبح اكرهه ففيه نوائب
فكأنما هذا بطرفي مسهر * وكأن هذا فيه سيف قاضب

ونعرف ان بلاده أصابها القحط ، فقد فني الدقيق فيها ، فيقول (٤) (من الوافر) :

تراني لست احسن نظم لفظ * يزين جليله المعنى الدقيق
ولكن لا تدق بنات فكري * اذا ماقيل قد فني الدقيق

ونراه وهو يصف ريق حبيبه بريق المزن والعنب ، لا يستطيع الهروب من شكواه ، وكيف يهرب منها وهي جادة في طلبه تسلبه صفو الحياة ، فيقول (٥) (من البسيط) :

ريق الحبيب كريق المزن والعنب * أذاقني ثمرات اللهو والطرب
وقد سبت مني الأيام صفوتها * فكيف أهرب منها وهي في طلبي

وقال في شكوى الدهر (٦) : (من الكامل) :

يادهر ويحك قد اطلت جفائي * وتركت ماء معيشتي كجفاء
اتراك تحسب انني من جملة الـ * كتاب والادباء والشعراء
حتى تعاديني كعادتك التي * انحت عواديها على الفضلاء

وقال في هذا المعنى (٧) : (من البسيط)

---

(١) الأدب في ظل بني بويه ٢٣٩ (٢) اللطائف والظرائف ٦٠
(٣) دمية القصر ١٨٣ (٤) خاص الخاص ٢٤٠ (٥) المصدر نفسه ٢٣٤
(٦) المصدر نفسه ٢٤٣ (٧) خاص الخاص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، المبهج ٤١

أقول والقلب مكدود باحـزان * والصبر أبعد مما بين اجفانـي
حتى متى أنا يدمي العض انملتي * غيظا على زمن قد رام ازمانـي
في كل يوم أراني في نوائبـه * كأنني أصبعي والدهر اسنانـي

وقال في يوم من أيام الربيع لم يتهيأ حسنه وطيبه مع حوادث الدهر [1] : (من المتقارب)

صباح محاسنه تستفيـض * وروض أريض وغيم يفيـض
فكيف الوفاء بما تقتضيـه * وحال الجريض دوين القريـض
وانسي مريض وهمي عريـض * وطرفي غضيض وحظي مهيـض

وشكا الثعالبي شكوى المحروم ولجأ بشكواه الى خالقه ، فقال [2] (من الوافر)

اليك المشتكى لا منك ربـي * وأنت لنائبات الدهر حسبـي
ترى غلتي وترحم حالتـي * وتؤمن روعتي وتزيل كربـي

ويكمن وراء هذه الشكوى ديون وحرمان وجور ، فيقول [3] (من الوافر)

ثلاث قد منيت بهن أضحت * لنار القلب مني كالاثافـي
ديون انقضت ظهري وجـور * من الايام شاب له غدافـي
وفقدان الكفاف وأي عيشـي * لمن يمنى بفقدان الكفـاف

وكان يصبر على الفقر بقوله [4] : (من الكامل)

بي فاقة غطيتها بتجمـل * وتحمل وتمحل وتسـتر
فالحال ظاهرها مروءة موسـر * لكن باطنها خصاصة معسـر

وعندما اصابت المجاعة نيسابور ، هاجر منها فقيرا معدما ، فشكا من مصائب الدهر وويلاته قائلا [5] : (من الطويل)

أقول لدهري وهو يخفض رتبتي * وينحي على مالي ويخلف تأميلـي
أيا حجرا صلدا منيت ببخلـه * فلا هو يوريني ولا هو يوري لـي

وله في ذم الزمان قوله [6] : (من الطويل)

---

(١) خاص الخاص ٢٤٤ (٢) أحسن ما سمعت ٢٥ ، خاص الخاص ٢٤٤
(٣) برد الأكباد ١٢٤ ، ١٢٥ ، معاهد التنصيص ٤٧٣ ، كنوز الاجداد ٢٣٧
(٤) مرآة المروءات ٣١ (٥) خاص الخاص ٢٤٤
(٦) خاص الخاص ٢٤٤

حمدت النهى والزمان ذممته * فقد طال ماأغرى بقلبى البلابلا
وعندى من لوم الزمان دقائق * أعد لها من فضل ربى جلائلا

وله أيضا قوله [1] : (من الكامل)

كم فى ضمير الغيب من أسرار * تهدى اليسار الى ذوى الاعسار
فاستشعر الظن الجميل توقعا * لمناجح الأوطار فى الأطوار

واضطر الى بيع مملوكه ليدبر بثمنه أمور ضيعته ، فأضاف هما الى همه ، وشكا الدهر الذي أطال نحيبه وتركه وحيدا كالغريب وقد سلبه السرور ، فقال [2] : (من الكامل)

يادهر حسبك قد اطلت نحيبى * وتركتنى فى موطنى كغريب
وسلبتنى ثوب السرور بجامع * مابين وصفى خادم وحبيب
فالشعر منى والدموع لآلىء * من نظم طبعى عاشق وأديب
قد غاب عن ربعى هلال مقمر * فى افق تربيتى وفى تأديبى
فالآن يطلع فى سوى دارى ولا * ينفك فيه القلب رهن نحيب
ند نفيس عند غيرى فاتح * وأراه من عجنى ومن تركيبى
وثمين عقد عند غيرى لائح * وأراه من نظمى ومن ترتيبى

واكثر من التحسر على أيام الشباب فى مثل قوله [3] : (من الطويل)

سقى الله اياما لنا لسن رجعا * وسقيا لأيام الشبيبة من عصر
ليالى اعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

وشكا من كبر العمر فى مثل قوله [4] : (من البسيط)

أبلى جديدى هذان الجديدان * والشأن فى أن هذا الشيب ينعانى
كأنما أعتم رأسى منه بالجبل الـ * ـراسى فأوهمني ثقلا وأوهانى

وكثيرا ماكان يسيطر الحزن والألم على شكواه ، حتى فى مجال الوصف والمديح والغزل ، ففى الغزل كان يربط الشكوى بالغزل كما ذكرنا سابقا فى قوله :

---

(١) خاص الخاص ٢٤٤ (٢) المصدر نفسه ٢٤٤
(٣) من غاب عنه المطرب ٢٦٩ (٤) المبهج ٢٨

(ريق الحبيب كريق الدن والعنب .. الخ) . وفى المديح نراه يشكو من طول ليلته عندما قال (١) فى الشيخ الوزير أبى نصر احمد بن محمد (من الكامل) :

يا ليلة طالت كأن نجومها * غرماء ارقبهم لدين واجب
والبدر كالشيخ الأجل تمنطقت * قدامه الجوزاء مثل الحاجب

وأما فى مجال الوصف فانه لما وصف متنزه البشتقان فى نيسابور رأيناه يختم وصفه بآهة عميقة وايقاع حزين فى قصيدته التى سبق أن اثبتناها فى غرض الوصف من هذا الفصل حين قال :

" تنزه سمعى ما اراد وناظرى * وقلبى مع الاحزان لا يتنزه "

وقد تحمل من الزمان العبء الثقيل وقوست الخطوب قناته فقال (من الخفيف) (٢)

كم الى كم تبرمى بحياتى * اتلوى تلوى الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن منى قناتى

وقال (من السريع) (٣) :

أما ترى الدهر وأيامه * فى العمر مثل النار فى الشيح
يمر كالريح وما فى يدى * من مرها شىء سوى الريح

وقال (٤) : (من الوافر)

لك الدنيا ومافيها بلاد * تلاحظها بعينيك احتقارا
تكبر ذا الزمان على بنيه * فعش حتى تحلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى ترد هم صغارا
خدمت لك الملوك اروض نفسى * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت لنا الدنيا جعلنا * لك الدنيا وما فيها نثارا

وكتب الى ابى نصر سهل بن المرزبان فى الشكوى قائلا (٥) : (من مجزوء الرجز)

كتبت من صومعة * تسمح بالقوت العسر
والدهر من جفائه * يلبس لى جلد النمر
فمساء عيش كدر * ونجم حالى منكدر

(١) خاص الخاص ٢٣٨ (٢) كتاب أبى نصر ١٠ (٣) خاص الخاص ٢٠
(٤) ريحانة الالبا ١ : ٤٣٣ (٥) ثمار القلوب ٢٩٩

فى فنون مختلفة : فى (الاقتباس من آيات القرآن الكريم)

قوله : (من الطويل)

ألم تر أن الله أوحى لمريـــــم * وهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شىء له ســـبب (١)

وقال (من البسيط) اقتبس من سورة البقرة وسورة المسد :

وكاتب كتبه تذكرنـــــى ال * قرآن حتى أظل فى عجـــــب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلـــف * والخط تبت يدا أبى لهـــب (٢)

قوله فى تقلب الايام : (من البسيط) :

قال حين وهى أمر خلف بن احمد والى سجستكان :

من ذا الذى لا يذل الدهر صحبته * ولا تلين يد الايام صعدتـــه
أما ترى خلفا شيخ الملوك غـدا * مملوك من فتح العذراء بلدتــه
قد كان بالأمس ملكا لا نظير لـه * فاليوم فى الاسر لا ينتاش اسرته (٣)

وقال فى الهزل والمداعبة : (من السريع)

ارسلت فى وصف صديق لنـــا * ماحقه الكتبة بالمسجـــــد
فى الحسن طاوس ولكنـــــه * اسجد فى الخلوة من هدهد (٤)

وقوله فى الشيب : (من الوافر)

أبا منصور المغرور أقصـــــر * وأبصر طرق اصحاب الرشـــاد
ألست ترى نجوم الشيب لاحت * وشيب المرء عنوان الفســاد (٥)

وقوله من المتقارب :

على بند كفو الزمـــــان * ونيل الامانى وحرز الامـــان
اذا نالت النار من جسمـــه * اتت روحه بنسيم الجنـــان (٦)

---

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشى ١ : ١٠٢ ، دلراز المجالس ١٣٠
(٢) كتاب أبى نصر ٢٤ (٣) اليمينى ١ : ٣٧٤
(٤) خاص الخاص ٣٢ ، ثمار القلوب ٤٨٧
(٥) أحسن ما سمعت ١٤٥ (٦) المبهج ٤٥

قال (في هجاء بعض الحكام :

قال (من مجزوء الرجز) :

من كان ينفعه الأدب * ويجله اعلى الرتب
فلقد خسرت عليه ما * ورثت من أم وأب
كم ضيعة كانت تصو * ن الوجه عن ذل الطلب
اتلفتها لا في القيا * ن ولا هو في نبت العنب
بل في الحوادث والحوا * ئج والشوائب والنوب
كم قلت لما بعتها * وحصلت في أسر الكرب
ذهبت دجاجتنا التي * كانت تبيض لنا الذهب (١)

وقال يتحسر على أيام الصبا والشباب: (من السريع)

سقيا لأيام الصبا اذ أنا * في طلب اللذات عفريت
أصيد كالبازي ولكنني * أحكي العصافير اذا شيت (٢)

قال الثعالبي : وكنت قلت في صباي أبياتا منها (من السريع)

كم حيلة للوصل اعملتها * وكم خداع قد تمحلته
أسرحها في ارتخاء اذا * ناجيت من أهوى فقبلته

فأنشدني الاستاذ ابو العلاء بن حسول ايده الله بعد مدة طويلة لنفسه ، في هذا المعنى بعينه :

جذبت كفي الغدائر منه * فشممنا منها نسيم العرار
الثم الصدغ والسوالف منه * احتجاجا بأننا في سرار

فتعجبت من اشتراك الخواطر والتوارد في البديع (٣)

---

(١) ثمار القلوب ٤٩٨ ، ٤٩٩ وصدره بقوله : وفي هذا المثل — بيضة الذهب — قال الشاعر يهجو بعض الحكام . ، ريحانة الألبا ٢ : ٤١٩ وصدره بقوله : ونظم — أي المثل الذي يقول : الدجاجة التي كانت تبيض الذهب بمناها — الثعالبي بقوله .
(٢) ثمار القلوب ٤٩١ (قال بعض أهل العصر) ، من غاب عنه المطرب ٧٥
(٣) تتمة اليتيمة ١ : ٩٥

٨ـ الحكمة : لقد شاع شعر الحكم والامثال فى عصر الثعالبى حتى انه افرد ابوابا عديدة من كتبه لهذا الغرض ، وهذا يفسر لنا قلة شعره فى هذا الغرض، ولعله استغنى بما ساقه من أقوال فى الحكم فى كتاب (المبهج) عن نظمها شعرا ايمانا منه بأن النثر الصق بالحكمة من الشعر . (١)

قال فى الحكمة (من الطويل) (٢) :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه ثقيل

وقوله (٣) (من الكامل) :

هذا عذارك بالمشيب مطرز * فقبول عذرك فى التصابى معوز

ولقد علمت وما علمت توهما * ان المشيب بهدم عمرك يرمز

(القناعة كنز لا يفنى) ، قال فى المعنى نفسه (٤) : (من البسيط) :

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن

وانظر الى مالك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

٩ـ الرثاء : روى بعضهم أن بعض العرب سئلوا ـ مابال أفضل اشعاركم الرثاء ؟ فأجابوا : لأننا نقولها وقلوبنا موجعة ، أي لأنها صادرة عن عاطفة حارة خالية من التكلف . (٥)

لعل الثعالبى قال فى الرثاء الكثير ، ولكن معظمه ضاع ضمن ماضاع من شعره ومن كتبه ، ولم يبق لنا سوى أربع مقطوعات وردت فى (تتمة اليتيمة) وفى (اليمينى وفى (أحسن ماسمعت) وفى (معجم الادباء) .

وقد بالغ فى رثاء السلطان محمود الغزنوى حين قال (٦) : (من الخفيف)

عجبا من تماسك الأفلاك * ومساغ الزلال فى الاحناك

وثبات الجبال بعد زوال الـ * ـطود ذى الطول مالك الأملاك

فلسان الزمان شاك وطرف الـ * ـدهر باك والرزء فى الملك ناك

وقال فى رثاء الصاحب بن عباد (من الهزج) (٧) :

الا ياغرة العليا * الا يانكتة الدنيا

وشمس الارض فرد الدهر عين السؤدد اليمنى

أما استحيا ابو يحيى * لغض المهجة الكبرى

لئن ختمت بك الدنيا * لقد فتحت بك الاخرى

---

(١) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٩٣ (٢) مرآت المروءات ٢٦ (٣) المبهج ٣٨
(٤) المبهج ٤٧ (٥) الشعر فى ظل سيف الدولة ٢٤٨ (٦) تتمة اليتيمة ١ : ١١٧
(٧) اليمينى للعتبى ٩٣

وقال يرثى حمد بن محمد الخطابى (١) : (من الخفيف

انظروا كيف تخمد الأنـــوار * انظروا كيف تسقط الأقمـــار
انظروا هكذا تزول الرواســـى * هكذا في الثرى تغيض البحار

أما تعزيته لخوارزم شاه عن أحد ابنائه فقد قال فيها (٢) : (من مخلع البسيط) :

قل للمليك الأجل قـــــدرا * لا زلت بدرا تحل صـــدرا
انى اعزيك عن عزيـــــز * كان لريب الزمان عـــذرا
وكان طهرا فصار أجـــرا * وكان ظهرا فصار ذخـــرا

* * *

(١) معجم الادباء ٢ : ٨٦ (٢) أحسن ماسمعت ١٨٤

خصائصه : لقد كان الشعر في البيئة الشرقية في عصر الثعالبي يغلب على أساليبه مايغلب على اساليب الكتاب من كلف بالزخرف اللفظي وتعمد اصطناع المحسنات البديعية ، وبعد عن الروح العربية التي ظلت تتسم شعر أهل الحجاز والشام بميسمها الخاص، وهذا شاعرنا الثعالبي يجرب حظه في قول الشعر في تلك البيئة التي استمد ثقافته منها ، فكان الشعر عنده تعبيرا عن خلجات نفسه اكثر منه وسيلة لكسب المال ، ويغلب على شعره ماغلب على شعر البيئة والعصر من زخرفة لفظية وتعلق بفنون البديع ، فكان شعره أشبه مايكون بنثره من هذه الناحية .

لقد تعمد استحكال الجناس في مثل قوله (١) : (من المتقارب)

أطال الله بقاء الأمير * وتوفيقه ثم تأييده

ففي كل يوم باقباله * يرى عيده ، عنده ، عيده

وقوله (٢) : (من البسيط) :

قولوا لعثمان في اوقات طيبته * اذا تبسم عن در وياقوت

اني أراك تبيح الناس قوتهم * ففيم تمنع عني القوت ياقوتي

وقال (٣) (من مجزوء الكامل) :

واها لغزنة اذ غدت * للملك والاسلام دارا

من كعبة قد أصبحت * للمجد والعليا مدارا

في صدرها الملك الذي * قطب السعود عليه دارا

وقد ورد الطباق في شعره دون تكلف في مثل قوله (٤) (من الكامل) :

وعيدت يامن للمعالي قيامه * وللفضل والافضال فينا قعوده

وفي قوله (٥) (من الكامل) :

كم في ضمير الغيب من أسرار * تهدي اليسار الى ذوي الاعسار

وجاء الترصيع في شعره نتيجة حبه للسجع في النثر في مثل قوله (٦) : (من المتقارب)

وأنسي مريض وهمي عريض * وطرفي غضيض وعظمي مهيض

وكان كلفا بالمبالغة والتهويل في مثل قوله في مدح الأمير الميكالي (٧)

---

(١) خاص الخاص ٢٤٥ (٢) أحسن ماسمعت ١٢٦ (٣) نهاية الأرب ١ : ٣٦٥
(٤) خاص الخاص ٢٤٥
(٥) خاص الخاص ٢٤٥ ، ثمار القلوب ٦٨١
(٦) خاص الخاص ٢٤٤
(٧) زهر الاداب ١ : ١٣٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠

ياكعبة المعالـــــي * وقبلة الآمـــــال
وغرة الجمـــــال * وصورة الكمـــــال
وطالع الاقبـــــال * وعارض الأفضـــــال
وآفة الأمـــــوال * بدر بني ميكـــــال
كم لك من فعـــــال * اصفى من الـــزلا ل
أحلى من السلســـال * أبهى من اللآلـــي
أزكى من الشمـــالي * أمضى من العوالـــي
أسرى من الخيـــال * أبقى من الجبـــال
فاسلم على الليالـــي * ودم بخير حـــال

ومن الاعيبه اللفظية قوله (١) من المتقارب

كتبت وشنيات خالى جلبـــ * ـــن على بعن جل عن مشـــبه
فشوقى اليه وشكرى لـــ * ـــه وشعرى فيه وشغلى بـــه

وقوله (٢) من الكامل

رمضان ارمضنى فأمرضنى بصـــا * دات على عدد الطباع الأربعة
صوم وصفراء تجرعنى الـــردى * وصبابة وصدود من قلبى معه

ونراه أحيانا يجمع عدة تشبيهات فى البيت الواحد فى مثل قوله (٣) من المتقارب

وفيك لنا فتن أربـــع * تسل علينا سيوف الخـــوارج
لحاظ الظباء وطوق الحمـــا * م ومشى القباج وزى التـــدارج

وكثر استعماله للالفاظ الفارسية فى قوله (٤) من الهزج

اذا مانقل الدهقـــا * ن غلات الرساتيـــق
فكم من نعمة بيضـــا * ء فى سود الجواليـــق

ومثل قوله (٥) : (من الطويل)

وما المرء الا بمقلوب اسمه رجـل * بالفارسية فأفهم أيها الرجـــل
فان يكن خاليا ممارمزت بـــه * بضم ميم اسمه قد جاءه الأجـــل

---

(١) برد الاكباد ١٣٥ (٢) برد الاكباد ١٣٥
(٣) فقه اللغة ٥٥٧ وثمار القلوب ٤٩٠ ، ٦٢٤
(٤) لطائف المعارف ٢٠٦ (٥) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٥٠

وواضح أن معنى هذين البيتين يقوم أساسا على فهم مايقابل كلمته (رجل) بالفارسية وهو (مرد) ومقلوبه (د رم) ، ولا معنى لهذه الكلمة بالفارسية الا ان تكون مخففة من كلمة (درهم) ، وهي فارسية معربة ، أما (مرد) بضم الميم فتعنى الميت .

وكان يضمن شعره ألفاظا أفادها من مصطلحات المحدثين فى مثل قوله (١) : (من الطويل)

سقطت لحينى فى الفراش لزمته * أضم الى قلبى جناح مهيض

وما مرضى غير حبى وانما * أدلس فيكم عاشقا بمريض

واستعمل بعض مصطلحات الصوفية فى قوله فى أبى سليمان الخطابى (٢) (من البسيط)

أبا سليمان سر فى الأرض أو أقم * فانت عندى ، دنا مثواك أو شطنا

ما أنت غيرى فأخشى ان افارقه * قربت روحك بل روحى فأنت أنا

وقد أحال النثر نظما حين حول قول الصاحب بن عباد " الخراج خراج دواؤه فى أدائه " الى ابيات شعر (٣) (من المجتث) :

قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش بمائه

ان الخراج خراج * دواؤه فى أدائه

ولاحظت أن الثعالبى كان يؤثر البحور الطويلة فى معظم شعره .

ويجب ان لا ننسى أن " الثعالبى كان يقول الشعر على طريقة الكتاب المترسلين والمتأدبين ، فهو يعتبره فنا له اشكاله وقوانينه اكثر منه فنا يعتمد على الالهام وانتفاضة الشعور ، ومن هنا جاء شعره أقرب الى الصنعة والصق بالمحسنات اللفظية . " (٤)

واحيانا كان يقتبس من آى الذكر الحكيم ، شأنه فى ذلك شأن شعراء وادباء عصره ، منهم الصاحب بن عباد حيث يقول (٥) :

تزلزلت الأرض زلزالها * فقالوا بأجمعهم مالها

مشى ذا الثقيل على ظهرها * " فأخرجت الارض اثقالها

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٨ (٢) خزانة الأدب ١ : ٢٨٢ ، ٢٨٣

(٣) المبهج ٢٩ ، اللطائف والظرائف ٣٠

(٤) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ص ١٧ .

(٥) الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ٢٤٠

ولا غرو فى ان شعره جاء أقرب الى الصنعة والصق بالمحسنات اللفظية ، لأنه عاش فى عصر ساعد على نمو الصناعة فيه ، ان ذلك العصر كان مصبوغا بالصبغة الفارسية ، والفرس قوم يغلب عليهم التأنق فى المعيشة والامعان فى ذلك التأنق وهم يميلون الى الزخرفة فى كل فنونهم ، ولا شك أن ذلك له أثره فى اتجاه الأدب العربى الى البديع وفنون الصناعة .

* * *

: : الفصل الثانـــى : :

" نثر الثعالـــــبى "

—١—

جاء العصر العباسي وقد أخذ النثر الفني يزدهر ويتطور ، ويتخذ وضعا فنيا يعتمد على التأنق في العبارة والدقة في المعنى ، والتسلسل في الفكر .

وقد ازداد هذا النثر نموا وازدهارا ودقة وتأنقا نتيجة للحضارة ، وتأثـــرا بالفلسفات والمنطق والثقافات الوافدة .

وما أن جاء القرن الرابع الهجري حتى كان النثر الفني يتخذ لنفسه أساليـــب معينة وسمات مميزة ، وأخذ اسلوب الكتابة الفنية يميل الى الزخرف والتأنق والصنعة ، وامتازت هذه الكتابة امتيازا ظاهرا بلزوم السجع القصير الفقرات ، وباستعمال الجناس وبعض انواع البديع ، وباستخدام معاني الشعر واغراضه وحل معانيه واصطناع طرائقه ، حتى كادت الرسائل تكون شعرا منثورا ، وكثرت فيها عبارت التعظيم والتفخيم للملـوك والامراء ، والاقتباس من كلام البلغاء وتضمين الأفذاذ من ابيات الشعراء ، ولا عجب من ذلك اذ كان معظم كتاب دول المشرق الاسلامي الذين اشتهرت هذه الطريقـة على ايديهم من الفرس ، وهم أميل الناس الى الحلية اللفظية ، والغلو في عبـارات التمجيد والتعظيم ..

ومع هذا لم تخل كتابة كثير من هؤلاء من جزالة اللفظ ، وحسن انتقائـــه ، واجادة استعماله في مواضعه ، وجمال اسلوبه .

وبذلك يمكننا أن نفهم حالة النثر في أيام الثعالبي فهما شاملا عن طريـــق دراسة هذا التراث الأدبي الضخم الذي حمـل سمات البيئة وعبر عن مظاهرهـا أصدق تعبير .

ويمثل نثر الثعالبي جانبا من هذا التراث ، حتى يكاد الحديث عن خصائـص النثر في البيئة الشرقية يكون حديثا عن خصائص نثر الثعالبي نفسه ، فبالرغم من أن الرجل أبدع صورا أدبية خلدت اسمه بين مشاهير كتاب عصره ، فانه لم يكن ليتمـيز عنهم كثيرا ، أو يخالفهم فيما دأبوا عليه من أساليب تصطنع التأنق في اللفظ ، وتميـل الى التعمق في المعنى الحضاري الذي يرضي الذوق المثقف .

لقد عبر الثعالبي عن ميله الى التأنق في الاسلوب ، وأصبح السجع ضروريا للبليغ ،حتى قال في وصف أحد البلغاء : " البلاغة خالصة لديه ، ومقصورة عليه ، ومركبة فيه ، ومسخرة لطاعته ، ان مدح سجع ، وان أثنى أبدع " (١)

وذكره الوطواط في الغرر ص٢٧٧ فقال : " وصف الثعالبي صديقا له ، فقال : فلان كريم ملء لباسه ، موفق مدى انفاسه ،ذو جد كعلو الجد ، وهدى كحديقة الورد ، عشرته الطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال ، والصق بالقلب من علائق الحب :

فتى قد قد السيف مانا عوده * ولا وهنت اعضاؤه ومفاصله

اذا جد عند الجد الهاك جده * وذو باطل ان شئت الهاك باطله

وذكر ايضا في ص٢٩٢ قوله : " اذا كان الصديق المجانس متعذرا ،وصحيح الاخاء لا يكاد يرى ، فالثقة بغير الله منقصة العرى . "

من هذين النصين نرى أن الثعالبي كان يتأنق في اسلوبه ،ويحسن تخير الألفاظ والتنسيق والرصف ، كما يمعن في دقة المعنى ، ويلتزم السجع ، وان جاء به في جمل متوسطة الطول :

وقد كان الثعالبي أيضا يعجب بالاسلوب السهل الواضح ، الذي يعلق بالقلب دون عناء ، فيقول : " أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مصنعه . " (٢)

وأحيانا كان يأتي نثره مرسلا ، يكاد يخلو من المحسنات البديعية كقوله في ترجمة الواثقي : " ومن خبره أنه كان نزع بأهله الى الحضرة ببخارى ، راجيا أن يحل بها محل اقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله ،أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الاقامة بها ، وكثرة الخدمة لأركانها على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضبا ، يتوغل بلاد الترك ، الى أن ألقى عصاه بحضرة عظيمها (نهر أفاخان) . " (٣)

" وقد كان للثعالبي أثره في شيوع السجع والتصنيع ، فقد قدم للأدباء من كتاب وشعراء في يتيمته بمقدمات مسجوعة ، اعتمد فيها على زخرف البديع . " (٤)

---

(١) سجع المنثور — ورقة ٢ ظهر
(٢) التمثيل والمحاضرة ١٥٨
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٩٢
(٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي ١٥٧

ولكنى وجدت من خلال دراستى لآثار الثعالبى أنه لم يتخل عن وضوح المعنى وبساطة التعبير ، مع التزامه أحيانا بالسجع والتصنيع ، وكيف لا وهو الذى تأثر بأسلوب القرآن الكريم الذى كان موردا عذبا لثقافته ، وكذلك تأثر بأساليب النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، وتعلق باللغة العربية ،ودرس علومها وآدابها .

— ٦ —

ومن دراستنا لآثار الثعالبى نستطيع أن نلخص طريقته النثرية فى السير على منوال عصره من حيث التأنق فى فن الكتابة ،والاحتشاد لها ، واصطناع السجع ونحوه من الوان البديع ، والبراعة فى اختيار الألفاظ والصور الجميلة والمعانى الدقيقة اذا استثنينا بعض التراجم والأخبار ، فانه كان يتخلى عن الصنعة أو يكاد ،حيث يرسل كلامه ارسالا على سجيته دون تأنق أو احتشاد ،على أنه بصفة عامة كان مقتصدا فى استعمال الصنعة البديعية والسجع اذا قيس بغيره من الكتاب .

لقد اهدى " الاقتباس من القرآن الكريم " للأمير أبى المظفر نصر بن ناصر الدين و " فقه اللغة " للأمير أبى الفضل الميكالى و " التمثيل والمحاضرة " للسلطان قابوس بن وشمكير .

وكان نفسه طويلا فى مقدمات كتبه التى عثرنا عليها بعد أن فقد منها الكثير.

وقد تأنق فى تدبيج هذه المقدمات ، لأنها مقدمات كتب أهداها الى من جمع الله لهم الى عزة الملك بسطة العلم ، وهو يتوج هذه الكتب بلمع من ثمار بلاغتهم .

لهذا نجده يحرص على أن تخرج مقدماته قطعا فنية خالصة ، لا تخلو من جمال اللفظ وطرافة المعنى .

وقد ذكرت آنفا أن الثعالبى كثيرا ماكان يقتبس من آى الذكر الحكيم وبخاصة فى كتابه (الاقتباس من القرآن الكريم) فمن ذلك قوله :

" الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين على نعمه التى لا يبلغ اقصى حمد الحامدين أوائل حدودها ، ومنحه التى لا تؤدى نهايات شكر الشاكرين ادانى حقوقها . "(١)

---

(١) الاقتباس ورقة (١) وجه

وقوله فى مقدمة " تحفة الوزراء " : " الحمد لله مبدع الأشياء بمتقن نظرته ، ومودعها لطائف حكمته ." (١)

وقال فى مقدمة " غرر أخبار الملوك " : " أما بعد حمد الله مدبر الأفلاك فى سمائه ، ومستخلف الأملاك فى أرضه ." (٢)

ويقول فى مقدمة " المبهج " : " أما بعد حمد الله استجاحا ، والصلاة على نبيه المصطفى غدوا ورواحا ." (٣)

لقد ضمن الثعالبى مقدمات كتبه مديحا فضفاضا لعظماء عصره الذين أهداهم كتبه ، مدحهم بطول العمر ، ودوام السلطان والسعادة والعزة والفضل ، فقال فى تقديم كتاب أهداه لخوارزم شاه ، وهذا الكتاب هو " نثر النظم " قال فيه : " أيام مولانا الملك المؤيد العالم العادل المسدد ولى النعم أبى العباس خوارزم شاه ، أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ." (٤)

وقال فى تقديم كتاب آخر للأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير : " خير من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة الى نفاذ الحكم ، وجعله مبرزا على ملوك العصر ومدبرى الأرض وولاة الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلها بالعبارات ، ومحاسن سير تطرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها ألسنة الليالى والأيام ، وهذه صفة تغنى عن تسمية الموصوف ، لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه اياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها لمولانا الأمير الأجل شمس المعالى ، أطال الله بقاءه ، ونصر لواءه ، وعليه مقصورة وبه آنسة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ، بمعاينة الآثار وشهادة الأخيار واجماع الأولياء ، واتفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافى الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ." (٥)

وهذا النموذج نلمح فيه روح الجاحظ وطريقته فى الترادف وكثرة استعمال

---

(١) تحفة الوزراء ورقة ١ وجه

(٢) غرر اخبار الملوك (المقدمة)

(٣) المبهج ص٢

(٤) نثر النظم للثعالبى ص٢

(٥) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص٣ ، ٤ ، وزهر الاداب ج ٢ ص ٤١٦ .

حروف الجر ، وذلك الى جانب ماقررناه من اقتصاده فى استعمال السجع وعدم الالتزام به على الدوام .

وقد كان يحس أن بين من يهديهم كتبه أدباء لا يستطيع اللحاق بهم ، ولهذا يفضلهم على نفسه ، وربما كان هذا تواضع العلماء ، مثل تفضيله للشيخ الاديب أبى الحسن مسافر بن الحسن حين قال فى تقديم كتابه " خاص الخاص " : " وانى حين أخدمه بكتبى كمن يهدى الخضاب الى الشباب . " (١)

وقال فى تقديم كتابه " الايجاز والاعجاز " الى القاضى الهروى : " وأن كنت فى ذلك كمن يهدى الى الشمس نورا أو يزيد فى البحر نهرا . " (٢)

وشبه نفسه حين حمل كتابه " لطائف المعارف " الى خزانة السلطان محمود الغزنوى " بمن يحمل كوزماء اجاج الى بحر عجاج " (٣)

وهذا دليل على تأثره بأمثال الخاصة من أهل عصره ، وقد ساقها فى كتابه الامثال ورقة ٧ ظهر .

ان من امثال الخاصة قوله : " فلان يسوق الى البحر نهرا ، ويهدى الى البدر نورا ، ويزيد فى الشمس ضوءا " ولم يكفه أن يأتى بمثل هذا التشبيه فى نثره ، بل أتى به مستشهدا بشعر صديقه البستى حين قال : من البسيط

لا تنكرن اذا اهديت نحوك من * علومك الغر أو آدابك النتفا
فقيم (الباغ) (٤) قد يهدى لمالكه * برسم خدمته من باغه التحفا

وفى بعض مقدماته نجد التزاما عجيبا للسجع بحيث يلتزم بالقافية فى فقرات كثيرة كما يقول فى مقدمة (الاقتباس) : " وتهيأ الفراغ من هذا الكتاب الذى لولا ما اتهمه من حسن رأيى فيه ، واخاف من فتنة اعجابى به ، لقلت انه كتاب بديع الصنع ، شريف الموضع ، جليل الموقع ، هنىء المكرع ، لذيذ المترع ، انيس المرأى والمستمع ، انيق المبدأ والمقطع ، مفيد المفزى والمنتجع . " (٥)

وكثرت التشبيهات الرائعة فى مقدمة (من غاب عنه المطرب) كقوله فيه " هذا الكتاب يشتمل على محاسن الألفاظ الدعجة ، وبدائع المعانى الأرجة ، ولطائف

---

(١) خاص الخاص للثعالبى — طبعة السمكرى ص٢ (٢) الايجاز والاعجاز ص٨
(٣) لطائف المعارف ص٣ (٤) الباغ : كلمة فارسية بمعنى المزرعة
(٥) الاقتباس ورقة ١ وجه وظهر

الأوصاف التى تحكى أنوار الأشجار ، وانقاس الاسحار ، وغناء الأطيار ، وأجياد الغزلان ، واطواق الحمام ، وصدور البازات والشهب ، واجنحة الطواويس الخضر ، وملح الرياض ، وسحر العقل المراض وتحرك الخواطر الساكنة ، وتبعث الأشواق الكامنة ، وتسكر بلا شراب ، وتطرب من غير اطراب ، وتهز باطرابها كما هزت الغصن ريح الصبا ، وكما انتفض العصفور بلله القطر ، من نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد .» (١)

ونجده فى هذه المقدمة لا يحيد عن عادته فى تضمين الأفذاذ من ابيات الشعر فى نثره .

وهنا يضمن تشبيهاته شطرا من بيت الشعر :

وانى لتعرونى لذكراك هـزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ولكنه نثره كنثر الورد .

وهكذا نرى تأنقا فى اللفظ ، وطرافة فى المعنى ، وتشبيهات رائعة ، وتضمينا لأبيات الشعر فى نثره .

— ٣ —

هذه هى السمات العامة التى تكاد تغلب على اسلوب الثعالبى ، كما تغلب على بعض مقدماته العاطفة الصادقة ، لاسيما اذا كان من يهدى اليه الكتاب صديقا قريبا الى قلبه ، من ذلك مانقرأه فى مقدمة " نسيم السحر " حيث يقول : " ان لقاء الشيخ الأجل الأوحد أبى الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمرى نسيم الصبا على كبد المكروب ، وترياق سم الهموم على قلب المغموم ، وقد طالما اشتقته حتى رزقته ، وتمنيته حتى رأيته ، واقتبست من نوره ، واغترفت من بحوره ، واستظهرت على كربة الغربة بحسن عشرته ، وتداويت من جروح الزمان بطيب كرمه ، ووجدت ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب فى آثار يده ، وثمار لطفه ، وانعقدت بيننا حال فى المودة توفى على اللحمة "(٢)

أما الميكالى الذى اهداه الثعالبى عددا من كتبه ، فقد حظى بكثير من الاطراء فى مقدمات تلك الكتب ، وكانت هذه المقدمات قطعا فنية فى المدح ، تغلب عليها العاطفة الصادقة ، ويحس الثعالبى بان الاسلوب النثرى عاجز من التعبير عما يريد

---

(١) من غاب عنه المطرب ٢٣٠ (٢) نسيم السحر للثعالبى — ورقة ١ وجه

أن يعبر عنه ،فيستعين بالشعر يرصع به كلامه .

ولنسمع ماقاله في مقدمة " فقه اللغة " حين يمدح الأمير الميكالي الذي أصبح الثعالبي من المقربين لديه ، وأصبح صديقا وفيا له ، يقول فيه : " وأيم الله مامن يوم اسعفني الزمان بمواجهة وجهه ، واسعدني بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ،فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ،ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الكرم والفضل من الحاظه ، وانتهبت فرائد الفوائد من الفاظه ، الا تذكرت ماانشدنيه - أدام الله تأييده - لعلى بن الرومي : من البسيط :

لولا عجائب صنع الله مانبتت * تلك الفضائل في لحم ولا عصب

وانشدت فيما بيني وبين نفسي ورددت قول الطائي (من الوافر) :

فلو صورت نفسك لم تزدها * على مافيك من كرم الطباع

وتلتت بقول كشاجم : من الكامل :

ماكان أحوج ذا الكمال الى * عيب يوقيه من العين

وربحت بقول المتنبي : من الوافر :

فان تفق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه لسان أبي اسحق الصابي حيث قال للصاحب ورثة الله اعمارها ، كما ورثه في البلاغة أقدراها : من السريع

الله حسبي فيك من كل ما * يعوذ العبد به المولى

ولا تزل ترفل في نعمة * انت بها من غيرك الأولى

وما أنسى لا أنسى أيامي عنده بفيروز اباد احدى قراه برستاق جويني سقاها الله مايحكي اخلاق صاحبها من سيل القطر ، فانها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته المطرية ،وآدابه الحلوية ، والفاظه اللؤلؤية ،مع جلال انعامه المذكورة ،ودقائق اكرامه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون ، انموذجات من الجنة التي وعد المتقون . " (١)

وقلما تحمل مقدمات كتبه آراء نقدية لمادة الكتاب كما في مقدمة " يتيمة الدهر "

---

(١) فقه اللغة للثعالبي ص٨ ، ٩

حينما علل سبب تفضيله شعراء الشام على شعراء العراق وما جاورها ، على أنه قد ينهى مقدماته بالدعاء لمن يقدم الكتاب له ، فيجمع في هذا الدعاء جمال اللفظ ورشاقته وطرافة المعنى ودقته ، كقوله في مقدمة " ثمار القلوب " الذى أهداه للأمير أبى الفضل الميكالى ، بعد ذكر أبواب الكتاب ، يقول : " جعلها الله أبوابا مفتوحة للأمير السيد الى امنيته ، وجعله من بركاتها مايربى على عدد سطورها ، بل حروفها برحمته "(١)

والمطلع على مقدمات كتب الثعالبى يجدها متشابهة ، تسير على وتيرة واحدة لا فرق فيها بين مقدمة كتاب وكتاب ، من ناحية الطريقة والموضوع والدعاء .

ومهما يكن من أمر فاننى لا أجانب الصواب ، اذا قلت ان مقدمات الثعالبى لكتبه القيمة تجف بعدها غدر محاسن الكلام ، لما تحويه من رونق كلام ، وحسن نظام ، وتأنق في الصياغة ، وتخير الألفاظ ، وجودة التأليف .

— ٤ —

لكل موضوع عند الثعالبى وزنه وحجمه ، فعندما يتحدث عن موضوع بعيدا عن الخيال يكون الغالب على كلامه الاسلوب العلمى ، حيث لا يحتاج الى تأنق في اختيار الألفاظ ، من ذلك قوله في كتابه " مرآة المروءات " : " الطعام قوام الأبدان ، ومادة الحياة ، ولابد منه على كل الأحوال ، وكلما كان الطف طبخا ، وأحسن لونا ، وأزكى رائحة ، وأطيب طعما ، كان الطبع اليه أميل ، والهضم أجود ، والغذاء اكثر والقوة أبلغ ، والقدرة على امور الدنيا والدين اكمل ، فمن المروءة تنظيفه وتحسينه وتجويده وتطييبه ، كيف لا ، والله عز ذكره يقول : " قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق " وقال ايضا عز وجل : كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا . "(٢)

فنحن لا نلاحظ هنا حرصا على سجع ولا غراما بزينة لفظية .

وأما في كتاب " غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم " فقد اصطنع اسلوبا ادبيا ، وصورا خيالية ، وصنعة بديعية تتفق مع موضوعه ، لأن الخيال يلعب دوره في أخبار ملوك الفرس ، وقد أحس الثعالبى أن قصته حياة (اسفندياذ) لا يصدقها العقل ، فقال في تقديمها : " هذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم مما لا يقبله العقل ،

(١) ثمار القلوب للثعالبى ص٨ (٢) مرآة المروءات للثعالبى ص ١٠

ولا يصدقه الرأى ، ولكنى اوثر أن لا يخلو كتابى هذا منها مع شهرتها ، وتداول الناس اياها ، وميلهم اليها ، واستطابة الملوك عجائبها .»(١)

وقد سرد لنا الثعالبى هذه القصة كلها ، ولكن يضيق المقام هنا عن سردها كاملة .

ومن قراءة تتالها نجد أنه اكثر من السجع وفنون البديع ، كما فى قوله : «ثم انه رأى ريعا خصبا ، وروضا وغديرا ، واشجارا كأن الحور اعارتها قدودها ، وكستها برودها ، فنزل فى ظل شجرة ملتفة الاغصان بالورق على غدير كأن ماءه اذا صافحته الريح تشنيج ذيل القرطق الازرق ، وشكل فرسه ، وافترش غاشيته وبسط سفرته ، وحل زكرته ، وأخذ الطنبور فنقره ، واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : الى متى تترامى المفاوز والجبال بى ، وتنبو الاوطان والاوتار عنى ، حتى متى خوض الحروب ومعاناة الخطوب ؟ أين السرور بوجوه الحسان ، ومغازلة الغزلان ؟ وان الذى انزلنى هذا المكان الذي يحكي الجنان ، قادر ان يقرعيني بجارية وسيمة جسيمة ، تسرني بطلعتها ، وتؤنسني بمساعدتها ، وذلك بمرأى ومسمع من الساحرة ، فقالت : قد وقع الأسد فى الحبالة ، وجاءتني الغنيمة ، فلم تلبث أن برزت فى صورة جارية ، كأنها فلقة قمر على برج فضة ، وعليها من الحلى والحلل مايروق ويشوق .»(٢)

ونستنتج مما سبق أن الثعالبى عندما يطرق موضوعا علميا يقتصد فى الصور الخيالية ، والصنعة الفنية ، ليوضح لنا الفكرة بأدق تعبير ، وعندما يصوغ قلمه قصة أدبية تعتمد على الخيال ، فانه يصول ويجول ، ويسبح فى الخيال ، ونرى رقة الأدب والصور الفنية المتلاحقة المتمثلة فى رشاقة السجع ، وجمال التشبيه ، وتنميق اللفظ . فاسلوبه فى كل ماكتب يتراوح بين البساطة والسهولة ، وبين الصنعة والتأنق . وما أصدق تلميذه الباخرزى عندما سماه (جاحظ نيسابور) مشبها اياه بجاحظ البصره ، لما فى اسلوبهما من تشابه فى عرض مادة كتبهما ، وتقارب طريقتهما فى التأليف ، وثقافتهما العريضة الواسعة التى حصلاها من مختلف العلوم والفنون .

— ٥ —

أما فى تراجم الثعالبى لادباء عصره الذين حملوا لواء الشعر والنثر اكثر من قرن من الزمن فانه سخر كل ماقى وسعه من براعة الاسلوب ، وحسن العرض ، وقوة

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبى ص٣٠١
(٢) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٣١٣ و٣١٤

التعبير ، وتنميق الألفاظ ، وسجعه الذى كاد يلتزمه التزاما ، كقوله فى ترجمة سيف الدولة : " وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان ـ رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه غرة الزمان ، وعماد الاسلام ، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور ، وكانت وقائعه فى عصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتفل انيابها ، وتذل صعابها ، وتكفى الرعية سوء آدابها ، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن فى الاسلام الآثار ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الحسود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء "(١)

وأحيانا نراه يكثر من التشبيه والاستعارات والمترادفات ، كقوله فى ترجمة المتنبى : " نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به ، اذ هو الذى جذب بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، والقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والايام تحفظه ، "(٢)

وتارة يكثر من السجع القصير ، من ذلك قوله فى ترجمة السرى الرفاء :

" السرى وما أدراك ما السرى ، صاحب سر الشعر ، والجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث فى عقد السحر ، لله دره ، ما أعذب بحره ، واصفى قطره ، واعجب أمره ، "(٣)

وقد يجنح الى الاستشهاد بالشعر ، كقوله فى ترجمة الخالديين :

" هما فى الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ولا يكادان فى الحضر والسفر يفترقان ، وكانا فى التساوى والتشابك ، والتشاكل والتشارك كما قال أبو تمام : من المتقارب :

رضيعى لبان شريكى عنان * عتيقى رهان حليفى صفاء

بل كما قال البحترى من الكامل :

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد(٤)

وتبدو الرقة فى كتابته حين يصف شعر من يترجم لهم ، كقوله فى وصف شعر ابن نباتة السعدى : " وشعره ـ مع قرب لفظه ـ بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٧
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢٦
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١١٧
(٤) يتيمة الدهر ٢ : ١٨٣

غور من حر الكلام ، كقطع الروض غب المطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الاسحار ، وشكوى الأحباب "(١)
وقد يعمد الى اللفظ القريب حين يحدثنا عن المقربين الى قلبه من الأمراء والأدباء الذين أصبحت مناصبهم العالية لا تحول دون أن يتصل بهم ، ويرتبط معهم برباط وثيق من الاخوة الصادقة .

وهذا الأمير أبو الفضل الميكالي ، عندما يترجم له الثعالبي يقول : " يزيد على الاسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم مكان الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم ومناقبهم وخصائصهم ، وينفرد عنهم بعزية الأدب الذي هو ابن بجدته وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة ، وأتم بلاغة "(٢)

— ٦ —

ومن خلال دراستي ليتيمة الدهر وتتمة اليتيمة ، تبين لي أن الثعالبي يميل الى الايجاز في تراجمه ، ولكنه يطيل ويسهب في القول اذا ترجم لمن له شهرة في الأدب عظيمة أو تربطه به صلة وثيقة ، وكان شديد الحرص أن تبدو تراجمه في هذين المؤلفين قطعا فنية رائعة .

" الا ان ذلك كله لا يعفيه من مسؤولية تشابه كثير من تراجمه المختصرة ، يمكن معه ابدال بعضها ببعض دون أن يخل ذلك بشيء من مادة الكتاب ، الا أننا قد نلتمس له العذر في كثرة الادباء ، وكون اغلبهم من المغمورين "(٣) واشتهر الثعالبي بحل النظم ، اذ ألف كتابا برأسه في هذا الغرض ، وسماه : " نثر النظم وحل العقد " ، وقدمه الى الأمير خوارزم شاه الذى كان يجمع في بلاطه معظم العلماء والادباء ، وكان الى العلم أميل " ولعله كان يميل — بسبب ذلك — الى النثر اكثر من ميله الى الشعر ، لأن النثر أقرب الى طبيعة العلم من الشعر . "(٤)
فحل قول الشاعر من الطويل :

أطال الله السلامة والبقـــا * وزادك في الدنيا علوا ومرتقـــى
بعثت رسولي وهو حامل رقعـتي * فرأيك فيما قلت أمس موفقـــا

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٣٨٠
(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٥٤
(٣) الثعالبي ناقدا واديبا ٤١٦
(٤) المصدر نفسه ٤٢٣

فقال : " يلقى الشيخ أطال الله بقاءه ، وأدام فى المعالى ارتقاءه ، برقعتى من هو وسولى فى تحصيل سولى ... (١)

ويتضح من اطلاعنا على اسلوب الثعالبى فى " المبهج " و " نثر النظم وحل العقد " أن تعلقه بالمحسنات البديعية فى الكتاب الثانى يبدو أخف مما كان عليه فى الكتاب الأول وربما كان السبب فى ذلك أن مادة كتاب (المبهج) مكونة من الأمثال البليغة التى لا يسهل حفظها الا مع السجع والجناس ، أما مادة " نثر النظم " فان نثر أبيات الشعر الموجودة لديه بمعانيها لا تحتاج كد الخاطر للتعلق بالمحسنات البديعية .

وسبب آخر لعدم تعلقه بالمحسنات فى " نثر النظم " أنه ألف هذا الكتاب لأمير يحب العلم والعلماء ، كما اسلفنا فى الحديث عن (خوارزم شاه) ، ولهذا لم يكن بحاجة الى تلك المحسنات البديعية .

ومهما يكن من أمر فان كتاب " نثر النظم " يعد شاهدا على قدره الثعالبى على اكساء المعانى كساء جديدا من اللفظ ، مطرزا بفنون من وشى الكلام وزخارف التعبير الفنى .

ويبلغ اسلوب الثعالبى أعلى مرحلة من مراحل النضج الفنى فى الكتب التى ألفها فى شيخوخته ، أى بعد طول خبرة فى التأليف ، كما يبدو فى كتابه " خاص الخاص "

تلك هى أهم خصائص نثر الثعالبى ، وبعد فقد آن الأوان لكى ندرس آراءه النقدية ثم نضعه فى ميزان النقد لنرى آراء النقاد والادباء فى نقده .

* * *

---

(١) نثر النظم للثعالبى ٣٢

:: الفصل الثالث ::

"آراء الثعالبى النقديـــــة"

—١—

لعل أول مايطالعنا فى الصفحات الأولى فى اكبر كتب الثعالبى حكم خاص ببناه على البيئة وهو " ان شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق ومـا يجاورها فى الجاهلية والاسلام (١) ، ودليله على ذلك ان ماأحصاه من اســـماء المشهورين من شعراء الشام اكثر من اسماء المشهورين من شعراء العراق أو البيئات الأخرى .

وذكر السبب فى تبريزهم على من سواهم فى الشعر ، وهو " قربهم من خطـط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة السنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورتهم الفرس والنبط ، ومداخلتهم اياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة " (٢)

وعزز رأيه بآراء ادباء متفوقين يشار اليهم بالبنان من امثال شيخه الخوارزمـى عندما اعجب أيما اعجاب بطريقة شعراء الشام ، وقد نقل عن الخوارزمى قوله فى فضل شعراء الشام : " مافتق قلبى وشحذ فهمى وصقل ذهنى وارهف حد لسانى وبلغ هذا المبلغ بى الا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التى علقت بحفظى ، وامتزجـت بأجزاء نفسى " (٣) .

ويبدو أن سر تفضيله شعراء الشام على غيرهم راجع الى الاسباب التى ذكرهـا ، ولتعلقه باستاذه الخوارزمى الذى اخذ عنه الكثير والذى افتتن بتلك الطرائـــف الشامية عندما كان فى بلاط سيف الدولة .

واعتمد ايضا على رأى الصاحب بن عباد الذى هو الآخر اعجب اعجابا — لا يقل عن اعجاب الخوارزمى — بطريقة ادباء الشام ، وقال انه كان " يحرص على تحصيـــل الجديد من اشعارهم ، ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد مايحفظونه من تلـك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخم الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلســه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفى سن قلم ، فطوراً

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٤   (٢) المصدر نفسه ١ : ٢٤ و٢٥   (٣) المصدر نفسه ١ : ١٤

يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله ويورده كما هو في رسائله ." (١)

—٢—

ومن آرائه في الصاحب أيضا : "احتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يربي عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنه في الأخذ برقاب القوافي وملك رق المعاني ." (٢)

—٣—

وقوله في أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني : "هو حسنة جرجان وفرد الزمان ... يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ." (٣)

—٤—

ومن احكامه النقدية في شعر السري الرفاء ماأورده من ابيات للسري :

ورق مثل حاشيتي رداء * جديد مذهب في يوم ريح

قال الثعالبي : هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي "حاشيتي لواء" .ولست أدري أأنسب هذه الحال الى التوارد أم الى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهما مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف اعنة القوافي ، وصياغة حلى المعاني . ولما وجدت السري أخذ جديد القميص في حسن السرقة ، وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته .

قول السري في سيف الدولة :

أفنت ظباك الروم حتى انهما * لم تبق الا ظبية أو ريما

وانما سرقه من قول المتنبي :

فلم يبق الا من حماها من الظبى * لمى شفتيها والثدى النواهد

وفي قصيدة السري :

فالدهر يمسح فيه غرة سابق * لاقاه أول سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة :

مسحت محمد وجه ممن سابقما * لما جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال من قصيدة :

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٥ (٢) المصدر نفسه ٣ : ١٨٩ (٣) المصدر نفسه ٤ : ٣

تناهى فلا أذن الى العتاب * وأحسن للعواذل فى الخطاب
وصار جنيب غصن غير رطب * وكان جنيب اغصان رطاب
خلت منه ميادين التصابي * وعرى منه أفراس الشباب
وزهده خضاب الله لما * تولى عنه فى زور الخضاب

وانما اخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير " وعرى افراس الصبا ورواحله " وذكر خضاب الله فى البيت الرابع ، وهو من قول أبى تمام :

" ورأت خضاب الله وهو خضابى ".

وقال من قصيدة :

صادق البشر يرى ماء الندى * يرتقى فى وجهه أو ينحدر
قلت اذ برز سبقا فى العلا * أالى المجد طريق مختصر

وهو من قول البحتري :

ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق الى العلياء مختصر(1)

ويورد غررا من وصف السرى لشعره (2) ، كما يورد غررا من اهاجيه للشعراء (3) ، ومن غزله ونسيبه ، وما يتغنى به من شعر السرى ، ولا يرى الثعالبى أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قول السري (4) من البسيط :

قسمت قلبى بين الهم والكمد * ومقلتى بين فيض الدمع والسهد
وحت فى الحسن اشكالا مقسمة * بين الهلال وبين الغصن والعقد

ويورد قول السرى من قصيدة قالها فى الوزير المهلبى (5) ، ويضعها تحت عنوان (حسن الخروج والتخلص) من الكامل :

عصر مزجت شمائلى بشموله * وظلاله ممزوجة بشماله
حتى حسبت الورد من أشجاره * يجنى أو الريحان من آصاله
وكأننى لما ارتديت ظلاله * جار الوزير المرتدى بظلاله

ويذكر له من المدح والعتاب ووصف الربيع وآثاره وأنواره وازهاره ، وذكر الشراب وما يتصل به ، وفى الاستزارة ووصف آلاتها وأوصاف شتى . (6)

---

(1) يتيمة الدهر ج٢ ص ١٢٠ـ ١٢٩
(2) يتيمة الدهر ٢ : ١٣٩
(3) المصدر نفسه ٢ : ١٤٨
(4) المصدر نفسه ٢ : ١٥٨
(5) المصدر نفسه ٢ : ١٦٢
(6) المصدر نفسه ٢ : ١٦٢ـ ١٨٢

— ٥ —

وكان اكثر افاضة فى نقده للمتنبى ، وهو موضوع شغل الكثير من النقاد والادباء ، ومن أجله عد الثعالبى ناقدا .

يقول فى المتنبى : " نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به ، اذ هو الذى جذب بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، والقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ماشاء :

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا

فليست اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الانس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد الفت الكتب فى تفسيره ، وحل مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ، ورديئه ، وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح عن ابكار كلامه وعونه ، وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه ، والنضح عنه ، والتعصب له وعليه ، وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافى ورق المعانى ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته (وما زالت الأملاك تهجى وتمدح) . " (1)

وقد اهتدى الثعالبى بذوقه النقدى الى حل الصاحب بن عباد وغيره نظم المتنبى ، واستعانتهم بألفاظه ومعانيه بالترسل ، كقول الصاحب فى وصف قلعة افتتحها عضد الدولة : " فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون مابين البحور والأنهار ، وظنوا الاقدار تأتيهم على مقدار ، فمالبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ، ومشاهم القديم ، تهزه الحوادث وفرصة البوائق ، ومجر العوالى ، ومجرى السوابق " .

وانما ألم بألفاظ بيتين لأبى الطيب أحدهما من الكامل :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها * فشكا اليه السهل والجبل

---

(1) يتيمة الدهر ١ : ١١٠ ، ١١١

والآخر من الطويل :

تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجرعوا لينا ومجرى السوابق(١)

ويورد الثعالبى أمثلة كثيرة من حل الصاحب نظم المتنبى (٢) .

ثم يورد انموذجا من سرقات الشعراء منه ، وهم : أبو الفرج الببغاء والمهلبى الوزير والصاحب والسرى وابو بكر الخوارزمى وأبو الفتح البستى وأبو الحسن السلامى وابو القاسم الزعفرانى .

ويذكر بيتا لأبى الطيب من الوافر :

لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا

ويقول : أغار عليه الصاحب لفظا ومعنى ، فقال من الطويل :

لبسن برود الوشى لا لتجمل * ولكن لصون الحسن بين برود

وانما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف من الكامل :

والنجم فى كبد السماء كأنه * أعمى تحير ماله قائد

فقال من المنسرح :

ما بال هذى النجوم حائرة * كأنها العمى مالها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة ، وهى مذمومة جدا عند النقدة . "(٣)

— ٤ —

ثم يذكر سرقات المتنبى من الشعراء وهم : مخلد الموصلى وعمرو بن كلثوم وبشار ومسلم والفرزدق وامرؤ القيس وأبو نواس وابن أبى عيينة وأبو تمام وابن الرومى وعبيد الله ابن طاهر وابن المعتز .

ولا يكتفى الثعالبى بذكر سرقات المتنبى من الشعراء بل يدون ملاحظاته النقدية القيمة مثل : " أخذه أبو الطيب فجوده . "(٥) و " أخذه فلم يحسن فى تكرير لفظ النهب وذكر القماش اذ هو من الفاظ العامة . "(٦) و " أخذه فأكمل الوصف واظهر الغرض . "(٧)

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٢٣
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢٣ ــ ١٢٨
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٢٨ ــ ١٣٢
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٣٢ ــ ١٣٨
(٥) المصدر نفسه ١ : ١٣٢
(٦) المصدر نفسه ١ : ١٣٣
(٧) المصدر نفسه ١ : ١٣٥

ثم عرض بعض ما تكرر فى شعر المتنبى من معانيه (١) وأتى بذكر معائب شعره ومقابحه ، وعد من المقابح قبح المطالع ، يقول : " وحقه الحسن والعذوبة لفظا والبراعة والجودة معنى ، لأنه أول مايقرع الأذن ويصافح الذهن ، فاذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ماتقول العامة : (أول الدن دردى) .

ولأبى الطيب ابتداءات ليست لعمرى من احرار الكلام وغرره ، بل هى - كما نعاها عليه العائبون - مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه (٢) " .

وهنا فى هذا الفصل لا يفوت الثعالبى أن يتبع كل بيت بحكم نقدى يختلف عن حكمه فى البيت الآخر ، فيطلعنا على قدرته النقدية ، حين يورد بيتا لأبى الطيب ، وهو مطلع قصيدة له ، يقول (٢) من الكامل :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا * ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

" فانه لم يرض بحذف علامة النداء من (هذى) ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفى الثقل والبرد .

وكقوله من المنسرح :

" أوه بديل من قولتى واها "

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام فى مخاطبة ملك .

وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفى شرفه وغرابته بالتعب فى استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بازاء التأذى باستماعه : من الطويل :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

وكقوله فى استفتاح قصيدة فى مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقيه : من الطويل :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وفى الابتداء بذكر من الداء والموت والمنايا مافيه من الطيرة التى تنفر منها السوقة فضلا عن الملوك ." (٤)

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٨٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ١٤٥ (٣) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ ، ١٤٦

(٤) يتيمة الدهر ١ : ١٤٦

وعد الثعالبي ايضا من القبائح (اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما اكثر مايحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينا هو يصوغ افخر حلى ، وينظم أحسن عقد ، وينسج انفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، اذا به قد رمى بالبيت والبيتين بابعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، الى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج الى الافراد والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، واعقب حلاوتها مرارة لامساغ لها . " (١) ، ثم يسوق لنا الأمثلة على ذلك .

ومن المعايب التي عدها الثعالبي : استكراه اللفظ وتعقيد المعنى : " وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة ، فيضل ويضل ، ويتعب ويتعب ولا ينجح " (٢) .

ويعلق الثعالبي على ابيات شعر المتنبي حين قال : من الطويل :

لساني وعيني والفؤاد وهمتي * أود اللواتي ذا اسمها منك والسطر

وقوله من الطويل :

فتى الف جزء رأيه في زمانه * أقل جزاء بعضه الرأي أجمع

وقوله من الكامل :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو * عقمت بمولد نسلها حواء

يقول الثعالبي : " وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فاذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر ، وكد الخاطر ، والحمل على القريحة ، ثم ان ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل . " (٣)

ومن معايب المتنبي أيضا عسف اللغة والاعراب ، يقول الثعالبي (٤) : " وهو مما سبق الى القلوب انكاره ، وأن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله : من الطويل :

فدى من على الغبراء أولهم أنا * لهذا الأبي الماجد الجائد القرم

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٤٧ و ١٤٨
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٥٣
(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٥٤
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

ولم يحك عن العرب (الجائد) ، وانما المحكى : رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وقوله من الطويل :

فأرحام شعر تتصلن لدنــــه * وأرحام مال لاتنى تتقطــــع

وتشديد النون من (لدن) غير معروف فى لغة العرب .

وقوله من الوافر :

شديد البعد من شرب الشمول * ترنج الهند أو طلع النخيــل

والمعروف عند العرب (الا ترج) ، والترنج مما يخلط فيه العامة .

وقوله من الكامل :

بيضاء يمنعها تكلم دلهـــا * تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب (تميس) مع حذف (أن) . وهو ضعيف عند اكثر النحويين .

وقوله من الكامل :

وتكرمت ركباتها عن مـــبرك * تقعان فيه ليس مسكا أذفــرا

فجمع الركبات ، ثم انتقل الى التثنية ، فقال : (تقعان) وهو ضعيف وغير سديــد فى صناعة الأعراب وقوله (من الخفيف) :

ليس الاك ياعلى همـــام * سيفه دون عرضه مســلول

فوصل الضمير بالا ، وحقه ان ينفصل عنه كما قال الله تعالى (١) : " ضل من تدعــون الا اياه " .

وقوله (من البسيط) :

" لأنت أسود فى عينى من الظلـم "

والف التعجب لا تدخل على أفعل ، وانما يقال أشد سوادا وحمرة وخضرة .

وقوله (من الكامل) :

" حلا لكما بى فليك التبريــح "

وحذف النون من (يكن) اذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين ، لأنهـــا تتحرك الى الكسر ، وانما تحذف استخفافا اذا سكنت .

وقوله (من الطويل) :

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء

" امط عنك تشبيهى بما وكأنه "

والتشبيه (بما) محال .

وعد أبو منصور من معايب شعر المتنبى : (الخروج عن الوزن)(١) ، كقوله : (من الطويل)

تفكره علم ومنطقة حكم * وباطنه دين وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجئ عن العرب (مفاعيلن) فى عروض الطويل غير مصرع ، وانما جاء (مفاعلن)

ومن المعايب : استعمال الغريب الوحشى (٢) : " واذا كان المتنبى من المحدثين بل من العصريين ، وجرى على رسومهم فى اختيار الألفاظ المعتادة ، المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوى ، بل ربما زاد فى ذلك على اقحاح المتقدمين ـ حصل كلامه بين طرفى نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

وينقد استعماله لكلمة (الا تشاك) ، بمعنى الكذب و (الساحى) بمعنى القاشر و (الحفش) : مصدر حفش السيل حفشا ، اذ جمع الماء من كل جانب الى مستنقع ، وكلمة (تطسن) أى تدق و (اليرمع ، : الحجارة الرخوة ، و (اليلل) : اقبال الاسنان وانعطافها على باطن الفم ، و (الكنهور) : القطع من السحاب العظيمة ، و (النال) : المعطى .

واستعماله للجموع الغريبة منها : (جمع أرض : أروض ، وجمع اللغة (اللغى) وجمع الدنيا (الدنى) وجمع الاخ (آخاء) .

ويورد صاحبنا ابياتا للمتنبى فيها ركاكة وسفسفة ، وفيها من الفاظ العامة والسوقة ومعانيهم (٣) .

وينقد الثعالبى ابعاد الاستعارة والخروج عن الحد فى ابيات المتنبى ، يقول : " جعل المتنبى للحليب والبيض واليلب قلوبا ، وللسحاب حرى ، وللزمان فؤادا ، وللكبد شيبا ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وانما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقارنة " (٤) ويشير الى استكثاره من قول (ذا) ، ويقول : " فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف (٥) " ويذكر من معايبه (الافراط

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٥٧ (٢) المصدر نفسه ١ : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٦٠ (٤) المصدر نفسه ١ : ١٦٢ (٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٣

في المبالغة والخروج فيه الى الاحالة) . " فهو مما يستهجن في صنعة الشعر " (١)

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين ، ويورد امثلة كثيرة من شعر المتنبي (٢) ؛ ومنها اساءة الأدب بالأدب (٣) . ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين (٤) .

فيقول : " على أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذي لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر مايتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته . "

ويقول تعليقا على ابيات المتنبي : " وكأن المعاني اعيته حتى التجأ الى استصغار امور الانبياء ، وقد جاوز حد الاساءة . " (٥)

ونرى الثعالبي حتى في احكامه النقدية يلجأ الى السجع ، فيقول في نقده لأبيات من شعر المتنبي :

أي محل ارتقى * أي عظيم اتقى

وكل ماقد خلق الله وما لم يخلق

محتقر في همتي * كشعرة في مفرقي

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة . " (٦)

ومن المعايب (الغلط بوضع الكلام في غير موضعه (٧)) ، كقوله (من الوافر) :

أغار من الزجاجة وهي تجري * على شفة الأمير أبي الحسين

" وهذه الغيرة انما تكون بين المحب ومحبوبته ، وأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاههم . "

وكقوله (من المتقارب) :

وغر الدمستق قول الوشاة * ان عليا ثقيل وصب

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٦٤
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٦٥ ، ١٦٦
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٦٧
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦٨
(٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٩
(٦) المصدر نفسه ١ : ١٦٩ ، ١٧٠
(٧) يتيمة الدهر ١ : ١٧٠ ، ١٧١

فجعل الأمراء يوشى بهم . وانما الوشاية والسعاية ونحوها من الرعية ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجرى العدو مجرى بعض اصحابه . وليس في اللغة أن يقال : (وشى فلان بالسلطان الى بعض رعيته) .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة (من الوافر) :

اذا مافارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وقوله في وصف مهره (من الرجز) :

" وزاد في الاذن على الخرانق "

واذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، واذن الأرنب على الضد من هذا الوصف .

ومن المعايب امتثال الفاظ المتصوفة ، والخروج عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة ، واستكراه التخلص ، وقبح المقاطع .

بعد أن يفرغ الثعالبي من ذكر المعائب والقبائح ، يتناول في نقده المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التى زاد فيها المتنبي على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

يقول : "فمنها حسن المطالع ، وحسن الخروج والتخلص ، ويورد دررا من شعر المتنبي (١) ، ومنها النسيب بالأعرابيات ، كقوله : من البسيط :

من الجآذر في زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ان كنت تسأل شكا في معارفها * فمن بلاك بتسهيد وتعذيب

سوائر ربما سارت هوادجها * منيعة بين مطعون ومضروب

أى لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاماة دونهن .

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

ويورد قصيدة من شعر المتنبي ويعلق قائلا : " وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦

وله طريقة ظريفة فى وصف البدويات قد تفرد بحسنها ، وأجاد ماشاء فيها . "(١)

ومنها حسن التصرف فى سائر الغزل ، وحسن التشبيه بغير أداة تشبيه ، والابداع فى سائر التشبيهات والتمثيلات ، والتمثيل بما هو من جنس صناعته ، والمدح الموجه ، وحسن التصرف فى مدح سيف الدولة بجنس السيفية ، والابداع فى سائر مدائحه ، ومخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الاحسان والابداع ، يقول الثعالبى : " وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه اقتدارا منه ، وتبحرا فى الألفاظ والمعانى ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجا لها الى مماثلة الملوك . "(٢) ومنها استعمال الفاظ الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب والجد ، يقول : " وهو أيضا مما لم يسبق اليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام . "(٣)

ومنها حسن التقسيم ، وحسن سياقة الاعداد ، كقول المتنبى :

وربّ جواب عن كتاب بعثتـــه * وعنوانه للناظرين قتــــام

حروف هجاء الناس فيه ثلاثـة * جواد ورمح ذابل وحســام

لما سمى الجيش جوابا جعل حروفه جوادا ورمحا وحساما ، اقتدارا واتساعا فى الصفة .(٤)

ومنها ارسال المثل فى انصاف الابيات ، وارسال المثالين فى مصراعى البيت الواحد ، وارسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس ، وما يجرى مجراها ، وافتضاض ابكار المعانى فى المراثى والتعازى ، كقوله : من الطويل :

سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهـــوب

تملكها الآتى تملك سالــب * وفارقها الماضى فراق سليـب

يعلق الثعالبى على البيتين ، فيأتى بالحكم والموعظة للتوضيح : " هذا كقول بعضهم فى الموعظة : وان مافى ايديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون . "(٥) ومنها الايجاع فى الهجاء ، وابراز المعانى اللطيفة فى معارض

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٧٧
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٩١
(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٣
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٩٧
(٥) المصدر نفسه ١ : ٢١٣

الألفاظ الرشيقة الشريفة ، والرمز بالطرف والملح ، ويورد قول المتنبي في وصف الفرس : من الطويل :

ويوم كليل العاشقين كمنته * أراقب فيه الشمس أيان تغرب
وعيني الى اذني أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب

أي كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه الى اذنه لأنه كامن لا يرى شيئا ، فهو ينظر الى اذني فرسه ، فان رآه قد توجس بهما ، تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن اذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه . "(١) . وهنا نرى الثعالبي يضمن أمثال العرب في نقده ويتأثر بها .

وكقول المتنبي (من الطويل) :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل مافيها ، وحاشاك ، فانيا

سبحان الله : ماأحسن الحشو بقوله " وحاشاك " .(٢)

نراه هنا يطرب وتأخذه النشوة ، فيصيح سبحان الله ، وكل ذلك من أجل استحسانه للحشو في هذا البيت .

ومنها حسن المقطع ، كقوله من البسيط :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها * وشرف الناس اذ سواك انسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله (سواك انسانا) لأنه لا يليق بشرف الفاظه ، ولو قال (أنشاك) أو نحو ذلك لكان اليق بالحال .

وهنا يتصدى الثعالبي لابن جني ، فيقول : ولو قال غير ماقاله ، لم يكن فصيحا شريفا ، لأن في القرآن (ثم سواك رجلا (٣)) ، ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره . "(٤)

ومن هنا يبدو تأثره بالقرآن الكريم ، وثقافته المستمدة من دررة ، وكذلك فانه أيضا قد تأثر بالحديث النبوي الشريف عندما أورد بيتا للمتنبي (من الوافر) :

قد استشفيت من داء بداء * وأقتل ماأعلك ماشفاكا

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٢١٨ (٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٠
(٣) من الآية ٣٧ من سورة الكهف (٤) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٢

أى قد أضمرت ياقلب شوقا الى أهلك ، وكان ذلك داء لك ،فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضا اعظم من داء شوقك الى اهلك ، وهذا شبه قول النبى صلى الله عليه وسلم : " كفى بالسلامة داء "[١] .

هذه بعض النماذج لنقد الثعالبى ، وهى نماذج تدلنا على ذوقه الفنى المرهف ، وحسه النقدى الدقيق ، وحسن بصره بصناعة الكلام ، ومعرفته بدقائقه وفنونه ، كما تدلنا على سعة ثقافته اللغوية والأدبية .

ولئن كان النقاد من قبله قد سبقوه الى كثير من آرائه فان ذلك لا يقدح فى ذوقه النقدى ، ولا ينال من مكانته ، فقد كانت له آراؤه الشخصية المبتكرة كموقفه من ابن جنى الذى ذكرناه آنفا ، وكالتزامه بآداب الدين والعقيدة كما رأينا .

ومن أجل ذلك ، ومن أجل افاضته فى نقد المتنبى عد من النقاد .

* * *

(١) المصدر نفسه ١ : ٢٢٣

:: الفصل الرابـــع ::

(الثعالبي في ميزان النقـــــد)

على ضوء ماعرفنا من شعر الثعالبي ونثره ونقده وثقافته ، وعلى ضوء آراء العلماء والنقاد فيه تتضح معالم شخصيته ،وتتجلى مكانته في عالم الأدب بصورة واضحة جلية .

فهذا تلميذه الباخرزي يقول فيه : " جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهـور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الاعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكـــل لسان ، أو يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان . " (١) وقال ايضا فيه : " أسد الصناعة في غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوال جوالب ،وأسلاته في النطق والكتلية قواض قواضب . " (٢)

وقال ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري : " وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب . " (٣)

وقال الصفدي : " كان يلقب بجاحظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة الـــــى الغاية . " (٤)

ويقول أبو البركات الانباري : " وأما أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي فانه كان أديبا فاضلا فصيحا بليغا . " (٥)

ويذكر ابن خلكان عن ابن بسام ماقاله في حق الثعالبي : " كان في دقته راعي تلعات العلم ، وجامع اشتات النظم والنثر ، رأس المؤلفين في زمانه ، وامـــام المصنفين بحكم اقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت اليه آباط الابل ،وطلعـــت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب ، وتآليفه أشهر مواضـــع ، وأبهر مطالع ، واكثر راو لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف . " (٦)

ويقول عنه أبو الفدا : " صاحب التآليف المشهورة ، وكان امام وقته . " (٧)

---

(١) دمية القصر ١٨٣
(٢) دمية القصر حـ١ : ١١
(٣) زهر الآداب حـ١ : ١٦٩
(٤) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ٩٩ وجه
(٥) نزهة الألبا ص٣٦٥
(٦) وفيات الاعيان حـ ١ ص ٥٢١ .
(٧) المختصر في أخبار البشر ٢ : ١٦٢

ويقول ابن شاكر الكتبي : " الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية ... وكان يلقب بجاحظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة ، وانه كان مؤدب صبيان في مكتب . "(١)

وينقل ابن قاضي شهبة عن ابن شاكر الكتبي كل ماقاله في الثعالبي .(٢)

أما عبد الحي بن العماد الحنبلي فينتقل ماقاله ابن بسام وابن خلكان في أبي منصور الثعالبي (٣) . " ويقول فيه الحافظ بن كثير: " كان اماما في اللغة والاخبار وأيام الناس ، بارعا مفيدا ، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ... وله اشعار مليحة "(٤) ويذكر الحافظ الذهبي انه " الاديب الشاعر ، صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا (٥)

ويذكر الشيخ كمال الدين الدميري عنه فيقول: " ويقال للامام العلامة أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري رأس المؤلفين ، وامام المصنفين ، صاحب التصانيف الفائقة ، والآداب الرائقة كثمار القلوب وفقه اللغة ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وغير ذلك من التصانيف . "(٦)

وصدر الدين بن معصوم المدني يقول فيه : " شاعر مطبوع كان في عصره رأس الأدباء وامام المصنفين . "(٧)

ويقول محمد كرد علي : " كان شاعرا عظيما وكاتبا مجيدا ، يعرف مايختار ويدع ، وفي كل ماكتب أجاد وأبدع ، ونم عن ذوق ظريف في الشعر والنثر . "(٨)

ولجرجي زيدان رأى في أبي منصور ، فهو يعتبره : " خاتمة مترسلي هذا العصر — العصر العباسي الثالث — وأهم ادبائه ، ونعم الخاتمة ، لأنه اكثرهم آثارا ، وأوسعهم مادة . "(٩) .

وعند الاستاذ احمد أمين يقول : " كان أديبا بليغا على اسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه ، وكان واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم ، وألف في ذلك كله . "(١٠)

---

(١) عيون التواريخ ص ٤٥٧
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧ (٣) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٦
(٤) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ (٥) العبر في خبر من غبر ٣ : ١٧٢
(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨ (٧) أنوار الربيع ١ : ١٧٢
(٨) كنوز الاجداد ٢٣٣ (٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٠) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٢

وأما الدكتور طه حسين فيقول فى مقارنة بين الثعالبى وابن بسام " ولكنه — يعنى ابن بسام — يخالف الثعالبى فى أمر ذى خطر ، فهو أبعد منه نظرا ،وانفذ منه بصيرة ، وأعمق منه تفكيرا ، وهو على تكلفة فى اللفظ ،لا يخدع بالرواء الظاهر عماوراءه من جودة المعنى أو رداءته ، ومن صواب التفكير أو خطئه ، ولعله أن يكون أفقه من الثعالبى بالحياة الأدبية فى اقليم من الأقاليم ،فهو أدق منه ملاحظة ،لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الاقليم وما ينتج فيه من أدب ، بل بين طبيعة الأجناس البشرية وما تنتج من أدب ، بل بين مايكون من مجاورة الامم المختلفة وما ينتج من الأدب .

وهو قد سار سيرة الثعالبى فى العناية بالملوك والامراء والرؤساء ،وما يكون من تأثيرهم فى الأدب ، ومايكون من انتاجهم الأدبى الخاص، ولكن عنايته بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت اشد واقوم وأجدى من عناية الثعالبى ، فهولا يكتفى بهذا الاطراء الذى لا غناء فيه ، والذى تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفى بروايه مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبى ، ولكنه يعرض تاريخهم عرضا دقيقا مفصلا ، يرد آثارهم الأدبية الى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التى أنشئت فى بيئتهم الى مصاردها (١) "

ولعل السبب فى تفضيله ابن بسام على الثعالبى يرجع الى ماورد فى مقدمة ابن بسام بأنه ثائر على الأدب الجاهلى ،وهذا صادف هوى فى نفس الدكتور طه حسين ، اذ يقول ابن بسام : " كل مرددثقيل ، وكل متكرر مملول ، وقد مجت الاسماع (ياد ارمية بالعلياء فالسند) ، وملت الطباع (لخولة اطلال ببرقة تهمد) ،ومجت (قفانبك) فى يد المتعلمين ، ورجعت على ابن حجر بلائمة المتكلفين ، فأما (أمن أم أوفى) فعلى آثار من ذهب العفا ." (٢)

ولأن الثعالبى كان على فضله وعلمه وسعة اطلاعه اكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام . وأما الدكتور زكى مبارك فقد وضع الثعالبى بين كتاب الآراء والمذاهب نظرا لأن له اتجاهات نفسية تقربه من كتاب هذا الباب ولكنه يرى أن مكان الثعالبى

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة / المجلد الأول / تقديم طه حسين صفحة ب ،ج
(٢) المصدر نفسه / مقدمة المؤلف(ابن بسام الشنتريني) المجلد الأول ص٢ ، ٣

بين كتاب النقد الأدبي اليق من مكانه هناك .»(١)

وينقل ماقاله صاحب الذخيرة (ابن بسام) وما قاله ابن خلكان ، ويعلق قائلا :

"وعبارة ابن بسام هذه قد تبدو كأنها نوع من المدح الفضفاض الذى يقال بلا حساب، ولكن الواقع أن الثعالبى فوق كل مدح ، وفضله على اللغة العربية اكبر من أن يقدر(٢) "

غير ان الدكتور مندور الذى ينقصه حقه ويحرمه مزية وفضل شهادة كبار الادباء لـه بطول الباع فى الأدب ، يقول فيه : " وفى الحق أن الثعالبى ، حتى فى كتبه فـراء يخيط آراء غيره بعضها الى بعض ، فهو جامع اكثر منه ناقدا أو مؤلفا ." (٣)

فلو كلف الدكتور مندور نفسه بعض العناء فى البحث فى كتب الثعالبى لوجـده مؤلفا وناقدا وأديبا ، ولكنه اكتفى بدراسة (اليتيمة) ، أو بدراسة الباب الخـاص بالمتنبى فيها ، وهذا لا يكفى لأن يصدر حكما قاسيا ظالما على الثعالبى .

ويقول أيضا : " وانما نقف عند اليتيمة لأن صاحبها قد جمع فى فصل طويل طائفة من أخبار المتنبى ، وماأخذ على شعره من مآخذ أو رؤى فيه من محاسن ." (٤)

وعندما يقول الدكتور مندور : " ان الثعالبى رجل ضعيف الشخصية حتى لنكـاد نجزم بأنه لا رأى له فى شيء ، وانما هى انتقادات الصاحب والحاتمى وآراء عبـد العزيز الجرجانى وغيرهم ، تخير من بينها ونظمها ." (٥)

حقا أخذ الثعالبى بعضا من آراء الصاحب والقاضى الجرجانى ، ولكننا لا نجحد تعليقاته الخاصة وآراءه الشخصية التى أشرنا الى بعضها فى الفصل السابق ، ثـم ان الثعالبى رجل أمين فى نقله ، فهو يذكر اسم الناقد صراحة عندما يقبل رأيه النقدى ، أما حين لا يذكر اسم صاحب الحكم النقدى ، فان هذا الحكم يكون له هو .

على أن الدكتور مندور يعلق على بعض ماتكرر من شعر المتنبى من معانيه الـذى أورده الثعالبى فى هذا الباب قائلا : " وهذا باب لم نجد له شيئا عند النقاد ، وهـو عظيم الأهمية ." (٦)

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع حـ٢ ص ١٨٠ (٢) المصدر نفسه حـ٢ ص ١٧٩

(٣) النقد المنهجى عند العرب حـ١ ص ٣٠٢ (٤) المصدر نفسه ص ٣٠٢

(٥) المصدر نفسه ص ٣٠٢ (٦) النقد المنهجى عند العرب ص ٣٠٤

وهذه شهادة للثعالبي بأن هذا الباب الذى طرقه ، لم يجد مندور له مثيلا عند النقاد ، وهو عظيم الأهمية .

غير أنه يعود لينقد الثعالبي في هذا القسم ، فيقول : " ان تكرار الشاعر لبعض المعاني قد يدل على امتلائه بها ، وانشغاله بأمرها ، حتى لتستطيع أن ترى فيها افكاره الأساسية ، واذن فلهذا التكرار دلالته ، ومع ذلك نرى الثعالبى لا يفطن الى شىء من تلك الدلالة ، أو على الأقل ، لا يشير الى شىء منها ، وانما يورد الابيات المتحدة المعنى أو المتقاربة في صمت بحيث لا ندرى ماذا يقصد بذلك ، بل لا نحس بحكمه على هذا التكرار ، أهو عيب في الشاعر أم حسنة له ، وفى هذا تعزيز لما قلنا عن هذا المؤلف من ضعف الشخصية وفقر التفكير . قد يكون للتكرار دلالة نفسية ، أو دلالة فنية ، أو دلالة تاريخية ، هذا بعض مايمكن استنباطه من تكرار المتنبى لبعض معانيه ، أما الثعالبى فقد جمع تلك المعاني دون أن يدرسها أو أن يوضح لجمعها حكمه ." (١)

لقد نسى الدكتور أن الثعالبى كان فى القرن الرابع للهجرة ، والبون شاسع بين عصره وعصر الثعالبى ، ويكفى الثعالبى فخرا أنه انتبه الى الدلالات النفسية والفنية دون أن يذكر المصطلح الذى لم يكن معروفا فى أيامه .

وعندما ذكر الثعالبى المحاسن والروائع والبدائع والقلائد وفصلها تفصيلا جيدا ، علق الدكتور مندور قائلا : " ولعل هذا القسم هو خير مافى الباب كله ، أو لعل فضل المؤلف فيه أوضح ، لأن كثيرا مما ذكره لم تلقه عند النقاد السابقين ، وان كان هذا لا يكفى لكى ننسبه الى الثعالبى ، لأنه ربما يكون قد أخذه عن نقاد ضاعت كتبهم ".(٢)

وهنا يجنح الدكتور مرة أخرى الى ظلم صاحبنا بعد أن يعترف له بالفضل ، فيشكك فى نسبة هذا القسم اليه ، دون اعتماد على مصدر يقينى ثابت ، غير مجرد الحدس والتخمين .

وأخيرا بعد اطلاع الدكتور مندور على الصفحتين اللتين كتبهما الثعالبى ، وذكر فيهما آخر شعر المتنبى وأمره ، وحدثنا عن المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر وقتله بقوله : " هذا وقد جمح بى القلم فى اشباع هذا الباب وتذييله وتصييره كتابا برأسه فى أخبار أبى الطيب ، والاختيار من شعره ، والتنبيه على محاسنه ومساويه ." (٣)

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٠٤ (٢) النقد المنهجى عند العرب ص ٣٠٤

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٤

يقول مندور: " وهذا كما نرى منهج واضح فى التأليف ، يبدأ ببعض أخبار الشاعر ، ثم يورد سرقات الغير منه ، وسرقاته من غيره ، ثم ماتكرر فى شعره من محسان ، وينتقل الى ما عيب على شعره ، وماروى فيه من محاسن ، ويختتمه بآخر أخبار الشاعر وقتله ." (١)

ونرى الدكتور فى هذا يناقض نفسه ، حين يطلع على ماقاله الثعالبى فى ذكر ابتداء أمر المتنبى ، ومولده ، ونبذ عن أخباره ، وتجوله ، واتصاله بسيف الدولة ، يقول: " وهذا القسم لا منهج فيه ولا دقة ، وانما قوامه عدة حكايات جزئية وقعت للشاعر عند أمير حلب اوفى العراق وفارس ." (٢)

ثم يقف مندورها عند ملاحظة واحدة لأهميتها وجدتها وهى قوله: " ان المتنبى يخاطب الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب ، ثم استعمال الفاظ الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب والجد ." والدكتور لا يشك فى أن للثعالبى فضل ملاحظة هذه الظاهرة ، ثم فضل تحليلها .

ويختتم الدكتور مندور باكتفائه ببعض النتائج التى استطاع استخلاصها من ملاحظات الثعالبى القيمة التى فيها مفتاح فهمه لنفسية هذا الشاعر العظيم الذى ملأ الأرض وشغل الرجال ." (٣) .

وأما الدكتور محمد زغلول سلام فيقول: " ولا نستطيع أن نقول انه أتى بجديد فى المآخذ التى اخذت على المتنبى ، حتى اتهامه بضعف العقيدة ، ومحاولته الفصل بين الدين والشعر ، أو الحقيقة الدينية والحقيقة الشعرية ، لم تكن من بدعه ، بل نادى بها من قبله القاضى الجرجانى ، ولكنه زاد هنا ملاحظة دقيقة وهى قوله: " ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذى لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ، وكأنه مع تسليمه برأى الجرجانى لا يرى مع ذلك أن ينفصل الشاعر عن مجتمعه والقيم التى يسلم بها ويجلها ." (٤)

فلو قارنا بين حكم الثعالبى وحكم القاضى لوجدنا فى حكم الثعالبى اضافة جديدة من عنده نابعة من حبه الجارف لعقيدته ، ودفاعه عنها ، وتحمسه الذى غطى على حكم القاضى . لأن القاضى قال: " فلو كانت الديانة عيارا على الشعر ، وكان سوء

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ٣٠٤ (٢) النقد المنهجى عند العرب ص ٣٠٣
(٣) المصدر نفسه ص ٣١٢
(٤) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ص ٥١

الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب ان يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى واضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاب من اصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر ." (١)

ومن هنا نرى أن الثعالبى جدد فى النقد وجدد كذلك فى المنهج الذى بنى عليه ترجمته للمتنبى حيث يقول الدكتور سلام : " والجديد فى ترجمته أنه أقامها على أساس منهجى متكامل ، فعرض للصلة بين حياته وشعره ، وما كان بها من أحداث أثرت فيه آثارا عميقة ، كرغبته الملحة فى ولاية ، وسعيه الى ذلك بكل وسيلة ، وبالقوة احيانا حتى حبس ، ثم فى صلته بسيف الدولة ، ورضاه بجنابه ، وباقامته الى جواره مما أسعده ، وما جر ذلك على الشاعر والأمير معا من خير ، والاشارة الى الفرق بين ماقال من شعر المديح قبل سيف الدولة وفيه ، وخرج من علاقات شعره بحياته ونفسه ومزاجه ، وطابعه الذى يبدو فى اباءه وكبره واعراضه عن صغار الناس وصغائر الامور ، وثورته على الدهر وأهله ، خرج من هذا كله الى الحديث عن شعره وخصائصه الفنية ، وحاول ان يقف موقف الانصاف الذى وقفه من قبل القاضى الجرجانى ، ولكنه سلم بأشياء ماكان ينبغى له التسليم بها لو حكم فيها نظرة محايدة ، ولم يتأثر بالحاتمى أو الصاحب اللذين سبقاه الى مثل تلك الآراء التى صدرت عن حيف وتحامل " (٢)

ويبدو أن (سلام) اطلع على كتاب (اليتيمة) كله ، فجاء حكمه على صاحبنا أقرب الى الصواب من حكم (مندور) ، وان تابعه فى بعض آرائه .

وهكذا يأخذ (سلام) مثالا آخر غير المتنبى ، هو قوله فى السرى الرفاء الشاعر الموصلى ويورد ماقاله الثعالبى : " ولما وجدت السرى أخذ جديد القميص فى حسن السرقة ... الخ "

وقد سبق أن ذكرت هذا النص فى آراء الثعالبى النقدية ، يعلق الدكتور سلام قائلا " يهتم الثعالبى بتوثيق الشعر وتحقيقه ، وهو موضوع متصل باصالة الشعر وصحة

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٦٤
(٢) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجرى ١ ص ٢٥

نسبته لقائله من ناحية ، ومتصل كذلك بقضية السرقة والانتحال من ناحية أخرى ، فقد اتهم السرى بالسرقة من الخالديين ، كما يتهم هو الخالديين بالسرقة من كشاجم "(١)

ويقول الثعالبى : ان السرى الرفاء اتهم بالتزيد على كشاجم من شعر الخالديون ليتهمهما بالسرقة منه : " وكان يدس فيما يكتبه من شعره — يعنى كشاجم — أحسن شعر الخالديين ، ليزيد فى حجم ماينسخه ، وينفق سوقه ، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الاصول المشهورة منهما ، وقد وجدتها للخالديين بخط أحدهما "(٢)

ويقول الدكتور (سلام) : " ان الثعالبى يهتم باظهار بعض الخصائص والمعالم الفنية فى شعر من يترجم لهم ، رابطا بين تلك المعالم ومذاهب كبار الشعراء المشهورين ممن ابتدعوها أو عرفوا بها من قبل ، مثل مذهب أبى تمام ومذهب ابن الرومى "(٣)

وحين نردد نظرنا فى كتاب " تاريخ النقد الأدبى عند العرب " نجد تحامل الدكتور احسان عباسى على الثعالبى واضحا صريحا حيث يقول : " لا يعد الثعالبى فى النقاد ، لأن كتبه التى تتصل بالشعر لا تصور الا ذوقا فرديا خالصا ، من العسير تبين أساس نقدى له ، سوى اعجابه باللون الحضرى فى اشعار معاصريه — على تباين تلك الاشعار فى موضوعاتها وصياغتها — وعلى الرغم من أنه ذكر شعراء عصره فى (اليتيمة) — وهى أوضح كتبه من حيث الاسس النقدية — على حسب الأقاليم ، فمن الكثير عليه أن يقال : انه فعل ذلك ادراكا منه لاختلاف الشعراء باختلاف بيئاتهم ،

صحيح انه ميز شعراء الشام بأنهم أشعر من شعراء العراق وما يجاورها فى الجاهلية والاسلام ، وعلل ذلك بقربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجمة ، وسلامة السنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، وجمعهم بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ووجود امراء شغوفين بالأدب ، يحبون الشعر وينتقدونه ولكن هذا — حتى لو أقررنا بصحته — لم يكن هو الاساس الذى جعله يفرد بابا لشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان ، وآخر لأهل خراسان وما وراء النهر ، وانما وجد أن التأليف بحسب القسمة الاقليمية

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٢ (٢) يتيمة الدهر ٢ : ١١٨ .

(٣) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجرى ص ٥٢

أسهل في حصر أسماء المعاصرين ، فاعتمده ، ولو كان اختلاف البيئة مقياسه في النظرة النقدية لما خلط بين شعراء مصر والمغرب والاندلس ، وترجم لهم في نطاق واحد ." (١)

من هذا نرى ان الدكتور احسان عباس يأخذ على الثعالبي أمرين أولهما انه استعمل ذوقه الفردي الخاص المقصور على الاعجاب باللون الحضري في اشعار معاصريه ، وثانيهما أن تقسيمه شعراء اليتيمة على حسب الأقاليم لم يكن ادراكا منه لاختلاف الشعراء باختلاف بيئاتهم ، وانما وجد أن القسمة الاقليمية أسهل في حصر أسماء المعاصرين .

أما الأمر الأول فلو سلمنا به فحسبه أن يثبت له ذوقا فنيا خاصا في مجال النقد .

وأما الأمر الثاني فحسب الثعالبي أن ينهج هذا المنهج التاريخي مهما يكن سهلا ومهما تكن الدوافع اليه .

ان هذين المأخذين يحسبان للثعالبي لا عليه .

ويتفق الدكتور احسان عباس مع الدكتور مندور والدكتور سلام في دراستهم للفصل الخاص بالمتنبي الذي يعد كتابا قائما بنفسه ، وهو مختلف عن بقية فصول الكتاب بما حوى من مادة نقدية فالثعالبي معجب بالمتنبي ، نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ولكنه كان قد قرأ عنه رسالة الصاحب بن عباد ، وكتاب الوساطة للجرجاني ، وشرح بن جني للديوان ، ولعله قرأ كتبا أخرى أيضا ، وسمع اخبارا شفوية عنه من الخوارزمي الذي عاش مدة من الزمن في بلاط سيف الدولة ." (٢)

ويعود الدكتور احسان ليقر ويعترف بفضل الثعالبي بأنه ابتكر اشياء جديدة في دراسته للمتنبي لم نجدها فيما الف عن المتنبي من قبل ، منها : معانيه التي حلها الكتاب في رسائلهم مثل الصاحب والصابي والضبي والخوارزمي ، ونماذج من المعاني التي سرقها من الشعراء ، والمعاني التي كررها في شعره ، والتوسع في ضروب محاسنه ، وان الثعالبي لمح اشياء أجاد فيها المتنبي ، كالغزل في الأعرابيات ، وحسن التصرف في أنواع الغزل ، والابداع في التشبيه ، والتمثيل ، والمدح الموجه ، ومخاطبة الممدوح مخاطبة المحبوب أو الصديق ، واستعمال الفاظ الغزل في أوصاف

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٧٥

الحرب ، والمعانى المبتكرة .

هذا الى كثرة الأمثال السائرة ، والحكم ، وغير ذلك من ميزات . "(١)

ويذكر الدكتور احسان أن الثعالبى يحاول أن يجعل للدين تدخلا فى المقياس الأدبى حين قال : " ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذى لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر مايتعلق به موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته فى وقته . "(٢)

ولكن يبدو أن الدكتور احسان يحاول طمس آثار الثعالبى النقدية التى تحاشى بها ماجاء به القاضى الجرجانى فى الوساطة ، يقول : " وربما اعتمد فى ذلك على مصدر آخر "(٣)

ويختم الدكتور حديثه بقوله : " من كل ماتقدم نستطيع أن ننصف الثعالبى حين نقول أنه ليس يعد فى النقاد ، ولا حتى فى مؤرخى الأدب ، ولولا فصله عن المتنبى لكان ادراجه فى باب النقد تزيدا لايجد له مسوغا "(٤)

ويقول (بلاشير) عن الشاعر الناقد شفيق جبرى فى سلسلة محاضراته عن المتنبى : " ان البحث فى اسلوب المتنبى يبدو سطحيا ، يستوحيه الناقد من الثعالبى . "(٥)

ويقول ايضا : " الى جانب الأعمال النقدية يجب أن نضع الفصل الذى كتبه المؤلف ، ذو التصانيف المتنوعة (الثعالبى) ، وكرسه لشاعر الكوفة ولديوانه فى كتابه يتيمة الدهر .

واذا صدقنا المؤلف رأينا أنه تحت الحاح صديق له ، فكر فى أن يكتب تاريخا للمتنبى ، ولكنه انتهى بالاكتفاء بهذا الفصل من اليتيمة ، ويمكن مع ذلك عده كلا كاملا لأهميته (٦) " ويعلق على دراسة الثعالبى للمتنبى قائلا : " هذه الدراسة مبنية على خطة شخصية ، وهى مع ذلك تظهر شيئا اكثر من افكار الرجل ، فالثعالبى له فى الحقيقة شخصية ضعيفة ، تسمح لنا فى أن نجد فى احكامه على المتنبى الصدى

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧٦ (٣) المصدر نفسه ص ٣٧٦

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧٦

(٥) ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين ص ٧٨

(٦) ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين ص ١٥

لمذهب معتدل ،ظهر فى نهاية القرن الرابع . والثعالبى كالجرجانى ،وازن بين مزايا الديوان الذى درسه ونقائصه ، وأوحى الينا أن هذا الرأى هو الأكثر قبولا فى الغالب. "(١)

ويقول (نيكلسون) فى كتابه (تاريخ الأدب العباسى) : "اذا أريد الوصول الى تقدير عادل لشاعر سيف الدولة ، يجب الالتجاء الى ناقد عربى يكشف لنا أسرار فن المتنبى ،والثعالبى بيتيمته خير من يكفل لنا ذلك وهو يقدره حق قدرة فى كتابه القيم (٢) " أما الدكتور شكرى فيصل فانه يورد السبب الذى ذكره الثعالبى لتفضيله شعراء الشام على شعراء العراق وسائر البلدان ،ويعلق بقوله : " الثعالبى اذن كان يقصد أولا الى العناية بالمحدثين من أهل العصر ،فقد وجد أن العناية بالقدماء استنفذت كثيرا من الجهود ، وغلبت على كثير من الكتب ، وان هؤلاء المعاصرين لهم محاسنهم ولهم رواؤهم ، ان لم يكن الرواء الحق ، فهو (رواء الحداثة) ،وان لم تكن الحلاوة الصرفة ، فهى (حلاوة قرب العهد) ،دون أن يكون لهم كتاب يجمع آثارهم ، أو مصنف يضم مختارهم ، فكان لابد من هذه النسخة التى تجمع بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، وقد كان يسع الثعالبى أن يصنف هؤلاء الشعراء المحدثين فى طبقات تبعا للاجادة ، أو تبعا للشهرة ، أو تبعا لسنى الوفاة والولادة ، ولكنه آثر أن يبتدع هذا التصنيف الذى يتمشى مع الأقاليم ،ويوحد بين الشعراء وبين البيئات التى وجدوا فيها غذاءهم الروحى والمادى .

ويتساءل الدكتور فيصل : أكان صنيع الثعالبى ايمانا منه بأثر الاقليمية فى صنع الأدب أم كان أثرا من آثار القسمة السياسية التى توزعت العالم الاسلامى آنذاك بين الحمدانيين والديالمة والسامانيين والغزنويين ؟ أكان عمله تنبها أدبيا عميقا أم كان استجابة سياسية سطحية ؟

ان ذلك يقتضينا أن نرى رأى الثعالبى فى كتبه الأخرى ،وما علينا فهذه الاسباب التى فضل بها شعراء الشام على شعراء سائر البلدان تجعل صنيعه أقرب الى الاحساس بالاقليمية منه الى القسمة السياسية . "(٣)

---

(١) المصدر نفسه ص١٦

(٢) تاريخ الأدب العباسى لنيكلسون ص(٨٦)

(٣) مناهج الدراسة الأدبية ص١٦٩ و١٧٠

ويؤيد الدكتور عمر الدقاق ماذهب اليه الدكتور شكري فيصل بأن " الثعالبي امتاز في يتيمته أنه ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل . فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم . وهذا التناول في الحقيقة أقرب الى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعا لترتيب أسمائهم أو غير ذلك . لأن صاحب اليتيمة استطاع في كتابه أن يربط بين الأديب وبيئته . وهذا مايجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد في عصرنا هذا . "(١)

ويقول الدكتور الدقاق : " انه - يعني الثعالبي - من الادباء البارزين بين القرنين الرابع والخامس . كان متمكنا في اللغة وفقهها . كما كان في الوقت نفسه أديبا ذواقة . وناثرا بليغ البيان . "(٢)

أما الاستاذ عمر رضا كحالة فيقول فيه : " أديب . ناثر . ناظم . لغوي . اخباري . بياني . "(٣) ويذكر اسكندر آصاف في تقديمه كتاب " الاعجاز والايجاز " . أن الثعالبي " من أئمة العربية . طويل الباع . دقيق المعاني . حسن الاختيار . غزير المادة . "(٤)

ويقول محققو كتاب (فقه اللغة) : " وكان الثعالبي واعية . كثير الحفظ . فعرف بحافظ نيسابور . وأوتي حظا في البيان . بز فيه اقرانه . فلقب بجاحظ زمانه . وعاش بنيسابور حجة فيما يروى . ثقة فيما يحدث . مكينا في علمه . ضليعا في فنه . "(٥)

وأختم هذه الآراء والنعوت التي نعته بها كل من أرخ له أو ترجم حياته . وكل من ذكر اسمه بين المؤلفين والادباء من قدماء ومحدثين . اختمها برأي الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم في تمهيده لتحقيق (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي . حيث يقول فيه : " ويؤخذ مما كتب وصنف أنه كان بدر الادباء الزاهر . وكوكبهم اللامع . وعى ما زخر به عصره من فنون الأدب . وما ترجم الى العربية من ثقافات . وأنه أحاط بجميع ماصنف من كتب وحفظ ماتناقلته الرواة من حر الشعر ومصطفى الكلام في مختلف الاصقاع . من الأندلس غربا الى خراسان وتركستان شرقا . وأن كل ما ازدهر في ظلال الدولة البويهية في العراق وفارس . والسامانية في تركستان وما وراء النهر . والحمدانية بحلب . والفاطمية بمصر . والمروانية بالاندلس - من صنوف الآداب . قد

---

(١) مصادر التراث العربي ص١٥٦ (٢) المصدر نفسه ص ١٥٦
(٣) معجم المؤلفين ج٦ ص ١٨٩
(٤) الاعجاز والايجاز - تقديم اسكندر آصاف ص٥
(٥) فقه اللغة وسر العربية - ط ٢ مقدمة المحققين ص د .

أحاط به ووعاه ، وأن ما تفتحت به قرائح الشعراء ، وترسل به الكتاب والادباء في بغداد ونيسابور ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة واشبيلية ، قد وقع له ، واودعه بطون كتبه واسفاره »(١) أما النقاد والادباء الذين لم يقتنعوا بما قدمه الثعالبي من علل لتفضيله شعراء الشام على شعراء العراق ، فمنهم الدكتور زكي مبارك الذين يقول : " وهو قليل التعليل لأحكامه على الكتاب والشعراء ، فاذا بدا له أن يعلل ويحلل وينقد فعل بلا تعمق ولا استقصاء . "(٢) ومنهم محقق كتاب " يتيمة الدهر " الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد حيث يقول : " على أن في هذا الكتاب عيبا لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب ، لأنه يغطي على كل محمدة ، بل انه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لايدل الا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه . ثم حين يريد ان يبين السبب في ذلك ، يجعل الفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى " سائر البلدان " التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس ، واختلاط اهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام .

ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وان هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سببا في فساد السنة العرب من أهل الشام . "(٣)

فهو ينعى على الثعالبي أمرين ، أولهما : نسيان شعراء سائر البلدان في موازنته بين شعراء الشام وشعراء العراق ، وثانيهما : عدم تنبهه الى أثر الروم في فساد السنة أهل الشام .

أما نسيانه شعراء سائر البلدان في موازنته بين شعراء الشام وشعراء العراق فلكون الشام والعراق مركزي الخلافة الاموية والعباسية ، وقد كثر الشعراء في بلاط خلفاء هاتين الدولتين ، وقد فاق عدد الشعراء فيهما شعراء سائر البلدان .

وأما محاولة اخفائه أثر الروم في السنة العرب من أهل الشام ، وتشهيره بأثر

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٣ ـ ٥

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ٢: ١٨٨ (٣) يتيمة الدهر / مقدمة المحقق ص ٩ جـ ١

الفرس في فساد السنة عرب العراق ، فلأن أهل الشام كانت علاقتهم بالروم علاقة عداء فكانت المعارك بينهم لا تهدأ الا نادرا ، فالكراهية كانت تحول دون ان يتأثر فريق منهم بالآخر .

أما علاقة عرب العراق بالفرس فقد كانت وطيدة للغاية ، فاندمجوا ببعضهم البعض ، وكان من الفرس الوزراء والامراء والكتاب والادباء الذين لهم باع طويل في اللغة العربية وأسرارها . فرأى الثعالبي أثر الفرس في عرب العراق يختلف عن أثر الروم في عرب الشام ، فبنى على ذلك تفضيله لشعراء عرب الشام على شعراء العراق وما يجاورها .

هذه طائفة من آراء الادباء والنقاد في أبي منصور ، تدلنا على مكانته العالية عند القدماء والمحدثين ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على ما لهذا الرجل من ثقافة واسعة وآثار قيمة فرضت نفسها على كل من ترجع للثعالبي ، حيث لم تدفع الى هذه الآراء والاحكام دوافع السلطة والجاه ، فقد كان ابو منصور عريا عنهما ، وانما هذه الصفات التي وصف بها كانت نتيجة لجهده الذي بذله ، وآثاره التي بقيت على كتبه التي سنتحدث عنها في الباب الثالث .

* * *

:: الباب الثالث ::

مؤلفات الثعالبي

عرض ودراسة

:: الفصـــــل الأول ::

مؤلفاته العامـــــة

ذكرنا ان أبا منصور الثعالبي الأديب الشاعر الناقد اللغوي الاخباري مـــن المؤلفين الذين خدموا التراث العربي خدمة جلى ، وقد كان واعية ، كثير الحفظ ، فعرف لسعة اطلاعه وتبحره في كل فن ، والمامه بكل علم ، ولأدبه الجم ، واسلوبــه السهل الواضح بجاحظ نيسابور ، فقصد اليه القاصدون يضربون اليه آباط الابـــل ، بعد أن أصبح راعي تلعات العلم ، وسار ذكره في الآفاق سير المثل ، وطلعـــت دواوينه في المشارق والمغاريب طلوع النجم في الغياهب ، وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، واكثر راولها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، وبعد فهذه مؤلفاتـــه ، بعضها مطبوع ، وقليل منها مخطوط ، وكثير منها أتى عليه الزمن وبعثرته الأيـــام ، وجميعها حسان المصادر والموارد ، وقد قصر تلميذه الباخرزي في ذكر كتبه والتعريف به .

يقول محققا كتاب (لطائف المعارف) : " واذا ذكرنا كتب أبي منصور ذكرنا نهمة ينوء بثقلها الباخرزي ، فلقد جره تقصيره الأول في سوق مايتصل بأبي منصور مفصلا ، الى تقصير ثان حين لم يذكر كتب شيخه ووالده أبي منصور ، ولو أن الباخرزي كفانـــا وكفى الناس معنا مؤونة التقصي والتحري ، فتقصى هو كتب أبي منصور — وما كان عسيرا عليه أن يفعل — لأسلف لنا خيرا ، وأسلف لشيخه خيرا ، ولأراح الصفدي من بعده أن يقع في هذا الخلط الكثير ، وهو يذكر كتب ابي منصور ، وكان هو المؤرخ الذي انفرد بسود هذه الكتب وضمها في ثبت .

وهكذا كان المؤرخ أقرب الى نهج المؤرخين من هذا المؤرخ المتقدم ، علـــى الرغم من عسر المهمة على ذاك المتأخر ، ويسرها على هذا المتقدم لو فطن لها ، "(١)

وبالرغم من كثرة مؤلفاته فانني أرى من الواجب أن أذكر شيئا عن كتبه المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ، ثم اعقد لكل كتاب من أهم الكتب فصلا خاصا .

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص ١٣ و ١٤

قال الكلاعي (١) : " وأخبرني أبو الحسن بن بسام قال : أخبرني الوزير الفقيه أبو بكر بن العربي انه سقط اليه من تواليفه — يعني الثعالبي — أحد وعشرون تأليفا ، لم يسمها لي أبو الحسن المذكور ، ثم وجدت بعد موته تسميتها بخط يده ، فمن ذلك فقه اللغة ، ويتيمة الدهر ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، وبرد الأكباد في الاعداد ، وحل العقد ، ومرآة المروءة ، وأحسن ما سمعت ، وأحاسن المحاسن ، وغرر المضاحك ، والفرائد والقلائد ، والتمثيل والمحاضرة ، واجناس التجنيس ، والمبهج ، والطرائف واللطائف ، والكناية والنهاية ، والثلج والمطر ، والسحر والبلاغة ، وسجع المنثور ، واللمع الغضة ، وكتاب الف غلام ، وتتمة اليتيمة ،

أما ابو البركات الانباري (٢) فقد اورد ذكر يتيمة الدهر وسحر البلاغة والفرائد والقلائد وسر الأدب ، وأما الصفدي (٣) فقد ذكر سبعة وستين كتابا ، ونقل ابن قاضي شهبة (٤) قائمة الصفدي ، وهي بالاضافة الى الكتب التي ذكرها الكلاعي : الاقتباس، مدح الشيء وذمه ، المضاف والمنسوب ، الشمس ، السياسة ، تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين ، يواقيت المواقيت ، التحسين والتقبيح ، خاص الخاص ، الاعجاز والايجاز ، انس المسافر ، عيون النوادر ، افراد المعاني ، المتشابه لفظا وخطا ، النوادر والبوادر ، الفصول الفارسية الانيس في غرر التجنيس ، المنتحل ، سر البيان ، من اعوزه المطرب ، سر الادب في مجاري كلام العرب ، الاحاسن في بدائع البلغاء ، منادمة الملوك ، عنوان المعارف ، الطرف من شعر البستي ، الورد ، حجة العقل ، صنعة الشعر والنثر ، سر الوزارة ، الامثال والتشبيهات ، مفتاح الفصاحة ، لباب الاحاسن ، لطائف الظرفاء ، الخوارزمشاهيات ، المديح ، الادب مما للناس فيه أرب ، التفاحة ، افراد المعاني (مكرر) ، نسيم الانس ، اللطيف في الطيب ، بهجة المشتاق ، خصائص الفضائل ، جوامع الكلم ، الملح والطرف ، المشوق ، من غاب عنه المؤانس ، نسيم السحر ، الفصول في الفصول ،

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ و٢٣٣
(٢) نزهة الألبا ٣٦٥
(٣) الوافي بالوفيات ج١٩ ص٩٩ ظهر ١٠٠ وجه
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ و٣٨٨

وذكر ابن خلكان [1] من تواليف الثعالبي اليتيمة وفقه اللغة وسحر البلاغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومؤنس الوحيد .

أما حاجي خليفة فقد ذكر مايقرب من عشرين كتابا في (كشف الظنون [2]) ، وذكر البغدادي [3] خمسة وعشرين كتابا في (هدية العارفين) ، وذكر الدميري [4] اهم ثلاثة كتب هي : ثمار القلوب وفقه اللغة واليتيمة .

والزركلي [5] ذكر قائمة وأشار الى المطبوع بالحرف (ط) والمخطوط بالحرف (خ) : اليتيمة (ط) ، فقه اللغة (ط) وسحر البلاغة (ط) ، طبقات الملوك (خ) ، الاعجاز والايجاز (ط) ، نثر النظم وحل العقد (ط) ، مكارم الاخلاق (ط) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ط) ، سر الادب (ط) ، الكناية والتعريض (ط) ويسمى النهاية في الكناية ، والمؤنس الوحيد (ط) ومختارات منه ، والتجنيس (خ) ، غرر البلاغة (خ) ، برد الاكباد (ط) ، والأمثال (ط) واسفه الفرائد والقلائد من انشائه ، ومرآة المروءات (ط) ، والغلمان (خ) ، وتحفة الوزراء (خ) ، واحسن المحاسن (خ) ، وأحسن ماسمعت (ط) ، واللطائف والظرائف (ط) ، يواقيت المواقيت (ط) والشكوى والعتاب (خ) ، والمقصور والممدود (خ) ، المتشابه (خ) والمنتحل (خ) ، والمبهج (ط) والتمثيل والمحاضرة (خ) طبعت منتخبات منه .

أما طاش كبرى زاده [6] فقد ذكر له من التصانيف: اليتيمة وقال ان هذا الكتاب ذيل للبارع ، وفقه اللغة ومؤنس الوحيد وسحر البلاغة ونشر البراعة ومن غاب عنه المطرب .

وذكر محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني [7] جملة كتب منها : اليتيمة وفقه

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢

(٢) كشف الظنون ١٤ر١٢٠ر٢٣٨ر٤٨٣ر٥٢٣ر٩٨١ر٩٨٥ر١٦٩٨ر١٢٠٣ر١٢٨٨ر١٤٤٥ر١٤٨٨ر١٥٣٥ر١٥٥٤ر١٥٨٢ر١٥٨٣ر١٩١١ر١٩٨٩ر٢٠٤٩

(٣) هدية العارفين ١ : ٦٢٥

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨

(٥) الاعلام ٣ : ٣١١

(٦) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١

(٧) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ٥ : ١٦٢

اللغة وسر البلاغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب وسر الأدب وذكر ماجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى .

والشيخ عباس القمى [١] ذكر: اليتيمة وفقه اللغة وسر البلاغة وسر الأدب واللطائف والظرائف. وذكر له ابن العماد الحنبلى [٢] : اليتيمة وفقه اللغة وسر البلاغة وسر البراعة .

أما سركيس [٣] فقد ذكر له تسعة وعشرين كتابا هى : أحاسن كلام النبى والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام ، وأحسن ماسمعت ، والأرج رسائل منتخبة من مؤلفات العلامة أبى منصور الثعالبى ، والاعجاز والايجاز أو الايجاز ، والأمثال المسمى بالفرائد والقلائد ويسمى أيضا بالعقد النفيس فى نزهة الجليس ، وبرد الأكباد فى الأعداد ، والتمثيل والمحاضرة ، وثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، وخاص الخاص ، ورسالة فيما جرى بين المتنبى وسيف الدولة ، وسر البلاغة وسر البلاغة ، وسر الأدب فى مجارى كلام العرب ، والعقد النفيس فى نزهة الجليس وهو كتاب الأمثال ، وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، والفرائد والقلائد ، وفقه اللغة وسر العربية ، والكناية والتعريض ، ولطائف المعارف ، واللطائف والظرائف ، والمبهج ومختصرات من كتاب المؤنس الوحيد فى المحاضرات ، ومرآة المروءات واعمال الحسنات ومكارم الأخلاق ، ومن غاب عنه المطرب ، والمنتحل ، والمؤنس الوحيد فى المحاضرات ونثر النظم وحل العقد ، والنهاية فى التعريض والكناية ، ويتيمة الدهر .

وذكر محمد كرد على [٤] : اليتيمة وفقه اللغة وأسرار العربية وثمار القلوب فى المضاف والمنسوب وأحاسن كلام النبى والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام وكتاب من غاب عنه المطرب وأحسن ماسمعت والكنايات والتمثيل والمبهج وسحر البلاغة والاعجاز والايجاز والامثال وبرد الاكباد فى الاعداد وخاص الخاص وسر الادب وغرر اخبار ملوك الفرس والفرائد والقلائد ونثر النظم وحل العقد والكناية والتعريض ولطائف المعارف واللطائف والظرائف والمؤنس الوحيد ومرآة المروءات ومكارم

---

(١) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧ (٢) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٣) معجم المطبوعات: مجلد١/ ٦٥٦ — ٦٦٠
(٤) كنوز الاجداد ٢٣٤ — ٢٣٦

الاخلاق والمنتحل .

أما جرجي زيدان (١) فقد ذكر قائمة بستة وثلاثين كتابا : اليتيمة ، لطائف المعارف ، فقه اللغة ، الاعجاز والايجاز ، خاص الخاص ، نثر النظم وحل العقد ، مكارم الأخلاق ، غرر اخبار ملوك الفرس في التاريخ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، شمس الادب في استعمال العرب ، الكناية والتعريض ، اجناس التجنيس سحر البلاغة ، غرر البلاغة وطرف البراعة ، اللطف واللطائف ، من غاب عنه المطرب ، برد الأكباد في الاعداد ، التوفيق للتلفيق ، النهاية في الكناية ، مرآت المروءات ، التمثيل والمحاضرة ، كتاب الغلمان ، تحفة الوزراء ، كنز الكتاب ، أحاسن المحاسن ، أحسن ما سمع ، المبهج ، اللطائف والظرائف ، يواقيت المواقيت لطائف الصحابة والتابعين ، احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء ، الشكوى والعتاب ، المقصور والممدود ، المتشابه ، المنتحل ، الفرائد والقلائد وذكرت دائرة المعارف الاسلامية اثنين وثلاثين كتابا للثعالبي (٢) .

وذكر أحمد امين (٣) : فقه اللغة واليتيمة والاعجاز والايجاز وخاص الخاص وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ومن غاب عنه المطرب ونثر النظم وحل العقد وغرر اخبار ملوك الفرس ولطائف المعارف والمبهج وسحر البلاغة والنهاية في الكناية .

وعمر رضا كحالة (٤) يذكر له : فقه اللغة وسر العربية ، وسحر البلاغة وسر البراعة ، ويتيمة الدهر ، ونثر النظم وحل العقد ، وثمار القلوب .

ويذكر محقق كتاب التمثيل والمحاضرة (٥) ستة وثمانين كتابا نقلها عن ابن قاضي شهبة وابن شاكر الكتبي والصفدي والبغدادي وحاجي خليفة وابن خلكان وابن الانباري .

أما الاستاذ محمود الجادر (٦) فقد ذكر للثعالبي ستة ومائة كتاب منها ثلاثة وعشرون مطبوعا وعشرون مخطوطا واثنان وخمسون مفقودا وأحد عشر كتابا نسب الى

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠-٣٢٣ (٢) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ٣٢٣-[illegible]
(٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣ و٢٧٦ (٤) معجم المؤلفين ٦ : ١٨٩
(٥) التمثيل والمحاضرة : مقدمة المحقق (٦) الثعالبي ناقدا واديبا ٧٠-١٦٦

الثعالبي خطأ عن طريق التوهم .

وبعد أن تناولت ماذكره الادباء والمؤرخون من كتب ابي منصور فان من المناسب للموضوع عرض نبذة عن كل كتاب .

أ — المطبوعات :

أ — فقه اللغة :

ذكره كل من الكلاعي (١) وابن خلكان (٢) والصفدي (٣) وابن قاضي شهبة (٤) والقلقشندي (٥) والدميري (٦) وطاش كبرى زادة (٧) وابن العماد الحنبلي (٨) وابن معصوم المدني (٩) ومحمد باقر الاصبهاني (١٠) والشيخ عباس القمي (١١) ومحمد كرد علي (١٢) واحمد امين (١٣) وجرجي زيدان (١٤) وسركيس (١٥) .

أما محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية فيقول (١٦) : وتشمل الطائفة الثالثة تواليفه في فقه اللغة بمعناه الضيق ، واشهرها كتاب في المترادفات العربية الفه في اخريات أيامه وسماه أول الأمر (شمس الأدب في استعمال العرب) وهو قسمان : قسم في المترادفات بمعناه الضيق وعنوانه (أسرار اللغة العربية وخصائصها) ، وقسم في ملاحظ على الاسلوب عنوانه (مجاري كلام العرب برسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، وجل هذا القسم منقول بحذافيره من كتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس ، والكتاب في أقدم صورة لا يوجد الا في ليدن (مخطوط رقم ٦٦) وبرلين (رقم ٧٠٣٢ — ٧٠٣٣) ، ثم نشر الثعالبي القسم الأول

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٣) الوافي بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) صبح الاعشى ١ : ٤٥٢
(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨
(٧) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(٨) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٩) انوار الربيع ١ : ١٧٣
(١٠) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١١) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧
(١٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٦) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧

بمفرده بعنوان " فقه اللغة " وراج في صورته هذه رواجا عظيما ، والنسخ المطبوعة (باريس (١٨٦١ م) طبعة الكنت رشيد الدحداح والقاهرة ١٢٨٤ ه ، ١٣١٧ ه وعلى هامشه النسخة الأصلية " اسرار البلاغة ١٣٢٥ ه وبيروت ١٨٨٥ م طبعة موجزة ، وقد نشر في طبعتي القاهرة ١٢٨٤ ه ، ١٣٢٥ ه ايضا القسم الثاني من النسخة الأصلية بعنوان " سر العربية في مجاري كلام العرب وصلتها والاستشهاد بالقرآن على اكثرها ، كما طبع ايضا في طهران بعنوان " سر الأدب في مجاري علوم العرب " مع السامي في الاسامي للميداني ، وهو طبعة حجرية غير مؤرخة ، ونجده منفردا في مخطوط بباريس رقم ٥٩٨٩ وفيه خطأ في العنوان اذ قيل (مجازي) بدلا من (مجاري) ، ووقع هذا الخطأ في غير هذا المخطوط (مثل حاجي خليفة طبعة فلوجل ح٤ ص ٥٩٠) ونظمه ناظم مجهول عام ٧٤٣ ه (١٣٤١ م) بعنوان (نظم فقه اللغة " (مخطوط بليدن تحت رقم ٦٧) .

طبع بعناية الكنت رشيد الدحداح — باريس — طبع حجر مصر — طبع حروف مصر بالمط العمومية على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه — بتصحيح الشيخ محمد الزهري ، وباعتناء الأب لويس شيخو مط اليسوعيين — بيروت . وطبع في بيروت سنة ١٨٨٥ م وفي مصر .

كان الثعالبي واسع العلم باللغة فألف (فقه اللغة) ، وأراد أن يجعله معجما على نمط جديد وهو جمع الكلمات في الموضوع الواحد في موضع واحد ، وأتت هذه الفكرة له في نيسابور عند ما أتاح له الامير الميكالي أن يدخل مكتبته وان ينقل ما يستطيع به أن يؤلف هذا الكتاب القيم ، والكتاب: " هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها ، مما يفتقر الى درس طويل ، وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . " (١)

استقى الثعالبي مادته — كما ذكر في المقدمة — من كتب ائمة اللغة أمثال الخليل بن أحمد والاصمعي وأبي عمر والشيباني والكسائي والفراء وأبي زيد وأبي عبيدة وابن

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٣

الاعرابى والنضر بن شميل وابن دريد وابن خالوية والازهرى وغيرهم ، فجاء كتابه جامعا وافيا .

يمتاز الكتاب بحسن ترتيبه ، فهو مقسوم الى ثلاثين بابا كل منها يتناول معنى من المعانى الاساسية ، وكل باب مقسوم بدوره الى عدد من الفصول الصغيرة " جمع فيه الألفاظ المتقاربة فى موضع واحد ، كالمائدة والخوان ، مع بيان الفرق بينهما " (١)

نقد الكتاب :

يقول محمد كرد على : " وهو كتاب كاد يحيط باللغة ، قسمه ابوابا وضم كل معنى الى شكله وكل لفظ الى مايماثله ، وجعله فى متناول الخواص والعوام ، والبنات والبنين ، وهو كتاب آخذ بناصية الكمال من أوله الى آخره ، قدمه لأبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى ، وكان أقام عنده زمنا فى ضيعته فيروز اباد من رستاق جوين وأمده بكتب من خزانته حتى كتب هذا الكتاب الدال على اغراقه فى النظام والتنسيق مايكاد يكون فيه منقطع النظير . " (٢)

ويقول محمد المبارك : " ولو نظرت فى كتاب (فقه اللغة) للثعالبى وهو مجلد صغير أو فى كتاب المخصص لابن سيدة وهو كتاب كبير لوجدت تحت كل نوع من انواع الموجودات وكل ضرب من ضروب الاشياء والنبات والحيوان والآلات والمرافق وصفاتها عددا كبيرا من المفردات المختلفة فى معانيها ودلالاتها . " (٣)

ويمتاز (فقه اللغة) من كثير من كتب المعانى التى سبقته بأنه ككتاب ابن السكيت يوجه عنايته الى ايراد الألفاظ المفردة لا الى التراكيب المنتقاة ، وبأنه يبذل وسعه فى سبيل تحديد مدلولات هذه الألفاظ وبيان مابينها من فروق .

ولا شك فى ان مثل هذا الكتاب الثمين لا يمكن أن يصدر الا عن فقه اللغة العربية تمام الفقه وتمثلها اكمل تمثل . " (٤)

---

(١) ظهر الاسلام ٢ : ١١٨ (٢) كنوز الأجداد ٢٣٤
(٣) فقه اللغة وخصائص العربية : ط ٢ : ص ٣١٤
(٤) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١ : ٦٣

ويقول الدكتور زكي مبارك: " في الكتاب فصول مهمة فيما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية والرومية ". (١)

وقد لاحظ أن الكتاب مختصر في موضوعه وانه خال من الشواهد فيقول " ولو أنه ضرب الامثال من الشعر والنثر لتحديد المعانى التى رمى الى تحديدها فى كتابه لأصبح ذلك السفر كتاب أدب ولغة، ولكان متعة لاتملها النفس واساسا لدرس تطورات المعانى والألفاظ والتعابير ." (٢)

ويرى الدكتور صبحي الصالح عدم أهمية هذا الكتاب فيقول: " لانجد اسمه الا كالثوب الفضفاض عليه، فانه لم يضمن الا بعض المباحث القليلة التى يمكن أن تتعلق بهذا العلم كايراده بعض الألفاظ العربية التى نسبها أئمة اللغة الى الرومية، أو بعض الاسماء التى تفردت بها الفرس دون العرب، فاضطر العرب الى تعريبها أو تركها كما هى، أو الاسماء التى ماتت فارسيتها مع أن عربيتها ماتزال مستعملة محكية، وهذه المباحث مثبوتة فى الباب التاسع والعشرين من كتابه، ولا تشغل اكثر من خمس عشرة صفحة ." (٣)

ومهما قيل فى هذا الكتاب فان له اهمية كبرى ويدل على أن صاحبه فقه اللغة العربية تمام الفقه.

٢ـ المنتحل :

ذكره كل من الصفدى (٤) والزركلى (٥) ومحمد كرد على (٦) وجرجى زيدان (٧) وسركيس (٨) ومحرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية (٩)

وقد طبع وعليه حاشية احمد بن على بعنوان (المنتخل فى تراجم شعراء المنتحل)

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع ٤٥٦
(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٩٠
(٣) دراسات فى فقه اللغة ٩٠ ـ ١٠
(٤) الوافى بالوفيات حـ ١٩ ص ١٠٠ وجه
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) كنور الاجداد ٢٣٤
(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٨) معجم المطبوعات / مجلد ١ / ٦٥٦
(٩) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٥

الاسكندرية (١٣٢١ هـ وتحمل مخطوطة دار الكتب المرقمة (٢٠٨٧ أدب) اسم المنتحل وهى منسوبة الى الثعالبى ، أما مخطوطة أيا صوفيا رقم (٤٥٥٠) فتحمل اسم المنتخل وهى منسوبة الى الميكالى .

وقد صححه الشيخ احمد ابو على امين مكتبة الاسكندرية الذى قال : "بيد أن الأمر فيه نكتة خفية لا بد من اظهارها ، وهو ان الامير الميكالى كان ممدوح الثعالبى وله فيه قصائد سيارة نال عليها جوائزه ، فلا غرو اذا ألف كتابا مثل هذا ونسبه اليه ، أو انتحله الامير لنفسه ، وسكت عنه الثعالبى ." (١)

يقع الكتاب فى خمسة عشر بابا يتناول كل باب منها غرضا شعريا وقد جمع المؤلف الابيات التى تعالج الغرض ، طريقته فى هذا الكتاب كطريقته فى بعض كتبه التى ثبتت له ، وعناوين الابواب مثل عناوين وابواب بعض كتبه مثل (أحسن ماسمعت) ، و(مكارم الاخلاق) و(سحر البلاغة) .

٣ـ سحر البلاغة :

ذكره الثعالبى (٢) بهذا الاسم وتبعه ابن الانبارى (٣) وحاجى خليفه (٤) والزركلى (٥) وابن معصوم المدنى (٦) والشيخ عباس القمى (٧) ومحمد كرد على (٨) وجرجى زيدان (٩) الذى قال : منه نسخ فى مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبريللى وغيرها ، وقد طبعت بالآستانة منتخبات منه فى جملة رسائل اخرى .

وأما الذين ذكروه باسم (سحر البلاغة وسر البراعة) فهم الصفدى (١٠) وابن خلكان (١١) والموسوى الاصبهانى (١٢) وسركيس (١٣) ودائرة المعارف الاسلامية (١٤) .

---

(١) المنتحل / مقدمة المصحح ص٣
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٢٢٥
(٣) نزهة الألبا ٣٦٥
(٤) كشف الظنون ٢ : ٩٨١
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) انوار الربيع ١ : ١٧٣
(٧) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧
(٨) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٠) الوافى بالوفيات ج١٩ ص٩٩ ظهر
(١١) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(١٢) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٨

أما طاش كبرى زادة [١] فقد ذكر كتابين هما : (سحر البلاغة) ، (نشر البراعة) وابن العماد الحنبلي [٢] ذكر كتابين هما : (سحر البلاغة) ، (سر البراعة) . والكلاعي [٣] ذكره باسم (السحر والبلاغة) والبغدادي [٤] ذكره باسم (رسوم البلاغة) .

وطبع بعنوان (سحر البلاغة وسر البراعة) في دمشق بتحقيق الاستاذ احمد عبيد ، وقد صرح المؤلف باهداء النسخة الاولى من الكتاب الى الرئيس أبي سهل الحمدوني ، والثانية الى صاحب الجيش أبي عمران موسى بن هارون ، والثالثة الى أبي الفضل الميكالي [٥] .

قسم الكتاب اربعة عشر قسما وعالج كل قسم من هذه الاقسام غرضا ادبيا ، وأورد نصوصا لكتاب عصره ، وحل ابيات الشعراء بأسلوبه .

أوله : أما بعد فالحمد لله أولى من حمد والصلاة على محمد ... الخ

قال : فان هذا كتاب اخرجت بعضه من غرر نجوم الارض ، ونكت اعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر ، وحللت بعضه من نظم امراء الشعر الذين اوردت ملح اشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك ، وحررته وسقته ونسقته ، وانفقت عليه ما رزقته ، وعملته بكد الناظر وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لذة الجدة ، ورونق الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم اشبه بشيء من كلام غير أهل العصر الا في قلائل وقلائد من الفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت اثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم اخل كلماته — التي هي وسائط الأدب وصياقل الألباب ، وماتستمتعه أنفس الادباء ، وتلذ اعين الكتاب — من لفظ صريح أو تجنيس انيس أو تشبيه بلا شبيه أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل أو استعارة مختارة أو طباق ذي رونق باق ، فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتاب اذا وشوا ديباجة

---

(١) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(٢) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٣) احكام صنيعة الكلام ٢٣٢
(٤) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٥٧٢
(٥) سحر البلاغة / مقدمة المؤلف/ ص٣

كلامهم بما يقتبسونه من نوره وسماحة قياده لأفراد الشعراء اذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره ، فأما المخاطبات والمجاورات فانها تتبرج بغرة من غرره وتتوج بدرة من دوره " .

وهذه المقدمة نقلها الحصرى فى كتابه (زهر الآداب[1]) ويقول : فكل ما مر أو يمر من ذكر الفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت ، وعليه عولت .

هذا وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم وهم الصابيان والخالديان وبديع الزمان وابو نصر بن المرزبان والقاضى الجرجانى وابو محمد القاضى وابو القاسم الزعفرانى وابو فراس الحمدانى وابن ابى العلاء الاصبهانى وابو الطيب المتنبى وابو الفتح البستى وابو الفضل الميكالى وشمس المعالى قابوس والصاحب بن عباد وجماعة يكثر بهم التعداد .

وبلغ من شهرة هذا الكتاب انه لم يتخل أحد من القدماء والمحدثين الذين ترجموا للثعالبى عن ذكره ، حتى ان الحصرى ذكره ونقل عنه بعض نصوصه ، ولم يذكر غيره من الكتب وحرص ابن الانبارى على ذكره مع أنه نسى فقه اللغة .

ويروون أن أبا يوسف يعقوب بن احمد بن محمد صاحب كتاب البلاغة قال يقرظ كتاب (سحر البلاغة) : (من الوافر)[2]

سحرت الناس فى تأليف (سحرك) * فجاء قلادة فى جيد عصرك
وكم لك من معان فى معان * شواعد عندما تعلو بقدرك
وقيت نوائب الدنيا جميعا * فانت اليوم جاحظ أهل عصرك

٤- المنهج :

ذكره الثعالبى[3] ، وتبعه الصفدى[4] والكلاعى[5] والزركلى[6] ومحمد كرد

(١) زهر الآداب ١ : ١٦٩ و ١٧٠ (٢) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩
(٣) المتشابه ١٩ ، التمثيل والمحاضرة ٤
(٤) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٥) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٦) الاعلام ٣ : ٣١١

على [١] وسركيس [٢] وأحمد امين [٣] ودائرة المعارف الاسلامية التي سمته (المبهج أو المبهج) [٤] وذكره جرجي زيدان وقال " منه نسخ مخطوطة في برلين وباريس وكوبريللي " [٥] وقد أهداه المؤلف لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

والكتاب يتناول في كل باب من ابوابه موضوعا ادبيا أو سياسيا أو اجتماعيا .

٥ـ اجناس التجنيس :

ذكره الكلاعي [٦] والصفدي [٧] وابن ابي الاصبع [٨] وجرجي زيدان [٩] .

وفي الاسكوريال مخطوطة منه بهذا الاسم ضمن مجموعة برقم (٣٦٣) .وفي دار الكتب نسختان منه برقم (١٢٨ بلاغة) ورقم ٤٨٠ مجاميع) .

وقد أهداه المؤلف للأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين . ومنهجه الجناس والاستشهاد لأنواع الجناس بنصوص من الشعر والنثر .

٦ـ المتشابه :

ذكره الصفدي باسم (المتشابه لفظا وخطاً) [١٠] وتابعه ابن قاضي شهبة [١١] على ذلك . وسماه الزركلي (المتشابه رسالة) [١٢] . أما جرجي زيدان فقد ذكره باسم (المتشابه) [١٣] . وقد طبع بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي باسم (المتشابه) . ويذكر السامرائي في المقدمة سيرة المؤلف وثمانية وثلاثين مؤلفا اعتمادا على كتب التراجم .

---

(١) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٨

(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧

(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٢

(٧) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ص ٩٩ ظهر

(٨) بديع القرآن ٨

(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧

(١٠) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ص ١٠٠ وجه

(١١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(١٢) الاعلام ٣ : ٢١١

(١٣)

وقد أوجز الثعالبى فى فاتحة الكتاب الخطة التى سار عليها ،فقد أشار الى أنه بناه على ثلاثة أقسام :

الأول : فى المتشابه الذى يشبه التصحيف .

الثانى : فى المتشابه من التجنيس الصحيح .

الثالث : فى المتشابه خطا ولفظا .

أهداه المؤلف الى الأمير الأجل أبى المظفر نصر بن ناصر الدين .

ولنأخذ مثلا القسم الأول : فى المتشابه الذى يشبه التصحيف فيه :

أ — باب ما نطق به القرآن وجاء فى الأثر عن الصدر الأول والسلف الأفضل . من ذلك : " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا "

ب — باب فيما صدر عن سائر طبقات البلغاء : " يعمد الى زهرة الألفاظ فيجتنبها ، والى ثمرة المعانى فيجتنيها . "

جـ — باب فى الامثال وما يجرى مجراها : " ليس من العدل سرعة العذل ،المشاورة قبل المساورة " .

د — باب فى أفعل من كذا : " أحسن من أنوار الاشجار ، وأطيب من انفاس الاسحار . "

هـ — باب من فقر وغرر شمس المعالى .

و — باب فيما اخرج منها لابن العميد .

ز — باب فيما اخرج منها للصاحب بن عباد .

ح — باب فيما اخرج لأبى الفتح البستى .

ط — باب فيما اخرج لبديع الزمان .

ى — باب فيما اخرج لا سحق الصابى ... الخ .

٧ـ كتاب الأمثال :

ذكره الصفدى باسم (الامثال والتشبيهات[١]) ، وتابعه ابن قاضى شبهة[٢] على ذلك . وسماه محمد كرد على[٣] (الأمثال) ، وذكره سركيس[٤] (الامثال أو الفرائد

---

(١) الوافى بالوفيات جـ١٩ ص ١٠٠ وجه (٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(٣) كنوز الاجداد ٢٣٤ (٤) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

والقلائد ويسمى العقد النفيس فى نزهة الجليس)

واطلعت على نسخة مطبوعة على نفقة مصطفى البابى الحلبى وأخويه باسم (كتاب الامثال المسمى بالفرائد والقلائد ويسمى ايضا بالعقد النفيس ونزهة الجليس) انشاء الامام أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى ، طبعت فى مطبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٢٧ هـ .

يقول الثعالبى [١] فى خطبة الكتاب: " الحمد لله العلى الكبير القوى القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، منشئ كل شئ ومبيده ، ومبدئ كل حى ومعيده الى أن يقول : وقصدنا فيما الفناء عن ذلك وجه الاختصار وكنه الاقتصار ليقل لفظه ويسهل حفظه ، وجعلناه الف فصل ومثل فى ثمانية أبواب :

الباب الأول : فى فضيلة العلم والعقل .
الباب الثانى : فيما يستعان به على الزهد .
الباب الثالث : " " " على أدب اللسان .
الباب الرابع : " " " على أدب النفس .
الباب الخامس : " " " على مكارم الأخلاق .
الباب السادس : " " " على حسن السيرة .
الباب السابع : " " " على حسن السياسة .
الباب الثامن : " " " على حسن البلاغة .

وسمناه (بكتاب الفرائد والقلائد) ،واستعنا فيما قصدناه من ذلك بالله الجليل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٨ — يواقيت المواقيت :

ذكره الصفدى [٢] وتابعه على ذلك ابن قاضى شهبه [٣] والزركلى [٤] وجرجى زيدان [٥] ودائرة المعارف الاسلامية [٦] وابن معصوم المدنى الذى قال : " ولأبى

(١) الأمثال / المقدمة ٢ ، ٣ ، ٤ (٢) الوافى بالوفيات حـ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ (٤) الاعلام ٣ : ٣١١
(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠ (٦) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٥

منصور عبد الملك الثعالبي كتاب في مدح كل شيء وذمه ، ترجمه بيواقيت المواقيت ، وهو غاية في بابه ، فلنذكر منه هنا نبذا مستطرفة :

مدح العقل : قال صلى الله عليه وسلم : " ان الناس يعملون الخيرات ، وانما يعطون اجورهم يوم القيامة على مقادير عقولهم ".

وكان الحسن البصري يقول : العقل هو الذى يهدى الى الجنة ويحمي من النار ، أما سمعت قول الله تعالى حكاية عن أهلها : " لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا من اصحاب السعير " .

وقال آخر : العقل أحصن معقل . وقال آخر : أشد الفاقة عدم العقل .

ومن فصول ابن المعتز : العقل غريزة تزينها التجارب ، ومنها حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن .

وأشار المؤلف في مقدمته الى أنه أهدى الكتاب الى الأمير الأجل (١) ، ولم يذكر اسمه أما منهج الكتاب فقائم على مدح كل شيء وذمه .

٩ ـ برد الأكباد في الأعداد :

سماه الثعالبي في مقدمته (٢) وتابعه الكلاعي (٣) وحاجي خليفه (٤) وجرجي زيدان (٥) ومحمد كرد علي (٦) ودائرة المعارف الاسلامية (٧) وسركيس (٨) .

أما الصفدي فقد سماه (الاعداد) (٩) ، وتابعه ابن قاضي شهبة (١٠) .

لم يصرح المؤلف بذكر اسم الذى ألف له هذا الكتاب .

ويقع الكتاب في خمسة ابواب وهى مجموعة أخبار وملح عن النبى صلى الله عليه

---

(١) يواقيت المواقيت ص٤
(٢) برد الاكباد في الاعداد ص ١٠٣
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٤) كشف الظنون ١ : ٢٣٨
(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٧) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧
(٨) معجم المطبوعات ٦ : ٦٥٦
(٩) الوافي بالوفيات ج١٩ ص٩٩ ظهر
(١٠) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

وسلم والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الأعداد ، خص الباب الأول بالاختيارات القائمة على ذكر شيئين والباب الثاني للثلاثة والثالث للأربعة والرابع للخمسة وهكذا .

في باب العدد ثلاثة مثلا يقول : "ثلاثة لا يسلم منهن أحد : " الظن والطيرة والحسد " طبع الكتاب في الآستانة في جملة رسائل أخرى ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، ونسخة مخطوطة في دار الكتب برقم (١٧٥٦١ أدب) ، ومخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١٧٧ مجاميع)

١٠ - مختصرات من كتاب المؤنس الوحيد في المحاضرات :

انفرد سركيس (١) بذكره : "طبع ومعه ترجمة الى اللغة الألمانية ، اعتنى بطبعها وتصحيحها وترجمتها العبد الضعيف غوستاف فليغل "

١١ - مرآة المروءات :

ذكره الصفدي (٢) باسم (مرآة المروءة) وتابعه على ذلك ابن قاضي شهبة (٣) وذكره الكلاعي (٤) بهذا الاسم ، أما سركيس (٥) وجرجي زيدان (٦) ودائرة المعارف الاسلامية (٧) فقد ذكروه باسم (مرآة المروءات وأعمال الحسنات وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٨٩٨ م دون تحقيق باسم (مرآة المروءات وأعمال الحسنات) .

لم يصرح المؤلف باسم الذي ألف له الكتاب ، ولكنه اكتفى بذكر " الصدر الأجل السيد الصاحب أكفى الكفاة) ثم أشار الى العبودية القديمة لحضرته . " (٨) .

قسم الكتاب الى خمسة عشر بابا ، يبدأ كل باب بلفظة (مروءة) مضافة الى طبقات الناس ومظاهر العيش .

أما مادة الكتاب فهي تتضمن مجموعة اختيارات من الآيات القرآنية والاحاديث والامثال والاشعار كعادته في معظم كتبه .

---

(١) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٢) الوافي بالوفيات ج٩ ١ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٤) احكام صنعة الكلام ٢ ٣ ٢
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٧) ٦ : ١٩٧
(٨) مرآة المروءات ٢ ، ٣

١٢ — مؤنس الوحيد :

ذكره ابن خلكان (١) وطاش كبرى زادة (٢) وحاجي خليفة (٣) والبغدادى (٤) ومحمد كرد على (٥) وأحمد امين (٦) وسركيس (٧) وذكر الزركلى (٨) انه مطبوع .

طبع الكتاب باسم " مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد " فى فينا سنة ١٨٢٩ م بتحقيق (غوستاف فليفل) . ونسب الى الثعالبى .

وقد ذكر فى دائرة المعارف (٩) الاسلامية (أن المطبوع ماهو الا قطعة من محاضرات الراغب الاصبهانى)

١٣ — من غاب عنه المطرب :

ذكره ابن خلكان (١٠) وتابعه طاش كبرى زاده (١١) والموسوى الاصبهانى (١٢) وسركيس (١٣) ومحمد كرد على (١٤) وجرجى زيدان (١٥) وأحمد امين (١٦) أما دائرة المعارف الاسلامية (١٧) فقد ذكرت (انه ذيل لأحسن ماسمعت . وهو مخطوط بخط المؤلف موجود فى جامع (لاله لى) باستانبول وقد طبع فى مجموعة (التحفة البهيسة) استانبول سنة ١٣٠٢ هـ وفى بيروت سنة ١٣٠٩ هـ وترجمه رشر " . وأما الصفدى (١٨) فقد ذكره باسم (من اعوزه المطرب) .

والكتاب يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم فى الخط والبلاغة وأوصاف الليالى والايام والغزل والخمريات والاخوانيات .

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٢) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(٣) كشف الظنون ١٩١١
(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٥) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٦) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) ٦ : ١٩٦
(١٠) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢
(١١) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(١٢) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٦) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٧) ٦ : ١٩٤
(١٨) الوافى بالوفيات حـ١٩ ص ١٠٠ وجه

وتوجد منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال •

١٤ ــ أحسن ماسمعت :

ذكره الكلاعي (١) والصفدي (٢) وابن قاضي شهبة (٣) والزركلي (٤) وسركيس (٥) ومحمد كرد علي (٦) • أما محرر مادة ثعالبي (٧) فقد ذكر "أن المخطوط الموجود منه في مكتبته كوبريللي اكبر من المخطوط الموجود في دار الكتب المصرية • وقد ترجمه (رشر) وله ذيل (من غاب عنه المطرب) • وأما حاجي خليفه (٨) فقد ذكره باسم (اللآلىء والدرر) وقال " ويعرف بأحسن ماسمعت " • وسماه جرجي زيدان (٩) "أحسن ماسمع" •

وقد طبع الكتاب باسم (أحسن ماسمعت) مع شرح لمحمد صادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤ هـ • وقد قسمه المؤلف الى اثنين وعشرين فصلا في مواد مختلفة افتتحها بالالهيات ثم اتبعها بالنبويات ثم الملوكيات ثم الاخوانيات ثم الادبيات ثم الخمريات ثم فصول السنة ثم الآثار العلوية ثم الدنيا والدهر والأمكنة والابنية والطعاميات وختمها بالمراثي والتعازي وفنون من المحاسن • وضمن كل باب بعض ابيات لمشاهير الشعراء •

وينتقد الاب لويس شيخو سكوت الثعالبي عن كثير من شعراء الاسلام كالفرزدق وجرير والاخطل • حيث لم يورد الا بيتا واحدا للأخطل • ويقول : أنه ــ يعني الثعالبي ــ لو جمع افضل ماسمع على الاطلاق لما كفته المجلدات الضخمة مع كثرة اغراض الكتابة واختلاف ابوابها " (١٠)

١٥ مكارم الأخلاق :

ذكره الزركلي (١١) ومحمد كرد علي (١٢) وسركيس (١٣) وجرجس زيدان (١٤) •

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٢) الوافي بالوفيات حـ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٤) الاعلام ٣ : ٣١١
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٧) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٤
(٨) كشف الظنون ١٥٣٥
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) مجلة المشرق ــ السنة العاشرة ١٩٠٧ م العدد الأول ١٣ ــ ٢٣
(١١) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

وكتاب مكارم الأخلاق لأبي منصور الثعالبي برد الله مضجعه ، تولى نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق اللبنانية .

يقول الأب : " والرسالة المذكورة تدعى (مكارم الأخلاق) لم نجد لها ذكرا في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ، ولا في أحد فهارس المكاتب الاوربية ، فزادنا ذلك رغبة في نشرها لئلا تأخذها يد الضياع ، وهي عبارة عن ثمانية أبواب قصيرة ، أودعها صاحبها حكما بليغة مسجعة في حسن سياسة النفس ، فنزفها الى قرائنا " (١)

ولدى اطلاعنا على هذا الكتاب الذي نشره الأب لويس وجدنا أنه منسوخ عن كتاب الأمثال الذي مر ذكره معنا وذكرنا انه هو كتاب الفوائد والقلائد ويسمى أيضا بالعقد النفيس ونزهة الجليس حيث المقدمة نفسها :

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين : اما بعد فان أحق كلام نطق به لسان ، وأعرب به بيان ، وانطوى عليه كتاب ... الى قوله : وقصدنا فيما الفناه وجه الاختصار وكنه الاقتصار ليقل لفظه ويسهل حفظه .

ابواب الكتاب ثمانية : الباب الأول : في ما يستعان به على العقل والعلم ، والثاني في مايستعان به على الزهد والعبادة ، والثالث في مايستعان به على أدب اللسان .. وهكذا مثل ما جاء في كتاب الامثال السابق .

١٦ ـ الكناية والتعريض :

سماه الكلاعي (٢) (الكناية والنهاية) ، وذكره الصفدي (٣) ، باسم (الكناية والتعريض) وتابعه على ذلك ابن قاضي شهبة (٤) ، وذكره سركيس باسم (النهاية في التعريض والكناية) (٥) ، اما الزركلي فقد ذكره باسم (الكناية والتعريض ويسمى النهاية في الكناية) (٦) ، وجرجس زيدان سماه (النهاية في الكناية) (٧) ، وذكره أحمد امين باسم (٨) (النهاية في الكناية) وقال ان الثعالبي أهداه لمأمون خوارزم شاه " ، وسماه

---

(١) مجلة المشرق / السنة الثالثة / العدد الأول سنة ١٩٠٠ م بيروت ٢٨ ـ ٣١

(٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٣

(٣) الوافي بالوفيات ح ١٩ ص ٩٩ ظهر

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٦) الاعلام ٣ : ٣١١

(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

(٨) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣

محمد كرد علي [١] (الكناية والتعريض) .

أما دائرة المعارف الاسلامية [٢] فقد ذكرته باسم (الكفاية في الكناية أو النهاية في التعريض والكناية أو الكناية والتعريض) . واشار محرر مادة ثعالبي الى الخلط في اسم هذا الكتاب فقال : " وفي عام ٤٠٠ هـ الف ـ يعني الثعالبي ـ في نيسابور لمأمون بن مأمون خوارزم شاه رسالة في البلاغة مع الاشارة بصفة خاصة الى الكناية ، وتعرف بالمخطوطات حينا باسم (الكفاية في الكناية) هكذا في مخطوط باريس رقم (٥٩٣٤) ، وحينا باسم (النهاية في التعريض والكناية) هكذا في المتحف البريطاني الملحق رقم (١١١٠ ، ١١١١) ويكتفي حينا بـ (الكناية والتعريض) هكذا في برلين رقم (٧٣٣٦) وطبعت بالعنوان الأخير في مكة عام ١٣٠١ هـ وفي القاهرة عام ١٣٢٦هـ مع (المنتخب من كناية الادباء واشارات البلغاء) للجرجاني .

ويشتمل الكتاب على مايرد من الاوصاف بالكنايات عما يستهجن ذكره ويستقبح نشره ، أو يستحيا منه مثل أوصاف النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها . " [٣]

وقسم المؤلف الكتاب الى سبعة ابواب ، عقد كل باب منها لغرض ، وقد تأنق في استعمال الكنايات واختيارها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر .

١٧ ـ الظرائف واللطائف :

ذكره الكلاعي [٤] والصفدي [٥] بهذا الاسم ، أما الزركلي [٦] ومحمد كرد علي [٧] والشيخ عباس القمي [٨] وجرجي زيدان [٩] وسركيس [١٠] ودائرة المعارف الاسلامية [١١] فقد ذكروه باسم (اللطائف والظرائف) .

---

(١) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٢) ٦ : ١٩٧ و١٩٨
(٣) الكناية والتعريض ١
(٤) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٥) الوافي بالوفيات ج١٩ ص٩٩ ظهر
(٦) الاعلام ٣ : ٣١١
(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٨) الكنى والالقاب ٢ : ١١٧
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١١) ٦ : ١٩٥

وقد طبع مجموعا مع كتاب آخر للثعالبي (يواقيت المواقيت) سنة ١٢٧٥ هـ بمصر، ثم طبع مرة ثانية بمصر سنة ١٢٩٦ هـ ، ومرة ثالثة سنة ١٣٠٧ هـ .

ونستدل من مقدمة الكتاب أن الثعالبي الفه لخوارزم شاه [1] .

يشتمل الكتاب على مدح اشياء وذمها وقال المؤلف " لم اسبق الى مثله ، ولم اشارك في ارتباط شكله . " [2]

ويضمن الكتاب مختارات من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر والامثال كعادته في معظم كتبه .

١٨ — سر الادب :

ذكره ابن الانباري [3] وحاجي خليفة [4] والزركلي [5] والشيخ عباس القمي [6] ومحمد كرد علي [7] والموسوي الاصبهاني [8] ، أما سركيس [9] فقد سماه (سر الادب في مجاري كلام العرب) ، وأما جرجي زيدان [10] فقد ذكره باسم (شمس الادب في استعمال العرب) ثم قال " وقد يسمى سر الأدب في مجاري لسان العرب ، ومنه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن . وقال محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [11] : " انه طبع في طهران بعنوان (سر الادب في مجاري علوم العرب) مع (السامي في الاسامي للميداني) وهي طبعة حجرية غير مؤرخة ، ونجده مفردا في مخطوط باريس تحت رقم (٥٩٨٩) " .

١٩ — نثر النظم وحل العقد :

ذكره الكلاعي [12] والصفدي [13] وابن قاضي شهبه [14] باسم (حل العقد) ، أما

(١) ٣
(٢) ٣
(٣) نزهة الألبا ٣٦٥
(٤) كشف الظنون ٢ : ٩٨٥
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) الكنى والالقاب ٢ : ١١٧
(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٨) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(٩) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٠) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(١١) ٦ : ١٩٧
(١٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(١٣) الوافي بالوفيات ج ٩ اص ٩٩ ظهر
(١٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧

الزركلي (١) ومحمد كرد علي (٢) وجرجي زيدان (٣) وأحمد امين (٤) وسركيس (٥) ودائرة المعارف الاسلامية (٦) وعمر رضا كحالة (٧) فقد ذكروه باسم " نثر النظم وحل العقد ".

توجد منه نسخة خطية في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (أحمد الثالث رقم ٢٣٣٧) وعنوانها (نثر النظم)

طبع في دمشق سنة ١٣٠٠ هـ طبعة أولى ، ثم طبعة ثانية في دمشق سنة ١٣٠١ هـ وبهامشه (الفرائد والقلائد) . ثم طبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ.

وهو عبارة عن تحويل النظم الى نثر. ويستفيد منه كل طالب يريد التفوق في صناعة الانشاء . هذا وقد أهداه الى خوارزم شاه ، كما صرح في مقدمته (٨) .

٢٠ ــ غرر ملوك الفرس وسيرهم : ذكره الزركلي (٩) ومحمد كرد علي (١٠) واحمد امين (١١) وسركيس (١٢) وجرجي زيدان (١٣) .

طبع الكتاب في باريس سنة ١٩٠٠ منسوبا الى عبد الملك الثعالبي ، ومعه مقدمة وترجمة فرنساوية للاستاذ زوتنبرج ناظر المطبوعات في مطبعة باريس الوطنية .

واعترض هذا على نسبة الكتاب الى المرغني الذي نسبه حاجي خليفة اليه ، فقال زوتنبرج " ان حسين المرغني غير معروف ، ولم يشر اليه أي كاتب من كتب التراجم والطبقات. " وثمة ادلة تثبت أن الثعالبي هو صاحب الكتاب: لنأخذ مثلا حديثه عن ملك سابور بن هرمز ذي الأكتاف ، يقول المؤلف: " هو أول وآخر ملك ملك في بطن امه " ونحن نجد الخبر نفسه في كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي : تحت عنوان (في ملح

---

(١) الاعلام ٣ : ٣١١
(٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٤) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) ٦ : ١٩٥
(٧) معجم المؤلفين ٦ : ١٨٩
(٨) نثر النظم ٢
(٩) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

النوادر من غرائب الاحواب وعجائب الأوقات والاتفاقات) : (ملك ملك في بطن امه " .

كذلك ورد في كتاب (الغرر) وصف فرسي بالتعبير التالي " كأنما انعلوه بالرياح الأربع " (١) وهذا الوصف استعمله الثعالبي في شعره حين شكر الميكالي لاهدائه فرسا :

ياواهب الطرف الجواد كأنما * قد انعلوه بالرياح الاربع (٢)

وهكذا نجد الثعالبي قد برع في علم التاريخ الى جانب العلوم الأخرى .

١١ — الاعجاز والايجاز :

ذكره الصفدي (٣) وابن قاضي شهبة (٤) والزركلي (٥) وجرجي زيدان (٦) ومحمد كرد علي (٧) وأحمد امين (٨) وسركيس (٩) ودائرة المعارف الاسلامية (١٠) بهذا الاسم . أما حاجي خليفة (١١) فقد ذكره باسم (اعجاز الايجاز) وتابعه البغدادي (١٢) على ذلك .

وتوجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الخديوية برقم " ف ع ١٦٥٥٤ " ، ونسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم " ٤ أد ب " بعنوان " الاعجاز والايجاز " وفي دار الكتب نسختان بعنوان " اعجاز الايجاز " الاولى برقم (٤٠٧ أد ب" والثانية برقم " ٥٤٥ أد ب " .

وقد طبع الكتاب في استانبول سنة ١٣٠١ هـ ضمن خمس رسائل ، وفي القاهرة سنة ١٨٩٧ م مع شروح لاسكندر آصاف بعنوان " الاعجاز والايجاز " .

وذكر اسكندر آصاف في المقدمة " أن الثعالبي أخذ عن أشهر العلماء الثقات كابن السكيت وأبي عبيدة والاصمعي والخوارزمي وسيبوية والسيرافي والمبرد وابن جني وغيرهم " (١٣)

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ص٢٢
(٢) خاص الخاص ٢٣٨
(٣) الوافي بالوفيات ج١٩ ص٩٩ ظهر
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٨) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٩) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٠) ٦ : ١٩٦
(١١) كشف الظنون ١ : ١٢٠
(١٢) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١٣) الاعجاز والايجاز — مقدمة الشارح ص٥

قسم الثعالبي الكتاب الى عشرة أبواب اختارها من القرآن الكريم والاقـــوال البليغة والحكم والامثال والشعر كعادته في معظم كتبه .

٢٢ـ نسيم السـحر :

ذكره الصفدي (١) وابن قاضي شهبة (٢) . وقد طبع الكتاب في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (٣) ، وطبع سنة ١٩٧١م في بغداد بتحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار . لقد وجدت الدكتورة ابتسام (٤) فصولا في فقه اللغة اختصرها الثعالبي في نسيم السحر .

والرأي الذي لا يرقى اليه الشك هو " أن جميع ماورد في الكتاب موجود في فقــه اللغة بلا استثناء (٥) " .

٢٣ ـ تتمة اليتيمة :

ذكره الكلاعي (٦) والسبكي (٧) بهذا الاسم ، أما ابن قاضي شهبة (٨) فقد ذكره باسم يتيمة اليتيمة ، ولعل ذلك من خطأ الناسخ .

وقال محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٩) : " وقد صنف الثعالبي نفسه أول ذيل لكتابه ـ يتيمة الدهر ـ ووسمه بتتمة اليتيمة . "

وقد ذكره ياقوت بهذا الاسم (١٠) ، وفي مكان آخر ذكر (يتيمة اليتيمة) اسم لكتاب الخطب في دعوات ختم القرآن لابراهيم بن محمد بن حيدر بن علي " (١١) .

وقد طبع كتاب (تتمة اليتيمة) في طهران سنة ١٣٥٣ هـ في جزأين بتحقيق عباس اقبال . وقد اشار الخوري جرجس في مقال له : " الى أن الثعالبي ألف كتاب (تتمة اليتيمة) ليرد به فضل الشعراء الذين حملوا اليه الألطاف والهدايا بأن ترجم لهم فيه (١٢) " .

(١) الوافي بالوفيات ج١٩ ص١٠٠ وجه
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٣) الثعالبي ناقد أو اديبا ١٤٠
(٤) نسيم السحر ـ مقدمة المحققة
(٥) الثعالبي ناقدا او اديبا ١٤١
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٨٥
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٩) ٦ : ١٩٤
(١٠) ارشاد الاريب ج٥ : ١٠١
(١١) ارشاد الاريب ج١ : ٣٢١
(١٢) مجلة لغة العرب سنة ١٩٢٠ ج١٢ : ٥٣١ ـ ٥٣٠

ومنهج (تتمة اليتيمة) كمنهج اليتيمة في تراجم الشعراء وتوزيعهم على اقاليمهم .

٢٤ ـ ماجرى بين المتنبي وسيف الدولة :

ذكره الزركلي [١] بهذا الاسم ، وذكره سركيس [٢] باسم " رسالة في ماجرى بين المتنبي وسيف الدولة "

أما ادوررد فنديك فقد ذكر انه طبع في ليبسك سنة ١٨٤٧ م [٣] .

٢٥ ـ لطائف الصحابة والتابعين :

ذكره جرجي زيدان [٤] فقال " طبع منه قطع في ليدن للتعليم . " كما ذكره محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [٥] وقال انه طبع في ليدن سنة ١٨٣٥ م .

٢٦ ـ الفرائد والقلائد :

ذكره الكلاعي [٦] والصفدي [٧] وابن قاضي شهبة [٨] والزركلي [٩] ومحمد كرد علي [١٠] اما ابن الانباري [١١] فقد ذكره باسم (فرائد القلائد) ، واما محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [١٢] فقد سماه (الفرائد والقلائد أو العقد النفيس ونزهة الجليس) طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

وجرجي زيدان [١٣] قال انه طبع بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

٢٧ ـ خاص الخاص : سأعقد له فصلا خاصا نظرا لأهميته

٢٨ ـ لطائف المعارف : " " " " " "

٢٩ ـ التمثيل والمحاضرة : " " " " " "

٣٠ ـ ثمار القلوب : " " " " " "

٣١ ـ يتيمة الدهر : " " " " " "

(١) الاعلام ٣/٤١١ ٣١١
(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ٢٦٩
(٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٥) ٦ : ١٩٦
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٧) الوافي بالوفيات ح ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٩) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) نزهة الألبا ٣٦٥
(١٢) ٦ : ١٩٥
(١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣

ب ـ المخطوطات :

١ ـ الاقتباس من القرآن الكريم :

يوجد منه نسخة مخطوطة بهذا العنوان في مكتبة سليم أغا برقم ١٢١ وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها برقم "٢٦ التفسير وعلم القرآن "

ذكره الثعالبي في (اليتيمة) عندما أورد محاسن كلام أبي اسحق الصابي فقال : " وبرهان ذلك ماأوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الاحسان وحلاها بآي من القرآن ." (١) . وذكره في " الكناية والتعريض " (٢) . وذكره الصفدي (٣) باسم (الاقتباس) .

قسم الكتاب الى خمسة وعشرين بابا ، ومنهجه قائم على الاقتباس من القرآن الكريم لفظا أو معنى أو عملا .

وصرح المؤلف في مقدمته انه قدم الكتاب الى الامير أبي المظفر (٤) .

٢ ـ تحفة الوزراء :

ذكره الزركلي (٥) وسركيس (٦) وجرجي زيدان (٧) ، وذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٨) : ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وفي دار الكتب برقم ٦٣٣٣ .

يوجد منه نسختان مخطوطتان مصورتان في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية الأولى برقم (فيصن الله ٢١٣٣) والثانية برقم (أمانة خزينة ١٧٢٦) .

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٢
(٢) الكناية والتعريض ١٩
(٣) الاقتباس ورقة ١٣ وجه وظهر
(٤) المصدر نفسه ورقة ١ وجه
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(٨) ٦ : ١٩٦

وقد الف الثعالبى هذا الكتاب لأبى عبد الله الحمدونى وزير خوارزم شاه كما جاء فى مقدمة الكتاب[١] .

وقسم الكتاب الى خمسة ابواب ، تكلم فيها عن سياسة الوزراء وأخذ يضرب الامثال ويستشهد بآى من الذكر الحكيم كقوله : " وقد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعدا من الوزراء ، والجمع بينهم فى زمان واحد ، وذلك خطأ من الرأى وخطأ من التدبير ، وفيه خطر على المملكة ، اذ لا يسع السيفين غمد ، وكثرة الايدى فى الصلاح فساد ، وفى أمثال العامة : من كثرة الملاحين غرقت السفينة ، وأجل الأقوال وأحسنها وأصدقها قوله تعالى فى محكم كتابه : " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا . "[٢]

٣— تحسين القبيح وتقبيح الحسن :

ذكره الصفدى[٣] باسم (التحسين والتقبيح) وتابعه ابن قاضى شهبة[٤] .

توجد منه نسخة مخطوطة بهذا الاسم فى معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم " فيض الله ٢١٣٣ " ومنه نسخة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣١ مجاميع) وقد صرح المؤلف باهدائه الكتاب الى على بن عيسى الكرجى[٥] .

فى النصف الأول من المخطوطة مدح اشياء تعارف الناس على ذمها ، وفى النصف الثانى ذم اشياء تعارف الناس على مدحها .

٤— اللطف واللطائف :

ذكره البغدادى[٦] ، وذكر جرجى زيدان[٧] أن منه نسخا مخطوطة فى الاسكوريال وفينا ودار الكتب .

---

(١) ورقة ٢ وجه (٢) ورقة ٧ وجه
(٣) الوافى بالوفيات ج ١٩ ورقة ٩٩ ظهر (٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ١ وجه
(٦) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ (٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

ويقع الكتاب في ستة عشر بابا تضمنت أقوال طبقات الناس التي من جنس صناعاتهم ، وجعل لكل طبقة بابا . واشار الى أنه " لم يسبق الى مثل هذا المنهج " (١)

٥ـ الغلمان :

ذكره ابن بسام (٢) باسم (الف غلام) ونقل الكلاعي (٣) هذا الاسم نفسه (الف غلام) ، أما ابن خلكان (٤) والصفدي (٥) وابن قاضي شهبة (٦) وحاجي خليفة (٧) والزركلي (٨) فقد ذكروه باسم (الغلمان) ، وذكره جرجي زيدان (٩) بهذا الاسم وقال " ان منه نسخا مخطوطة في برلين والاسكوريال .

٦ـ سجع المنثور :

ذكره الكلاعي (١٠) والصفدي (١١) وابن قاضي شهبة (١٢) . وتوجد منه مخطوطة مصورة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (ف٥٥ ، ١٠) مصورة عن مخطوطة احمد الثالث (٢٣٣٧) وهي اثنتا عشرة لوحة ، وقد شرح الثعالبي منهجه في المقدمة .

قسم الثعالبي الكتاب الى خمسة عشر بابا ، جعل البابين الأول والثاني للصفات الممدوحة والمذمومة ، والثالث لجواهر الكلام ، والابواب الرابع والخامس والسادس والثاني والتاسع للأمثال المسجوعة ، أما الأبواب الستة الأخيرة فقد جعلها في الامثال .

٧ـ التوفيق للتلفيق :

ذكره البغدادي (١٣) ، وذكر جرجي زيدان (١٤) أن منه نسخة مخطوطة في برلين .

---

(١) اللطف واللطائف ورقة ١ وجه
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / القسم الرابع مجلد ١ ص٧٦
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٤) وفيات الاعيان ١ : ٣٥٠
(٥) الوافي بالوفيات ١٩ / ورقة ٩٩ ظهر
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٧) كشف الظنون ١٤٤٥
(٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(١١) الوافي بالوفيات ١٩ : ورقة ٩٩ ظهر
(١٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٣) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢

٨ـ المهذب من اختيار ديوان ابي الطيب المتنبي واحواله وسيرته وماجرى بينه وبين الملوك والشعراء :

ذكر في فهرس دار الكتب[١] انه موجود بالدار نسخة برقم (١٩٤ ١٨ ش) .

٩ـ حلية المحاضرة وعنوان المذاكرة وميدان المسامرة :

ذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية[٢] ان منه مخطوطة بباريس تحت رقم (٥٩١٤) .

١٠ـ طبقات الملوك :

انفرد الزركلي[٣] بذكره وقال انه مخطوط ورمز اليه بالحرف (خ) .

١١ـ احاسن المحاسن :

ذكره الكلاعي[٤] والصفدي[٥] وابن قاضي شهبة[٦] وحاجي خليفة[٧] والزركلي[٨] وجرجي زيدان[٩] الذي اشار الى وجود نسختين مخطوطتين منه في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية ، وسماه (أحسن المحاسن)

١٢ـ غرر البلاغة وطرف البراعة :

ذكره الزركلي[١٠] باسم (غرر البلاغة (خ) واشار جرجي[١١] زيدان الى وجوده في مكتبة برلين كما اشارت دائرة المعارف الاسلامية[١٢] الى " وجود نسخة منه في برلين تحت رقم (٨٣٤١) ونسخة اخرى في كوبريللي برقم (١٢٩٠) بعنوان (غرر البلاغة للنظم والنثر) ونسخة في المتحف البريطاني بعنوان :

(غرر البلاغة للنظم والنثر والبراعة) ، ومنه مخطوط في حوزة نيكلسون . "

---

(١) فهرس دار الكتب ٣ : ١٣٧
(٢) ٦ : ١٩٦
(٣) الاعلام ٤ : ٣١١
(٤) احكام صنيعة الكلام ٢٣٢
(٥) الوافي بالوفيات ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٧) كشف الظنون ١ : ١٤
(٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) الاعلام ٣ : ٣١١
(١١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(١٢) ٦ : ١٩٦

لقد قام بدراسة هذا المخطوط الدكتور مرزوق فرج [١] فتبين له ان مؤلفه الثعالبي وان (غرر البلاغة) ماهو الا كتاب (الاعجاز والايجاز) .

١٣ — ملح البراعة :

ذكره محققا (لطائف المعارف) [٢] وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب بعنوان (سر البلاغة وملح البراعة) .

١٤ — تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١٥٤) [٣]

١٥ — التدلي في التسلي :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣١ مجاميع) [٤]

١٦ — نتائج المذاكرة :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣١ مجاميع) [٥]

١٧ — نزهة الالباب وعمدة الكتاب :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٢٧١ مجاميع [٦]

١٨ — المقصود والممدود :

ذكره الزركلي [٧] وقال جرجي زيدان [٨] ان منه نسخة مخطوطة بدار الكتب وتابعهما محققا (لطائف المعارف [٩]) ، ومحقق (التمثيل والمحاضرة) [١٠]

---

(١) مجلة كلية الاداب — بغداد — مجلد ٢ عدد ١٤ سنة ١٩٧١ ص ٦٢٢ — ٦٢٥
(٢) لطائف المعارف — مقدمة المحققين ١٩
(٣) مخطوطات جامعة الرياض المصورة ١ : ٣٥
(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٧   (٥) المصدر نفسه ٢ : ١٠٣
(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٠٥   (٧) الاعلام ٣/٣١١
(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٩) لطائف المعارف / مقدمة المحققين ١٩
(١٠) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ١٥

١٩ـ شمس الأدب في استعمال العرب : ذكر جرجي زيدان [١] أن منه نسخة خطية

في كل من مكتبتي برلين وليدن ، وذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [٢] أن الكتاب في اقدم صوره لا يوجد الا في لندن (مخطوط رقم ٦٦) وبرلين (رقم ٧٠٣٢ ـ ٧٠٣٣)

٢٠ـ الاشباه والنظائر :

توجد منه نسخة مخطوطة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم (ولي الدين ٥٢) منسوبة الى الثعالبي .

٢١ـ الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والاصحاب :

ذكره الزركلي [٣] باسم (الشكوى والعتاب) واشار الى أنه مخطوط . كما اشار جرجي زيدان [٤] الى وجود مخطوطة منه بدار الكتب وهذه المخطوطة برقم (١٦٧٣ أدب) .

٢٢ـ أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والكتاب والبلغاء والحكماء :

ذكره محمد كرد علي [٥] وسركيس [٦] باسم (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام) أما محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [٧] فقد ذكره باسم (احاسن كلم النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء " .

توجد منه نسخ خطية في ليدن وباريس ، ويقول جرجي زيدان (طبع مختصر في ليدن سنة ١٨٤٤م) .

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٢) ٦ : ١٩٧
(٣) الاعلام ٣ : ٣١١
(٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٥) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٦) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٧) ٦ : ١٩٦

٢٣ـ كنز الكتاب :

ذكره جرجي زيدان (١) ودائرة المعارف الاسلامية (٢) ، ومنه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفينا .

٢٤ ـ سراج الملوك :

انفردت بذكره دائرة المعارف الاسلامية (٣) : " وهو مؤلف في الأخلاق نسب في مخطوط المتحف البريطاني الى الثعالبي .

٢٥ـ كتاب الوزراء :

ذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٤) ان هذا الكتاب يكمل كتاب سيرة الملوك ويوجد منه مخطوطة في جوتا تحت رقم ١٨٨٦ .

جـ ـ المفقـــودات :

١ـ الأحاسن في بدائع البلغاء : ذكره الصفدي (٥) وابن قاضي شهبة (٦) .

٢ـ الأدب مما للناس فيه أرب : ذكره الصفدي (٧) وابن قاضي شهبة (٨)

٣ـ الأصول في الفصول : انفرد ابن قاضي شهبة (٩) بذكره

٤ـ الانوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية : انفرد البغدادي (١٠) بذكره

٥ـ الأنيس في غرر التجنيس : ذكره الصفدي (١١) بهذا الاسم ، وذكره ابن قاضي شهبة (١٢) باسم (الأنيس في غريب التجنيس)

٦ـ البراعة في الكلم والصناعة : ذكر في فهرس المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا (١٣) .

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٢) ٦ : ١٩٥
(٣) ٦ : ١٩٧
(٤) ٦ : ١٩٧
(٥) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٧) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٩) المصدر نفسه
(١٠) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١١) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٣) ص ٤

٧ـ التفاحة : ذكره الصفدي (١) وابن قاضي شبهة (٢)
٨ـ الثلج والمطر : ذكره الكلاعي (٣) والصفدي (٤) وابن قاضي شهبة (٥)
٩ـ الخوارزمشاهيات : ذكره الصفدي (٦) وابن قاضي شيهة (٧)
١٠ـ السياسة : ذكره الصفدي (٨) وابن قاضي شهبة (٩)
١١ـ الشمس : ذكره الصفدي (١٠) وابن قاضي شهبة (١١)
١٢ـ الطرف من شعر البستي : ذكره الصفدي (١٢) وابن قاضي شهبة (١٣)
١٣ـ الفصول الفارسية : ذكره الصفدي (١٤) وابن قاضي شهبة (١٥)
١٤ـ الفصول في الفصول : انفرد الصفدي (١٦) بذكره
١٥ـ اللطيف في الطيب: ذكره الصفدي (١٧) وسماه ابن قاضي شهبة (الطيب)(١٨)
١٦ـ اللمع الغضة : ذكره الكلاعي (١٩) والصفدي (٢٠) وابن قاضي شهبة (٢١)
١٧ـ المديح : ذكره الصفدي (٢٢) وابن قاضي شهبة (٢٣)
١٨ـ المشوق : ذكره الصفدي (٢٤) وابن قاضي شهبة (٢٥)
١٩ـ الملح والطرف: ذكره الصفدي (٢٦) وابن قاضي شهبة (٢٧)
٢٠ـ الملوكي : انفرد الثعالبي (٢٨) بذكره
٢١ـ النوادر والبوادر: ذكره الصفدي (٢٩) وابن قاضي شهبة (٣٠)

---

(١) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٢) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٨
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٤) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٦) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٧) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٨
(٨) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٩) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٠) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(١١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٢) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٤) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٦) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٧) المصدر نفسه
(١٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٩) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .
(٢٠) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٢١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٢٢) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٢٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٢٤) المصدر الأول نفسه
(٢٥) المصدر الثاني نفسه
(٢٦) المصدر الاول نفسه
(٢٧) المصدر الثاني نفسه
(٢٨) تحفة الوزراء / ورقة ٣ وجه
(٢٩) المصدر الأول نفسه
(٣٠) المصدر الثاني نفسه

٢٢ـ الورد : ذكره الصفدي [١] وابن قاضي شهبة [٢].
٢٣ـ افراد المعاني : ذكره الصفدي [٣] مرتين وذكره ابن قاضي شهبة [٤].
٢٤ـ انس الشعراء : انفرد محققا (لطائف المعارف) بذكره [٥]
٢٥ـ انس المسافر : ذكره الصفدي [٦] وابن قاضي شهبة [٧]
٢٦ـ بهجة المشتاق : ذكره الصفدي [٨] وابن قاضي شهبة [٩]
٢٧ـ تحفة الارواح وموائد السرور والافراح : انفرد البغدادي [١٠] بذكره.
٢٨ـ تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين : ذكره الصفدي [١١] وابن قاضي شهبة [١٢]
٢٩ـ جوامع الكلم : ذكره الصفدي [١٣] وابن قاضي شهبة [١٤]
٣٠ـ جواهر الحكم : انفرد البغدادي [١٥] بذكره.
٣١ـ حجة العقل : ذكره الصفدي [١٦] وابن قاضي شهبة [١٧].
٣٢ـ حشور اللوزينج : ذكره الثعالبي [١٨] وزكي مبارك [١٩] ومحققا (لطائف المعارف) [٢٠].
٣٣ـ خصائص البلدان : انفرد الثعالبي [٢١] بذكره.
٣٤ـ خصائص الفضائل : ذكره الصفدي [٢٢] وابن قاضي شهبة [٢٣].
٣٥ـ ديوان أبي الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني : جمعه الثعالبي فقال : لم أر للحام ديوان شعر مجموعا، فعنيت بجمع تعاريقه، وضم منتشره. [٢٤]

---

(١) المصدر الأول نفسه.
(٢) المصدر الثاني نفسه
(٣) المصدر الأول ورقة ٩٩ ظهر وورقة ١٠٠ وجه
(٤) المصدر الثاني نفسه
(٥) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ١٥
(٦) المصدر الأول /ورقة ٩٩ ظهر
(٧) المصدر الثاني نفسه
(٨) المصدر الأول نفسه..
(٩) المصدر الثاني نفسه
(١٠) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٢٤٠
(١١) المصدر الأول / ورقة ٩٩ ظهر
(١٢) المصدر الثاني نفسه
(١٣) المصدر الأول نفسه..
(١٤) المصدر الثاني نفسه
(١٥) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٣٧٦
(١٦) الوافي بالوفيات حـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٧) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٨) ثمار القلوب ٦١١
(١٩) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٨٥
(٢٠) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ١٦
(٢١) ثمار القلوب ٥٤٥
(٢٢) المصدر الأول نفسه
(٢٣) المصدر الثاني نفسه
(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ١٠٢

٣٦ـ ديوان شعر الثعالبي : انفرد الباخرزي (١) بذكره .
٣٧ـ رسوم البلاغة : انفرد البغدادي (٢) بذكره .
٣٨ـ سر البراعة : انفرد بن العماد الحنبلي بذكره (٣)
٣٩ـ سر البيان : ذكره الصفدي (٤) وابن قاضي شهبة (٥)
٤٠ـ سر الصناعة : انفرد الثعالبي بذكره (٦)
٤١ـ سر الوزارة : ذكره الصفدي (٧) وابن قاضي شهبة (٨)
٤٢ـ سيرة الملوك : انفرد حاجي خليفة بذكره (٩)
٤٣ـ صنعة الشعر والنثر : ذكره الصفدي (١٠) وابن قاضي شهبة (١١)
٤٤ـ عنوان المعارف : ذكره الصفدي (١٢) وابن قاضي شهبة (١٣)
٤٥ـ عيون الاداب : انفرد الثعالبي بذكره (١٤)
٤٦ـ عيون النوادر : ذكره الصفدي (١٥) وابن قاضي شهبة (١٦)
٤٧ـ غرر المضاحك : ذكره الكلاعي (١٧) والصفدي (١٨) وابن قاضي شهبة (١٩)
٤٨ـ فضل من اسمه الفضل : انفرد الثعالبي بذكره (٢٠)
٤٩ـ لباب الأحاسن : ذكره الصفدي (٢١) وابن قاضي شهبة (٢٢)
٥٠ـ لطائف الظرفاء : ذكره الصفدي (٢٣) وابن قاضي شهبة (٢٤)
٥١ـ مدح الشيء وذمه : ذكره الصفدي (٢٥) وابن قاضي شهبة (٢٦)

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٦
(٢) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٥٧٢
(٣) شذرات الذهب ٣ : ٢٧٤
(٤) المصدر الأول نفسه
(٥) المصدر الثاني نفسه
(٦) تتمة اليتيمة ٢ : ٣٦
(٧) المصدر الأول نفسه
(٨) المصدر الثاني نفسه
(٩) كشف الظنون ٢ : ١٠١٦
(١٠) المصدر الأول نفسه
(١١) المصدر الثاني نفسه
(١٢) المصدر الأول نفسه
(١٣) المصدر الثاني نفسه
(١٤) اللطائف والظرائف ٥١
(١٥) الوافي بالوفيات ح٩ ورقة ٩٩ ظهر
(١٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٧) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(١٨) المصدر الأول نفسه
(١٩) المصدر الثاني نفسه
(٢٠) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٣ ، ثمار القلوب ٢٩٣
(٢١) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٢٢) المصدر الثاني نفسه
(٢٣) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٢٤) المصدر الثاني نفسه
(٢٥) المصدر الأول ورقة ٩٩ ظهر
(٢٦) المصدر الثاني نفسه

٥٢ــ مفتاح الفصاحة : ذكره الصفدي [١] وابن قاضي شهبة [٢]
٥٣ــ ملح النوادر : انفرد الثعالبي بذكره [٣]
٥٤ــ منادمة الملوك : ذكره الصفدي [٤] وابن قاضي شهبة [٥]
٥٥ــ من غاب عنه المؤنس : ذكره الصفدي [٦] باسم (من غاب عنه المؤانس) ولعلــــه خطأ الناسخ . وذكره ابن قاضي شهبة [٧]
٥٦ــ نسيم الانس : ذكره الصفدي [٨] وابن قاضي شهبة [٩]
٥٧ ــ نشر البراعة : انفرد طاشي كبرى زاده بذكره [١٠]

* * *

(١) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٢) المصدر الثاني نفسه
(٣) اللطائف والظرائف ٦٣
(٤) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٥) المصدر الثاني نفسه
(٦) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٧) المصدر الثاني نفسه
(٨) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٩) المصدر الثاني نفسه .
(١٠) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١

عشر صفحات تلخيص لكتاب مطبوع وكرد أسماء عشرات من الشعراء بلا موجب

الفصل الثانـــــى

كتاب خاص الخـــاص

أولا : تسمية الكتاب :

ذكره الثعالبى (١) بهذا الاسم فى مقدمته ، ولم يخالفه أحد مــن القدماء والمحدثين فى التسمية عدا ابن قاضي شهبة (٢) الذى سماه (خاص الخواص) ،ومن الذين سموه باسم (خاص الخاص) : الصفدى (٣) ومحمـد كرد علي (٤) وأحمد امين (٥) وجرجي زيدان (٦) وسركيس (٧) ودائرة المعارف الاسلامية (٨) .

ثانيـا : مخطوطاتـــه :

توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٤٧ أدب .

ثالثـا : طبعاتـــه :

طبع بتونس ١٢٩٣ هـ ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ بتصحيح الشيخ محمود السمكرى ، وطبع ببيروت سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م وقدمه الاستاذ حسـن الأمين . وطبعة بيروت هذه تنقصها مقدمة المؤلف .

وقد صرح المؤلف فى مقدمته باهداء الكتاب للشيخ أبي الحسن مسافر بـن الحسن (٩)

رابعا : منهجه فى الكتاب وتقسيمه :

يقع الكتاب فى ثمانية أبواب:

الباب الأول :

فيما يقارب الاعجاز من ايجاز البلغاء وسحرة الكتـــاب

---

(١) خاص الخاص — طبعة السمكري ٢ .
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٣) الوافى بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٤) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٥) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٦) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦ .
(٨) ٦ : ١٩٥
(٩) خاص الخاص — طبعة السمكري ٢

وغيرهم ، وقد اورد في هذا الباب من ايجاز البلغاء والحكم المأثورة عن مشاهير الكتاب ، فكان يذكر اسم البليغ ، ويختار له بعض كلامه ، ثم يختم الكلام بأبرع ماقال .

ومن البلغاء الذين ذكرهم : أبو عبد الله كاتب المهدى ويحيى بن خالد البرمكى وعمر بن مسعدة واحمد بن يوسف والحسن بن سهل ومحمد بن عبد الملك وأبو اسحاق النظام وابو عثمان الجاحظ وسعيد بن حميد الكاتب وأبو العباس بن الفرات وعبد الله بن المعتز وأبو الفضل بن العميد وأبو الفتح ذو الكفايتين والصاحب بن عباد والضبى والصابى وأبو الفتح البستى وأبو الحسن الأهوازى ، وأبو نصر العتبى وشيخ الثعالبى أبو بكر الخوارزمى والبديع الهمذانى والمهلبى الوزير وأبو فراس الحمدانى وأبو القاسم الاسكافى والرضى أبو الحسن الموسوى النقيب وأبو الحسن المزنى والقاضى الهروى الازدى والشيخ العميد أبو نصر بن مسكان ، وأخر ذكر أبى الفضل الميكالى كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد ، وقد أحسن الاختيار من الكلام والمتكلمين فى هذا الباب .

الباب الثانى : فى امثال العرب والعجم والخاصة والعامة : وقد أورد فى معانيها الفاظا من القرآن الكريم ويقول : "فهى أحسن وأبلغ وأشرف وأولى بالاقتباس والتمثل بها ." (١) فكان يأتى بالعبارة ويضرب عليها المثل الذى قالته العرب والعجم والخاصة والعامة ، ثم يأتى بآية من القرآن الكريم فى معنى المثل . مثلا "فى الصبر" العرب والعجم : الصبر احجى بذوى الحجى ، الخاصة والعامة : الصبر مفتاح الفرج ، وفى القرآن : " وبشر الصابرين " (٢)

وكثيرا ماكان يضمن كلامه ابياتا من الشعر ، تخدم المعنى نفسه ، واحيانا كان يضمنه أمثالا من تأليفه وانشائه منها : "كناقل العود الى الهند ، والمسك الى الترك ، والعنبر الى البحر الأخضر " (٣)

---

(١) خاص الخاص — طبعة بيروت ١٧ (٢) المصدر نفسه ص ١٧
(٣) المصدر نفسه ص ٢٣

الباب الثالث : قسمه المؤلف الى قسمين : القسم الأول " فى جملة أفعل من كـذا منسوبة الى أصحابها نظما ونثرا " . وفى هذا القسم يختار من كـلام الادباء ، وقد أحسن الاختيار نثرا ونظما . أما القسم الثانى فهو مـن اختراعه على أفعل من كذا فى رسائل وفنون مقصورة عليها ، وقد تجلت روعة اسلوبه الشخصى فى هذا القسم ، ولنأخذ مثلا يدل على ماذهبنـا اليه من روعة اسلوبه الجاحظى ، قوله :

" كان فلان أحسن من السلامة المطرزة بالعافية ، المبطنة بالسعادة ، فصار اقبح من زوال النعمة ، وحلول النقمة ، ولزوم المحنة ، وكان ألطف من هواء نيسان ، فصار اثقل من رضوى وشهلان . " (١)

الباب الرابع : فى لطائف الظرفاء : وقد ذكرنا ان الثعالبى كان يعرف كيف يختـار من كلام البلغاء والفصحاء ، وهنا اختار من لطائف الخليل بن أحمـد قوله : " ان سم الخياط لا يضيق على متصادقين ، والدنيا لا تتسـع متعاديين . " (٢)

واختار من لطائف الملوك مثل عبد الملك بن مروان ، عندما مات له ابن فجزع عليه ، ثم قال : " الحمد لله الذى يقتل أولادنا ونحبه " (٣)

الباب الخامس : من تكلم كل من صناعته وحرفته وحاله سوى ماعمله الجاحظ من ذلك :

وقسم هذا الباب الى فصول : فصل المعلمين وفصل الادباء والنحويين وفصل الوراقين وفصل القراء والمحدثين وفصل الفقهاء والمتكلمين وفصـل القصاص والمذكرين والمتصوفين وفصل الكتاب والبلغاء وفصل الشعراء وفصل الاطباء وفصل الجند واصحاب السلاح ، حتى هنا فى هذا الفصل لـم يتخل عن ضرب الامثال ، فجاء بأمثال تختص بهم : العز تحت ظـل السيوف والحرب سجال ، وعثراتها لا تقال ، حصون العز بالخيـل والسيف ، السلاح ثم الكفاح ، والمحاجزة قبل المناجزة ، الهرب فى وقته

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٧ (٢) المصدر نفسه ص ٤٩
(٣) المصدر نفسه ص ٥٠

ظفر .

وفصل التجار والدهاقين . فصل الشطرنجيين . وفصل لذوى صناعـــات شتى .

الباب السادس :

" فى التوقيعات المختارة عن الملوك والسادة " .

وقسمه الى فصول : فصل فى توقيعات الملوك المتقدمين وهنا تظهر مقدرتـه كمؤرخ فيورد توقيعات الملوك منهم الاسكندر ونقفور وابن بهرام وسابور بن سابـور وانوشروان وابرويز .

وفصل فى غرر التوقيعات الاسلامية للملوك . وفصل فى اجناس توقيعات الـوزراء والسادة الكبراء .

الباب السابع :

" فى عجائب الشعر والشعراء " :

استغرق هذا الباب اكثر من نصف الكتاب . اى حوالى ١٣٤ صفحة لأن هذا الباب يعد ديوانا للشعر فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام والامـوى والعباسى ويمكن ان يكون كتابا برأسه فقد ذكر فيه اشهر الشعراء وعجائب شعرهـم كما يدل على ذلك عنوان الباب . فذكر ملك الشعراء فى الجاهلية وهو امرؤ القيـس وزهير والنابغة وأوس وطرفة وعلقمه بن عبدة والشنفرى والحارث بن حلزة وابو الطمحان والاعشى ميمون ولبيد وحسان والحطيه وابو ذويب الهذلى وعبده بن الطبيـب والفرزدق وجرير والاخطل وعدى بن الرقاع وذو الرمة والراعى وكثير وجميل وابـو دهبل الجمحى وبشار وحماد عجرد وابو العتاهية وابو نواس ومنصور النمرى واشجـع السلمى وكلثوم بن عمرو والعتابى وعبد الملك الحارثى وابو الشيص وابو يعقـوب الخريمى ووالبة بن الحباب ومسلم بن الوليد ومحمد بن ابى امية والمؤمل وخالد بـن زيد الكاتب وابو عيينة وابراهيم بن المهدى ومحمد بن ابى زرعة الدمشقى والعباس بن الاحنف وعبد الصمد بن المعذل وعلى بن جبلة العكوك واسماعيل بن الحمدونى ومحمد بن وهيب الحميرى ودهبل بن على الخزاعى والبحترى وعلى بن الجهـم

واحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الملك وابراهيم الصولي والحسن بن وهب وأبو علي البصير والعطوى والعلوى الحماني وعوف بن محلم الشيباني وديك الجن وابن الرومي وعبد العزيز بن المعتز وعبد الله بن عبد الله بن طاهر وابو الحسين بن طباطبا العلوى وعلى بن محمد بن نصر وابن جحظة البرمكي والمعوج النسفي والصنوبري والقاضي التنوخي وابو على بن المحسن بن على وابو الحسن بن لنكك البصري ومحمد بن عمر المعزى الكاتب ونصر بن احمد الخبز أرزي والحفار البلدي وسيف الدولة وابو فراس وابو العشائر وابو المطاع ذو القرنين وابو محمد الفياضي والمتنبي وابو منصور الثعالبي (نفسه) وابو العباس الثاني والناشيء الاصغر وابو القاسم الزاهي وابو الفرج الببغا وابو الفرج الوأواء وابو عمارة الصوري ومعد بن تميم والسري الرفاء وابو بكر الخالدي وابو سعيد الخالدي والمهلبي الوزير وابن العميد وأبو الفتح ابن ابى الفضل بن العميد وابو العلاء السردي والصاحب بن عباد وابو اسحق الصابي ومنصور بن كيغلغ وابن ورقاء وابو الفرج سلامة بن يحيى وابو القاسم عبد العزيز بن يوسف وابو العباس احمد بن ابراهيم القيتي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وابن نباته السعدي وابو الحسن السلامي والاحنف العكبري وعبدان الاصفهاني الجوي وابو سعيد الرشمي وابو القاسم بن ابى العلاء الاصفهاني وابو محمد عبد الله الاصفهاني وابو الحسن البديهي وابو القاسم الزعفراني وابو الحسن على بن هارون المنجم وابو الحسن بن المنجم الاصغر وهبة الله بن المنجم وابو حفص الشهرزوري وابو الطيب الطاهري ومحمد بن موسى البلخي وأبو احمد النامي وابو النضر الابيوردي وابو محمد الشاشي وابو الحسن اللحام الحراني وابو القاسم الدنيوري وابو على الزوزني الكاتب وابو جعفر محمد بن عبس الرامي وابو طالب المأموني والقاضي الجرجاني وابو على الحسن بن عمر الجرجاني وابو الفياض الطبري وابو على القاشاني وابو بكر الخوارزمي والبديع الهمذاني وابو الحسين أحمد بن فارس وبراكويه الزنجاني وعبد الصمد بن بابك وابو ابراهيم الشاشي وابو الفتح البستي وابو سليمان الخطابي وابو نصر سهل بن المرزبان وابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي وابو عبد الله المغلسي وابو الحسين الفوقاني والرضي الموسوي النقيب والمرتضى ابو القاسم وابو الحسين المصري القنوع وابو الحسين المعزي المصري وابو

الفهم النصيبى وابو الفتح ابن أبى الحصين عبد المحسن الصدرى وابو الفرث الحمصى وابو الحسين المستهام الحلبى وابو الغنائم الريان وأبو معشر الكاتب وابو الوفاء الدمياطى والاشرف بن فخر الملك وابو المظفر الصابونى وابو محمد المخزومى وابو القاسم بن المطرز وابو القاسم الهدلى وابو العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة وابو على بن مسكوية والصفى ابو العلاء بن خسول والقاضى ابو بكر اللابس وأبو سعد الهمذانى وابو القاسم الاصفهانى وابو القاسم بن هندو وابو البركات على بن الحسين العلوى وابو روح الهروى وابو عبد الله البغوى وابو القاسم الطبرى وابو حفص المطوعى والباخرزى وابو محمد العبد لكانى والشيخ ابو الفتح مسعود بن الليث وابو محمد الدغابا ذى والقاضى ابو الفضل اللوكرى والشيخ ابو بكر القهستانى وابو نصر منصور بن مشكان وابو سهل احمد بن الحسن وابو الطيب طاهر بن عبد الله وابو سهل الحمدوى وابو الفتح المظفر الدامغانى •

والامير ابو الفضل الميكالى والامير ابو ابراهيم الميكالى والشيخ السيد ابو الحسن مسافر بن الحسن •

ومن هؤلاء الشعراء من جاء فى يتيمته وهم شعراء أهل عصره ومنهم من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام والاموى الذين لم يترجم لهم فى اليتيمة لأنها اقتصرت على شعراء أهل العصر•

وقد أحسن ترتيب الشعراء واختيار الدرر من شعرهم وعلق على شعرهم فأحسن وابدع• ونلاحظ أنه ذكر الشيخ السيد ابو الحسن مسافر •

ابن الحسن فى آخر الشعراء لأن الكتاب مهدى اليه ومن عادته ان يؤخر أبا الفضل الميكالى كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد مع أن هذا الكتاب اهداه الى ابى الحسن مسافر • الا أنه مدح فيه أبا الفضل وفضله على سائر البلغاء والكتاب فى الباب الأول عندما قال اخرت ذكره كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد •

وكذلك قد ساد النبى محمد كل الانام وكان اخر مرسل (١)

الباب الثامن :

(فى افراد معان لمؤلف الكتاب لم يسبق اليها "

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ١٦

وقد أورد الكثير من شعره فى أغراض متنوعة : فى وصف الايام والليالى وفى المدح وفى فنون مختلفة وفى برد خوارزم وفى غلام شاعر وفى الشكوى وفى مملوك باعه ويختم هذا الباب بمدح مسلقر حين قال :

تم الكتاب بدولة الشيخ الـذى * قد صك تاج علاه فوق الفرقـد
بدر الصدور مسافر ركن العـلا * والمكرمات وكيمياء السـؤدد
والحمد لله العظيم جلالـه * ثم الصلاة على النبى محمـد

مادة الكتاب :

لا تختلف عن مادة كتبه الأخرى كثيرا الا فى دراسة عجائب الشعر والشعراء القدماء حيث اعتدنا أن نرى جل مؤلفاته تتناول الشعراء والكتاب المحدثين .

وقد رأينا معظم كتبه تدور حول الاختيارات من كلام الفصحاء والبلغاء والحكماء ولكننا فى هذا الكتاب نراه يفرد بابا خاصا لمعان لم يسبق اليها ولولا خشية الاطالة لعرضنا بعضا من هذا الشعر فى هذا الفصل .

ولكننا نكتفى بما سقناه من شعر المؤلف عند ما تعرضنا لدراسة شعره واغراضه وكذلك نجده قد اخترع وابتدع على افعل من كذا فى رسائل وفنون مختلفة وقد ابدع فى هذا الباب ماشاء على قلة ماساقه .

ومن خصائص اسلوبه فى هذا الكتاب وبخاصة فى القسم الثانى من الباب الثالث تلك المبالغة ولا عجب فقد بنى هذا القسم على افعل من كذا ولذلك لجأ الى استعمال المبالغة والتهويل وكأنه يريد أن يجارى طبيعة التيار الأدبى فى عصره .

" ويخفف من مبالغة الثعالبى كثيرا تأنقه فى اختيار الألفاظ ، وعنايتـه بتناسق المعانى حتى بدت جمله أخذا بعضها برقاب بعض دون أدنى تكلف " (١)

ولنأخذ مثلا قول الثعالبى : " كلام سيدنا أحسن من الدر الأزهر ، والياقوت الأحمر ، واذكى من المسك الأصهب ، والعنبر الاشهب فلا فض الله فمه ، وأجرى بتدبير الاقاليم قلمه " (٢)

---

(١) الثعالبى ناقدا واديبا ٢ ٤٣٢ (٢) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٥

وقد لعب عمق الخيال دورا كبيرا في مجال الأداء الفني في مثل قوله : " يومنـا أبرد من تسبيح العجوز ، وأذان المخنث ، وتشيخ الصبي ، ورقص الأعرج ، وأنسا (بالانفراد) عنك أو حشى من عنوين تضاجعه عجوز ، ومن حمار أعمى على معلف خال فأحب أن أتأنس بقربك "(١) وقوله " انزلنا فلان على طعام ابشع من قبلة العجوز الشوهاء الفوهاء وشراب اكدر من ايام البلاء ، واللأواء ،

وسماع أشق على الآذان ، من نعى الأحباء "(٢)

هذا وقد أشار الاستاذ الجادر الى وجود عيب فني لاحظه في فصول هـــذا القسم من الباب الثالث وهو تشتت الصور الفنية احيانا عقد مايقول الثعالبي " ذكـر مولاي أني وفلان بن فلان متنافران ، وما أدري لم قال ذلك ونحن آلف من الجسم والروح والناي والعود ، ومن المسك والعنبر ، ومن أبي بكر وعمر "(٣) وعلق على هذا النص فقال : " فما أبعد المدى بين صور تآلف الجسم والروح وتآلف الناي والعود والمسك والعنبر ، تآلف ابي بكر وعمر ، ان متابعة هذه الصور المتنافرة يقتضي من السامع القفز بين تحليل العلاقة المعنوية في الصورة الأولى وتحليل العلاقة الحسية في الصورتين الثانية والثالثة ، وتحليل العلاقة الشخصية والاجتماعية عن طريـــق الرجوع الى الحصيلة الثقافية التاريخية في الصورة الرابعة ، وذلك جهد كان يمكـن للثعالبي أن يوفره على قارئه لو أنه بذل عناية اكثر باختيار الصور المنسجمة الـــتي يطمئن اليها الخيال ، وتقبلها النفس بأدنى مشقة ، ومن أقصر سبيل "(٤) ثـم نراه يوفق الى حسن الاعتذار للثعالبي عن ذلك ، فيأخذ بعين الاعتبار طبيعـــة التيار الأدبي في عصره وبيئته اذ كان هم الادباء أن يحشدوا ما أمكن من الصـــور وضرب مثلا مقامات الهمذاني (٥) ، ونحن بدورنا نقول ان حشد الثعالبي لهـــذه الصور الفنية يحسب له لا عليه حيث يدل ذلك على ثقافة الثعالبي العريضة واطلاعه الواسع حين أخذ من كل روض زهرة وجمعها في باقة أزهار جميلة مختلفة الألـــوان والرائحة ، وهو لم يجهد القارئ عند قراءتها بل يعجب أيما اعجاب بعمق الخيـال وطرافة الصور وقوة التعبير .

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٦

(٢) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٨

(٣) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٧

(٤) الثعالبي ناقدا واديبا ٤٣٣

(٥) الثعالبي ناقدا واديبا ٤٣٣

ومهما يكن من أمر فالثعالبي في كتابه خاص الخاص عرف كيف يتخير المنتخبات الشعرية والنثرية وكيف يقطفها من ثمار الأدب غضة نضيرة ويعرضها على قرائه غذاء لأرواحهم وترويضا لأذهانهم •

وان جملة وردت في مختاراته تعد وصفا لائقا لهذا الكتاب : ذلك أنه أورد قولا للجاحظ يصف فيه الكتاب فقال : " وعاء ملئ وظرف حشي ظرفا " وكلمة حق قالها الاستاذ حسن الأمين في تقديمه لهذا الكتاب :

" فالعالم يجد فيه بغية والاديب يرى فيه حاجة والطالب يلقى فيه فائدة وكل قارئ مهما كانت ثقافته وتنوعت دراسته هو مستعذب لما يقرأ ، مستلطف لما يرى، مستفيد مما يطالع•

ولقد كان الثعالبي ذواقة فيما اختار في هذا الكتاب ، فعرف كيف يطرح أمام ابصارنا بدائع النثر وطرائف الشعر وغرائب الأمثال وعرف كيف يثير اهتمامنا بما كتب لنتابعه فيه متابعة غنية عذبة تشوق وتروق • " (١)

ويقول سركيس " اودع الثعالبي فيه من عيون الغرر مايكاد يخرج من حد الاعجاب الى حد الاعجاز " (٢)

أما جرجي زيدان فيقول " وفيه خلاصة الخلاصة في الأدب " (٣)

* * *

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت/ تقديم حسن الأمين ٥ ، ٦

(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠

تحوير صفحات أرضا تلخيص ما عدا نصف صفحة

الفصل الثالث

كتاب لطائف المعـــــارف

أولا : تسمية الكتاب :

ذكره ابن خلكان (١) بهذا الاسم وتابعه القلقشندى (٢) وحاجـــى خليفة (٣) ، أما البغدادى (٤) فقد سماه (لطائف المعارف فـى الأدب) وذكره الزركلى (٥) ومحمد كرد على (٦) وسركيس (٧) وجرجى زيدان (٨) ومحرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية (٩) بالاسم الأول .

وقد ذهب بعض الادباء الى ان الثعالبى كان على صلة بالصاحب بن عباد وأنه اهداه كتابه (لطائف المعارف) منهم : ادوارد براون (١٠) وأحمد امين (١١) وعبد الفتاح الحلو (١٢) وأبو الفضل ابراهيم (١٣) ومحققا الكتاب (الابيارى والصيرفى) (١٤) والحقيقة أنه لم يؤلف للصاحب بـــن عباد ، لأن الصاحب توفى سنة ٣٨٥ هـ وفى الكتاب ذكر المؤلف اعجوبة فى هلاك تسعة املاك متناسقين فى مدة سنتين وهما سنة سبع وثمـــان وثمانين .

ثانيـــا : مخطوطاتـــه :

يوجد منه نسخ مخطوطة فى ليدن ولكن محققى الكتاب لم يعثرا عليها وانما وجدا نسخة خطية فى دار الكتب المصرية لا تشير الى أصلها الـذى نقلت عنه .

---

(١) وفيات الاعيان : ١ : ٣١

(٢) صبح الاعشى ١ : ١٢ : ٤١

(٣) كشف الظنون ١٥٥٤

(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥

(٥) الاعلام ٣ : ٣١١

(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٠

(٩) ٦ : ١٩٥

(١٠) تاريخ الادب فى ايران ١١٦

(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٦

(١٢) التمثيل والمحاضرة — مقدمة المحقق

(١٣) ثمار القلوب — التمهيد .

(١٤) لطائف المعارف — مقدمة المحققين

ثالثا : طبعاتـــه :

طبع الكتاب بعناية المستشرق د ى يونغ فى نحو ٢٠٠ صفحة ســنة ١٨٦٧م ، ثم طبع فى مصر بدار احياء الكتب سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م بتحقيق الاستاذ ين إبراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى .

رابعـا : منهجه فى الكتاب وتقسيمه :

يعد الكتاب من الكتب الموسوعية فى صورتها الاولى الضيقة ،وهـو يجمع فوائد كثيرة لا سبيل اليها الا بالنظر فى كتب كثيرة متفرقة ، وأول الكتاب: " أما بعد حمد الله استفتا حابه واستنجاحا ، والصلاة علـى النبى المصطفى غدوا ورواحا ،فان هذا الكتاب فى لطائف المعـــارف وطرائفها ، وغررها وغرائبها ، ونكتها وعجائبها ، وهو منتزع من كتـب التواريخ والأخبار على الايام الطوال ، ومشرف الآن بمالى اسم الصاحب أبى القاسم . "(١)

ولعل هذه العبارة هى التى جعلت المحققين يذ هبان الـــى أن المؤلف اهداه الى الصاحب بن عباد ثم ان الكتاب مبوب على عشرة ابواب .

الباب الأول :

" فى ذكر الأوائل " : أول ذنب عصى الله به فى السماء والارض وأول من نطق بالعربية اسماعيل عليه السلام وأول من بيع من الأحرار واســـترق وأول من عمل الدرع ولبسها وأول من هشم الثريد عمرو بن عبد مناف وأول من كسا الكعبة الانطاع والبرود ابو كرب اسعد الحميرى واول من كساهـا الحرير والديباج نتيلـــــة بنت جناب بن كليب أم العباس بن عبـــد المطلب .... الخ .

وذكر محققا الكتاب(٢) انه سبق الى هذا الفن ، من الذين سبقوه ابـن قتيبة ٢٧٦ هـ فى كتابه (المعارف) وابن رستة أبو على احمد بن عمــر (القرن الثالث) فى كتابه الاعلاق النفيسه والطبرانى سليمان بن احمد

---

(١) المصدر نفسه — مقدمة المؤلف ٣ (٢) لطائف المعارف ٥ فى الهامش

ابن أيوب ٣٦٠ هـ وله كتاب الأوائل وابو هلال السكرى سنة ٣٩٥ هـ
في كتابه (الأوائل)

الباب الثاني:

" في القاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم ":

فذكر المؤلف في هذا الباب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم أى بلفظة وردت في بيت شعر قاله الشاعر فلقب بها ولا ينسى الثعالبى أن يذكر اسم الشاعر الاصلي . كالمرقش والممزق والمخرق والمتلمس والنابغة وأفنون وتأبط شرا وأعصر والمستوغر والأسعر وطرفة والمسيب وعويف القوافي والمزرد والبعيث وذو الرمة وجران العود والقطامي وموسى شهوات والعجاج والرقيات والاخضر وعائد الكلب وصريع الغواني وغبار العسكر ومقبل الريح . وهذا الشاعر الأخير الذى لم يذكر المؤلف اسمه الأصلي .

ولولا خشية الاطالة لذكرت الشعر الذى قاله كل شاعر حتى لقب بلفظة قالها ومهما يكن من أمر فهذا الباب يدل على حصيلة الثعالبى الأدبية وعلى المامه الواسع بشعر العرب ولهذا سمى حافظ أهل عصره .

الباب الثالث:

" في سائر الألقاب الاسلامية للوجوه والأعيان وغيرهم " .

ويعتبر هذا الباب مشابها لما قبله فقد أورد الثعالبى القابا للوجوه والأعيان من المسلمين منهم : عثمان وعلى ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وغيرهم .

ونراه يرتبهم ترتيبا زمنيا .

الباب الرابع :

" في ذكر الكتاب المتقدمين " : كان ادريس — عليه السلام أول من خط بالقلم . وكان يوسف — عليه السلام — يكتب لعزيز مصر .

ثم هارون ويوشع يكتبان لموسى عليه السلام . وكان سليمان عليه السلام يكتب لابيه داود عليه السلام ويستشهد لذلك بآيتين من القرآن الكريم ٣٠ر٣١ من سورة النمل " قوله تعالى : " انه من سليمان وانه بسم الله

الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتوني مسلمين " .
ثم يذكر كتاب الاسلام وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يكتبون الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ويذكر الكتاب الذين صاروا خلفاء ثم سائر اشراف الكتاب .

الباب الخامس:

" في ذكر الأعرقين من كل طبقة والمتناسقين في أحوال مختلفة " .
وهنا يذكر اعرق الانبياء في النبوه وهو سيدنا يوسف عليه السلام .
واعرق الاكاسرة وهو شيرويه وأعرق الخلفاء في الخلافة هو المنتصر وكذلك أخوه المعتز .
وأعرق ملوك العرب النعمان بن المنذر . واعرق الناس في الملك والخلافة من كلا طرفيه هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ...
وأعرق الوزراء في الوزارة أبو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وأعرق الناس صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن قحافة فان اربعتهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وصحبوه .
واعرق الاشراف في العمى : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فان كلا منهم عمي في آخر عمره .
واعرق الناس في القتل : عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد وأعرق القضاة في القضاء : بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري .
وأعرق الناس في الفقه : اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة .
وأعرق الناس في حجابة الخلفاء : العباس بن الفضل بن الربيع .
وأعرق الناس في الجود : عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف .
وأعرق الناس في الغدر : عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معد يكرب .
وأعرق الناس في الشعر : " قال المبرد : كان يقال : أعرق قوم في الشعر آل حسان فانهم معتدون ستة في نسق كلهم شاعر ، وهم سعيد بن عبد

الرحمن بن حسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام ، حتى جاء آل أبي حفصة ، وتوارثوا الشعر كابرا عن كابر وتناسق منهم عشرة على الولاء مذكورون بالشعر ، انشدوا الخلفاء واخذوا الجوائز .

وهم : متوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن سليمان ابن يحيى بن أبي حفصة .

الباب السادس :

" في الغايات من طبقات الناس "

يذكر أحسن زوجين في الاسلام مثل عثمان ورقية والوليد بن عتبة ولبابة ومصعب بن الزبير وعائشة بنت طلحة . ثم يذكر اشرف الرجال نسبا : الحسن والحسين . واشرف النساء نسبا فاطمة وأفرس الناس العزيز وصفورا بنت شعيب وأبو بكر الصديق ؛ ويستشهد بالايات الكريمة كعادته .

واكرم الناس اصهارا : العجوز الجرشية وهي هند بنت حماطة .

ورجل تزوج اليه اربعة من الخلفاء : هو عبد الله بن عمر و بن عثمان بن عفان واشرف الناس منكحا مصعب بن الزبير ثم خالد بن يزيد بن معاوية وثلاث نسوة في الإسلام لا رابعة لهن : ولادة زوجة عبد الملك وشاه فرند زوجة الوليد بن عبد الملك والخيزران زوجة المهدي .

وذكر امرأة لها اثنا عشر محرما كلهم خليفة : هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ونظيرتها من بني العباس ام جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وامرأة حجت لم يحج مثلها في اقامة المروءة ملك ولا ملكة : هي جميلة بنت ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان واخت أبي ثعلب وملك ملك في عصر الثعالبي تسعة من الملوك الكبار اما غلبة واما وراثة وهو عضد الدولة أبو شجاع .

الباب السابع :

" في طرائف الاتفاقات في الاسماء والكنى " :

خمسة من الانبياء عليهم السلام كلهم ذو اسمين . واسماء متكررة متناسقة

فى الملوك والسادة • والسادة الذين لهم كنيتان وثلاث والبلاد التى لها اسمان •

الباب الثامن :

" فى فنون شتى من لطائف المعارف النبوية والقرشية والملوكية " •
المشبهون برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤذنون له والمستهزئون من قريش والمؤلفة قلوبهم من قريش ومن بنى فزارة ومن بنى تميم ومن بنى نصر ومن بنى مالك ومن بنى سليم ومن بنى ثقيف •
واورد ذكر من عرف باللواط ومن عرف بالأبنة وذكر الزناة من قريش والكذابين منهم • والحمقى والدعاة وعيوب السادة منها الحداثة والبخل والزنى والظلم والحمق والفقر والكذب والجبن •

وذوى العاهات من الملوك ومن اشراف قريش•
ويذكر من حمل به اكثر من مدة الحمل •• دعوتان فى الاسلام لم يكن لهما فى السرو والجلالة ثالثة : الأولى دعوة الحسن بن سهل حين بنى المأمون بابنته بوران والثانية دعوة براكوازا لما أعذر المتوكل ابنه المعتز•

ويذكر ابناء الاماء اعتمادا على قول الجاحظ : مثل عبد الملك بن عمرو ابن عبد العزيز ومسلمة بن عبد الملك — واسماعيل بن ابراهيم عليه السلام •
ومن ائمة الحسينية أولاد الاماء اربعة • ومن بنى العباس وهم خلفاء أهل السنة والجماعة اكثرهم ابناء الاماء •
وقال المؤلف: ليس فى خلفاء بنى العباس من ابناء الحرائر الا السفاح امه ريطة بنت الحارث بن كعب • والمهدى والأمين • ويعدد باقى الخلفاء العباسيين واسماء أمهاتهم •
ثم نراه يذكر صناعات الاشراف •

الباب التاسع :

فى ملح النوادر من غرائب الاحوال وعجائب الأوقات والاتفاقات منها :

ملك ملك في بطن امه (سابور ذو الأكتاف) وملك ملك في الاسلام أربعين سنة (معاوية) ٢٠ سنة أمير أو ٢٠ سنة خليفة .

خليفة سلم عليه عمه وعم ابيه وعم جده (الرشيد) — خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة وهو (المتوكل) — خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفة يده وهو المعتصم بالله . خليفة تنقل في خمس طبقات (ابراهيم بن المهدى)

خليفة خلع وحبس ثم أعيد الى الخلافة (محمد الأمين) — خليفة جرت أموره وأحواله كلها على ثمانية ثمانية هو المعتصم بالله وقد سمى (المثمن) — أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو مروان بن الحكم — أب وابن تقارب مابينهما من السن تقاربا شديدا هو عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة — أخوان تباعد مابينهما من السن تباعدا شديدا هو موسى بن عبيدة : كان أخوه عبد الله أسن منه بثمانين سنة .

أربعة اخوة ، كل واحد منهم أسن من صاحبه بعشر سنين على الولاء وهم بنو أبى طالب . ويورد الثعالبى فى هذا الباب ذكر (اتفاق الأعمار) الرسول عليه الصلاة والسلام وابو بكر وعمر وعلى وعبد الملك والمنصور ٦٣ سنة .

وثلاثة اخوة ولدوا في سنة واحدة وقتلوا فى سنة واحدة وأسنانهم ثمانى وأربعون سنة وهم يزيد وزياد ومدرك بنوا لمهلب بن أبى صفرة .

رجل من التابعين يعد فى ثمان طبقات هو أبو الاسود الدؤلى يعد فى الفصحاء والعقلاء الخ جرى أحوال النبى صلى الله عليه وسلم على يوم الاثنين مولده وبعثه وهجرته ووفاته ، جرى أحوال عبد الملك بن مروان على شهر رمضان ، وقاض قضى فى الاسلام خمسا وسبعين سنة هو شريح بن الحارث الكندى . وأربعة فى الاسلام ولد من صلب كل واحد منهم مائة مولود ليلة ولد فيها

خليفة ومات خليفة واستخلف خليفة • وليلة السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ولد فيها المأمون ومات الهادى واستخلف الرشيد •

أربعة فى الاسلام قتل كل واحد منهم اكثر من ألف ألف رجل وهم الحجاج وأبو مسلم و بابك والبرقعى •

اعجوبة فيها معتبر قصة رأس الحسين وعبد الملك •وقعت فى قصر الامارة بالكوفة •

ثلاثة من الخلفاء قتلوا على التوالى ودعى الناس فى كل مرة ليشهدوا أنهم ماتوا حتف انفسهم •

اعجوبة وقعت لا يتاخ • ومن عجائب الاتفاقات نكبة آل برمك فى السنة السابعة عشرة من خلافة الرشيد ونكبة آل الفرات فى السنة السابعة عشرة من خلافة المقتدر اعجوبة فى هلاك تسعة أملاك متناسقين فى مدة سنتين وهما سنة سبع وثمانين وثلثمائة وفيهم يقول مؤلف الكتاب :

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا * يصيح بهم للموت والقتل صائح

الى آخر القصيدة •

والتسعة املاك هم : نوح بن منصور ومنصور بن نوح •وصاحب مصر وهو العزيز بالله نزار بن معد المعز لدين الله الفاطمى ووالى الجبال وهو فخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة وصاحب جرجانية وهو ابو العباس مأمون بن محمد من امراء خوارزم • وأبو على محمد بن محمد بن ابراهيم بن سيمجور صاحب نيسابور وصاحب بست ناصر الدولة ناصر الدين سبكتكين وصمصام دولة بويه هو أبو كاليجار بن عضد الدولة فنا خسرو بن بويه • ووالى الجوزجان ولعل الشاعر يريد أبا نصر محمد بن فريغون • وفائق وكان من خصيان موالى نوح بن نصر •

الباب العاشر :

في أنموذج من خصائص البلدان وذكر محاسنها ومساويها :
وذكر مكة — المدينة — الشام — مصر — اليمن — البصرة والكوفة وبغداد والاهواز وفارس واصبهان والموصل والرى وطبرستان وجرجان ونيسابور وطوسى وهراة ومرو وبلخ وبست وغزنة وسجبستان والهند وبخارى وسمرقند والصين وبلاد الترك وخوارزم ونكت ولمح في ذكر بلدان شتى .

نقد كتاب لطائف المعارف :

لو دققنا النظر في معظم كتبه لوجدنا أنه يكرر بعض مايقوله في اكثر من كتاب فمثلا : " دعوتان في الاسلام " أورد قصتيهما في هذا الكتاب وفي " ثمار القلوب"
وكنا قد ذكرنا ان الثعالبي يستقى معظم معلوماته من كتب السابقين لأن مكتبات الامراء والفضلاء من أمثال صديقه أبى الفضل الميكالى كانت توضع تحت تصرفه يأخذ منها مايشاء .

وهكذا نراه يعتمد كثيرا على كتب الجاحظ فيورد أقواله ولكنه احيانا يخطئه ويفند أقواله لأن له شخصيته المستقلة ولا يقلده تقليدا أعمى فيقول : " زعم الجاحظ أن التماسيح لا تكون الا في وادى النيل ، والقرود لا تكون الا باليمن ،وقد غلط ، فان في وادى كنك من أرض الهند تماسيح ، وفي بعض بلادها قرود كثيرة ."

وهذا دليل على اتساع ثقافته فهو ليس اديبا فحسب بل نستطيع أن نعده مؤرخا عالما بجغرافية البلاد الاسلامية المترامية الاطراف ومن علمه بالتاريخ أن الطرف والملح والنوادر العجيبة التى أوردها في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه الكثيرة تدل على اطلاعه الواسع على كتب التاريخ من القديم الى عصره . وأما بخصوص علمه بالجغرافية فانه أفرد في هذا الكتاب بابا خاصا في انموذج من خصائص البلدان وهو الباب العاشر .

وقد ذكرنا أنه تأثر بالجاحظ ولكنه لم تكن تكفيه موسوعات الجاحظ بل امتدت يده فتناول كتبا اخرى منها كتاب (المعارف لابن قتيبة وكتاب (الاعلاق النفيسة) لابن رستة حيث أخذ منهما لطائفهما وكان يعرف كيف يختار فأحسن الاختيار فاختار من كل روض زهرة وأودعها طى هذا الكتاب فأتى بالعجب العجاب .

الفصل الرابع

كتاب التمثيل والمحاضرة

أولا : تسمية الكتاب :

ذكره الثعالبي (١) بهذا الاسم وتابعه الصفدي (٢) وابن قاضي شهبة (٣) وحاجي خليفه (٤) والبغدادي (٥) والزركلي (٦) وسركيس (٧) وجرجي زيدان (٨) ودائرة المعارف الاسلامية (٩) ، أما محمد كرد على فقد ذكره باسم (التمثيل) (١٠) ،

ثانيا : مخطوطاته :

منه ثلاث نسخ خطية اعتمد عليها محقق الكتاب الاستاذ عبد الفتاح الحلو :

الاولى : نسخة خطية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٦٠٠ أدب والنسخة هذه قديمة ، ويبدو أنها كتبت في القرن السابع أو الثامن الهجري ، وهي بخط النسخ ،

الثانية : نسخة خطية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٩٢ أدب ،بعنوان (التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة) وهي بخط فارسي كتبت في المدينة المنورة ، وتمت يوم السبت وقت الظهر في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وتسعين ومائتين والف وكاتبها هو سيد يوسف على بن سيد أبرار شاه خوقندر ،

الثالثة : نسخة مصورة من مكتبة شيخ الاسلام فيض الله ، وهي مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي بخط النسخ ،

---

(١) ثمار القلوب ٢ ٣ ر٩ ١ ١ ابه٥٧٨

(٢) الوافي بالوفيات ج ١٩ ورقة ٤٤ ظهر

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧

(٤) كشف الظنون ١ : ٤٨٣

(٥) هدية العارفين ١ : ٦٢٥

(٦) الاعلام ٣ : ٣١١

(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢

(٩) ٦ : ١٩٦

(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤

الداعي الى هذه التفاصيل أن كتاب مطبوع محقق

: وقد ورد فى فهرس المخطوطات المصورة انه يوجد من هذا الكتاب خمس نسخ مصورة فى معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (١) .

ثالثا : طبعاته :

طبعت منتخبات من الكتاب فى القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ وطبع هذا الكتاب فى القاهرة بدار احياء الكتب العربية سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م بتحقيق الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو .

رابعا : منهجه فى الكتاب وتقسيمه :

لعل أول مايطالعنا فى الكتاب مقدمة المؤلف التى يمكننا أن نستشف منها منهجه فى تأليف الكتاب ، يقول المؤلف: " أما على أثر حمد الله الذى هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكنى دار ثوابه ، والصلاة والسلام على محمد خير خيرته من بريته ، وعلى الصفوة من ذريته ، فان خير القول ماشغل بخدمة خير من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ونور الحكمة الى نفاذ الحكم .. الخ " (٢) . ثم نراه يذكر انه أهداه الى الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، ويكيل له المدح والاطراء بغير حساب كعادته عند اهدائه الكتب الى السلاطين والامراء .

وفى كتابه هذا التزم بمنهج معين وسار على نمط صعب شديد لأنه ليس معجما للأمثال ولا هو جمع امثال الجاهليين والاسلاميين ، ولكنه أخذ على نفسه بأن يكون كتابه فى التمثيل والمحاضرة : " اسلامى جاهلى ، وعربى عجمى ، وملوكى سوقى وخاصى عامى يشتمل على امثال الجميع، ويضم نشر مايجرى مجراها من الفاظهم ، ويتضمن مايأخذ مأخذها من فرائد النثر ، وقلائد النظم ، وفوائد الجد ، ونوادر الهزل ، فيوجد فيه مايتمثل به من القرآن والتوراة والانجيل والزبور ، وجوامع كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله وكلام الصحابة والتابعين رضى الله عنهم بعده ، وعيون امثال العرب والعجم

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٤٢٩ (٢) التمثيل والمحاضرة /مقدمة المؤلف ٣

وما يناسبها وما يشاكلها من نتف الخلفاء ، وفقر الملوك والـــوزراء ، ونكت الزهاد والحكماء ، ولمع المحدثين والفقهاء وحكم الفلاسفـــة والاطباء ، وغرر البلغاء والشعراء ، وملح المجان والظرفـــاء ، وطرف السؤال والغوغاء ، وما تختص به كل طبقة من هؤلاء ، ومـــا تنفرد به كل فرقة من الدهاقين والتجار ، وسائر أهل الصناعـــات المتباينة الاقدار ، ولا يعدم فيه مايتمثل به من الشمس والقمـــــر والنجوم ، والآثار العلوية ، والدهر والدنيا ، وضروب الجمادات ، وانواع الحيوانات ، وصنوف الادوات والآلات ، ولا يشذ عنه ماينخرط في سلك الأمثال : من ذكر الاحوال والمحاسن والمساوئ والأوصاف" (١)

وبعد سرد بعض مقدمة المؤلف رأينا أنه كان كعادته يكشف لنـــا عن سيره وخطته في كتابه الذي يقدم له حتى أصبح من السهل علينا معرفة الكاتب الثعالبي من قراءة مقدمته ومعرفة مايتضمنه الكتاب.

هذا وقد قسم الثعالبي الكتاب الى اربعة فصول :

الفصل الأول :

في المدخل والانموذج " مما يجري مجرى الأمثال من ذكر الله تعالى في فنـــون الاغراض والمقاصد من ذلك : لطائف التحميد وماروى عن النبي عليه الصلاة والسلام وما صدر عن سائر السلف والحكماء والبلغاء ومن ذلك مايقع في انصاف الابيات:

الله انجح ماطلبت به

وسائل الله لا يخيب

الا كل شيء ماخلا الله باطل

ومن ذلك مايقع في الابيات السائرة : مثل

وما من يد الا يد الله فوقهـــا ✻ وما ظالم الا سيبلى بظالـــــم

ومن ذلك مايجري على السنة العوام : مثل الخيرة فيما يصنع الله .

انموذج من التوراة ومن الانجيل ومن الزبور ومن كلام الانبياء عليه الصلاة والسلام ومن

---

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المؤلف ٥

امثال العرب ،يتمثل من الفاظ القرآن بأحسن منها وأبلغ .

ومن امثال العجم والعامة بتمثل فى معانيها بألفاظ القرآن .

وما يجري مجرى الامثال فى الفاظ القرآن ومايتمثل به من قصص الأنبياء :

بضرب المثل بسفينة نوح وغراب نوح ونارابراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وعصا موسى وخاتم سليمان وناقة صالح وحمار عزير .

وما يتمثل به من أحوال المصطفى عليه الصلاة والسلام ومايتمثل به من اقواله التى هى جوامع الكلم القليلة الألفاظ الكثيرة المعانى ، ومن ذلك ماأجراه فى عرض كلماته غير قاصد به ضرب مثل أو ارسال فقرة فتمثل الناس به ، ومن ذلك تشبيهاته وتمثيلاته ومن ذلك حسن استعاراته ، ومن ذلك حسن الطباق فى كلامه ، ومن ذلك حسن التجنيس ومن ذلك فى ذكر الأموال ، ومن ذلك سائر امثاله وحكمه عليه الصلاة والسلام فى فنون مختلفة انموذج ينخرط فى سلك الأمثال من كلام الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

انموذج من امثال لقمان ، انموذج من امثال العرب فى الجاهلية : من ذلك ماصدر عن حكمائها ومن ذلك ماسار عنها فى سائر الأحوال ،ومن الامثال السائرة فى صدر الاسلام ومن الامثال السائرة فى صدر الايام العباسية .

انموذج من أمثال الفرس ، وانموذج من امثال العامة والمولدين ومن أمثال أهل بغداد .

انموذج من غرر مايتمثل به من ابيات لشعراء الجاهلية السائرة المستحسنة ، ومن الامثال الصادرة عن الابيات السائرة للمتقدمين فى صدر الاسلام ومن الامثال السائرة للمحدثين ويختمهم بأبى الفضل الميكالى .

الفصل الثانى :

" فى سياقة مايجرى مجرى الامثال : من الأقوال الصادرة عن طبقات الناس وذوى المراتب المتباينة والصناعات المختلفة وماقيل فيهم وذكر مالهم وماعليهم ووصف احوالهم وتصرفاتهم فى السلطان والملك والملوك ، ماخرج من كلام ابن المعتز فى شئونهم وذكر اصحابهم ، ماخرج من ذلك من كتاب المبهج ، الأقوال الصادرة عن الملوك

والاجلة الدالة على عظم هممهم وكرم اخلاقهم ومن كلامهم السائر مسير الامثال وما يجرى مجرى الامثال من كلام الامير شمس المعالى فى اثناء رسائله ومن كلام بلغاء اهل العصر فى ذكر السلطان ، قطعة من ذكر الآداب فى صحبته الملوك ، الوزارة والوزراء .

الامثال التى يتداولها العمال واصحاب السلطان ويتداولها الناس فيهم ، قادة الجيوش والشجعان والفرسان ، الكتاب والبلغاء ، ومن كتاب المبهج ، الادباء وذكر الادب ، النحويون والمعلمون والمؤدبون ، والعلماء ، والفقهاء والمحدثون ومن امثالهم ، القصاص والزهاد والمتصوفة ، الحكماء والفلاسفة ، كلامهم عن وفاة الاسكندر ، والمتكلمون ، الاطباء والشعراء ، المنجمون ، القضاة والعدول ، الثنا والدهاتين وفى كتاب المبهج التجار ، والسوقة ، السؤال والمكدون والغاغة ، الشطرنجيون ، النبيذيون ومن كتاب المبهج المغنون والعشاق والعشق ، ومن أمثالهم على افعل من كذا ، النساء ، الصبيان ، العبيد والخدم الاماء ، الخصيان ، اللصوص .

الفصل الثالث :

" فيما يكثر التمثل به من جميع الاشياء " ، الشمس والقمر والنجوم والسماء والسحاب والرياح ... الخ .

وسائر مايتمثل به من الادوات والالات المستعملة فى الدور والمنازل : السكين والقدر والخوان والاناء والابرة .

وما يتمثل به من ذكر الانسان والناس والرجل والرجال ومايتمثل به من اعضاء الانسان الظاهرة والباطنة . ومايتمثل به من ذكر الكعبة والحج والحرم ، الجنة والنار . ومايتمثل به من جميع الحيوانات والطيور .

الفصل الرابع :

" فى سائر الفنون والأغراض " : وقد قسم هذا الفصل الى اربعة فصول :

الفصل الأول : فيما يتمثل به او يجرى مجرى المثل من ذكر أحوال الانسان واطواره المختلفة وما يأخذ مأخذها : وصف الشباب وذمة ووصف الشيب مدحه وذمه .. الخ

الفصل الثانى : (فى المحاسن ومكارم الأخلاق) : العقل والعاقل والجود والكبر والقناعة الخ . ونبذ من ألفاظ بلغاء العصر تجرى مجرى الامثال لحسن استعارتها وبراعة تشبيهاتها .

الفصل الثالث : " فى ذكر القبائح ومساوئ الاخلاق " : الجهد والحمق والبخل والكذب والحسد والظلم . . . الخ . والفاظ لبلغاء العصر وغيرهم فى انواع الذم .

الفصل الرابع : " فى فنون شتى وانحاء مختلفة الترتيب " : الولد والقرابة والعتاب والعداوة والهدية والرشوة . . الخ .

خامسا : آراء الادباء والنقاد :

يقول محقق الكتاب الاستاذ عبد الفتاح الحلو (١) : " وكتاب التمثيل والمحاضرة أحد روائع الثعالبى ، وقد قدمه الى الامير شمس المعالى قابوس بن أبى طاهر وشمكير ، وخدم به سدته . والامثال قسمات واضحة بينة لوجه الأمة التى صدرت عنها ، ووصف ضمنى لوسائل حياتها وطرق معيشتها ، وهى فوق ذلك تكشف القناع عن نفسية الشعوب ، وترفع الحجب عن طبائع الامم ، فنرى النفس البشرية فى صفائها وفطرتها الأولى . وتعتبر الامثال أصدق الوسائل الادبية تعبيرا ، ولهذا نلقى ترحيبا من الأمة على اختلاف افرادها فى ثقافتهم ومبادئهم ونزعاتهم وطرق معيشتهم ، بل وتقلبهم لألوان الحياة ، وتلقى ترحيبا انسانيا عاما . والامثال فى كل امة قديمة قدم وسائل التعبير الادبية فيها ، بل هى اقدم هذه الوسائل ، ولأمتنا العربية أمثالها الموغلة فى القدم ، والتى تعبر تعبيرا صادقا عن الانسان فى صحرائه الواسعة وثقافته المحدودة ، ومن هنا فقد سجل مؤرخو الأدب العربى وخاصة من كتبوا فى الأمثال ، سجلوا كل مثل وحاولوا جاهدين ان يحددوا مكانه وزمانه والطائفة التى ينتمى اليها ولم يكن الثعالبى أول من ألف فى هذا الفن ، فقد سبقه

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق

اليه كثيرون ، ولم يكن آخر من أدلى بدلوه فيه ، فقد جاء بعده كثيرون " ويعدد المحقق من الذين الفوا في هذا الفن اربعة وخمسين مؤلفا ثم يقول :"وكتاب ابي منصور يقف شامخا بين هذه المؤلفات " وأهتم ابو منصور بأهل عصره فجمع مايخرج مخرج الامثال من كلامهم ، وتلك حسنة تعد لأبي منصور ، فلولاه لضاع التراث الزاهر الذى تألق في العصر العباسي الثالث "

أما محرر مادة الثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (١) فقد قال :"وصنف الثعالبي مجموعات من الكلم والامثال ونخص بالذكر منها كتابا لتمثيل والمحاضرة وكتاب احاسن كلم النبي والصحابة والتابعين وملوك والجاهلية وملوك الاسلام ... الخ "

وجرجي زيدان (٢) قال : " انه يحتوى على مايحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من اقوال الشعراء والمنتسبين "

ورأى الاستاذ محمود الجادر " أن مايتميز به هذا الكتاب من جميع كتب الأمثال المعروفة في الادب العربي هو هذا التبويب البارع الذى أخضع له منهج الكتاب فابعده عن النسق المعجمي لكتب الامثال يضاف الى ذلك أن المؤلف لم يقتصر في كتابه على الامثال المتداولة المعروفة ، بل ذهب الى جمع كل مايجرى مجرى المثل من اقوال القدماء والمحدثين فجعل كتابه روضة تقل افانين مختلفات الثمر من أدب هذه اللغة العريقة اننا لا نغلو اذا قلنا ان التمثيل والمحاضرة واحد من أحسن كتب الثعالبي مادة ومنهجا ، ولعل الرجل أحسن بذلك فاستوحى من منهج عدد من فصوله مناهج جعل كلا منها أساسا لكتاب برأسه فيما بعد " (٣)

وقد ذكر الاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن سبعة كتب في الأمثال رتبها حسب قدمها وكان ترتيب كتاب (التمثيل والمحاضرة) الرابع ، وذكر انها جميعا — عدا كتاب الثعالبي مرتبة على الأحرف الهجائية " (٤)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٦
(٢) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(٣) الثعالبي ناقدا واديبا ٨٦ و ٨٧
(٤) المراجع العربية والمعربة ٢٩٠ ، ٢٩١

نحن نعرف انه قدم الى الأمير شمس المعالى قابوس ونعرف أن هذا الأمير قد اوتى من العلم والجاه حظا وافرا وقد اجتمع فى بلاطه الادباء والعلماء واغدق عليهم الهبات والمنح فكان لزاما على صاحبنا الثعالبى أن يتفنن فى اخراج الكتاب وأن يختار له المادة التى تصلح لمن يقدم له الكتاب فجمع الامثال ودرسها وتناولها من أوجه مختلفة فنراه يتحدث تارة عما جاء منها فى القرآن الكريم والحديث الشريف واقوال الصحابة والتابعين واعلام الناس قديما وحديثا مع دراسة بلاغية لها حتى أنه اقتدى بمنهج هذا الكتاب عندما الف كتابه (الاعجاز والايجاز) السابق الذكر كما أن مادة الاعجاز والايجاز تبدو وكأنها منتزعة من التمثيل والمحاضرة • والثعالبى لا يرى غضاضة فى أن يكرر بعض الامثال فى كتبه لا سيما وقد عرف كيف يحسن اختيارها وينقل الى كتبه اروع مانضحت به قرائح الشعراء واقلام الكتاب والبلغاء • ونجده يضمن الفصل الأول من هذا الكتاب مايجرى مجرى الامثال فى الفاظ القرآن وما يتمثل به من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بضرب المثل بسفينة نوح وغراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وعصا موسى ••• الخ •

ويكرر ذلك فى ثمار القلوب (بناه على ذكر اشياء مضافة ومنسوبة الى اشياء مختلفة يتمثل بها كقولهم " غراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف•••"

وعندما يضمن كتابه " التمثيل والمحاضرة " امثالا من الكتب السماوية (التوراة والانجيل والزبور والقرآن الكريم) ومن اشعار القدماء والمحدثين ومن امثال الخاصة والعامة وأمثال العجم فان دل هذا المجهود الجبار على شئ فانما يدل على ثقافة صاحبنا الواسعة وعلى توفر الكتب والمراجع لديه ولدى الامراء الذين اتصل بهم •

وكنت قد تكلمت عن اصله ونسبه واثبت أنه من أصل عربى خلافا لما ذكره معظم من أرخوا له وقالوا انه من اصل فارسى •

قد اخترت نصا من كتاب التمثيل والمحاضرة نستطيع أن نستشف منه أنه عربى الأصل عندما اخذ على نفسه بأن يكون كتابه هذا " اسلامى جاهلى ، وعربى عجمى وملوكى سوقى وخاص عامى " فقد قدم العرب على العجم كما

قدم الاسلام على الجاهلية والملوك على السوقه الخاصة على العامة فلو كان فارسيا لماقدم ذكر العربى على العجمى •

ومن هذه العبارة ايضا نستدل على أن الكتاب شامل جامع يقف شامخا بين كتبه لا يستطيع أحد أن ينكر أنه فيه الفائدة لكل أديب أو دارس أو باحث شأنه فى ذلك شأن جل كتبه التى خدم بها العربية خدمة ترفعه الى مصاف عمالقة الادب•

هذا وقد مدح الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الدنوسرى هذا الكتاب ارتجالا :

كتاب التمثل فى الحسن لا * يشابهه أبدا من كتاب
حوى حكما فيه قد احكمت * ولكنهن عجاب عذاب
تذكر اخبار من قد مضوا * وما قيل عنهم بنقل صواب
كلام الأكابر فيه حلا * كما قد حلا واستلذ الشراب
عرائسه للنهى تجتلى * وقد أسفرت عن حلاها النقاب
ودر المعالى به قد علا * يشبه فى حسنه بالحباب
وأزهار أوراقه يجتنى * شذاها لأهل النهى يستطاب (١)

* * *

(١) التمثيل والمحاضرة / اورد الابيات محقق الكتاب فى المقدمة •

:: الفصل الخامس ::

" كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنســــــــوب "

أولا : تسمية الكتاب :

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال : " فان هذا الكتـــاب المترجم بـ " ثمار القلوب في المضاف والمنسوب " خدمت فيه خزانة كتب الامير أبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي " (١)

وتابعه الكلاعي (٢) على ذلك ولكن الصفدي (٣) عده كتابين " ثمـــــار القلوب " و " المضاف والمنسوب " ، أما ابن قاضي شهبة (٤) فقد ذكره باسم " شهادة القلوب " وعد كتابا آخر باسم " المضاف في المنثور " ويبدو انـــه نقل عن الصفدي ولعل اختلاف الاسماء عنده جاء بسبب خطأ الناســـخ ، وذكر البغدادي اسمه كاملا (٥) .

وقد ورد ذكره باسم " ثمار القلوب " عند كل من حاجي خليفـــة (٦) والدميري (٧) وابن معصوم المدني (٨) والزركلي (٩) ومحمد كرد علي (١٠) واحمد امين (١١) وسركيس (١٢) وجرجي زيدان (١٣) وذكره محرر مادة (الثعالبي) بهذا الاسم (١٤) .

ثانيـــا : مخطوطاته :

الكتاب محقق مطبوع

توجد منه نسختان مخطوطتان في دار الكتب ، الاولى تحت رقـــم ٤٠٩٩ أدب والثانية تحت رقم ٢٢٥ أدب ، كتبت بخط يوسف بن محمـــد الشهير بابن الوكيل فرغ من كتابتها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١١١٩ هـ ناقصة من أولها وتبدأ بالكلام على " اجزاء سنمار " مـــن

---

(١) ثمار القلوب/ المقدمة ٣ (٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٣) الوافي بالوفيات ١٥–١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر (٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ (٦) كشف الظنون ١ : ٥٢٣ (٧) حياة الحيوان الكبرى ،
(٨) انوار الربيع ١ : ١٧٣ (٩) الاعلام ٣ : ٣١١ (١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣ (١٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦ (١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧

الباب الثامن .

ثالثا : طبعاته :

طبعت مقدمة الكتاب مع الباب الرابع منه بمجلة المشرق [1] بيروت وطبع كاملا بمطبعة الظاهر بتحقيق محمد أبو شادى سنة ١٣٢٦ هـ ثم طبع مرة ثانية بدار نهضة مصر للطباعة والنشر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

رابعا : تقسيم الكتاب :

خرج الثعالبي كتابه هذا في واحد وستين بابا :

الباب الأول : فيما يضاف الى إسم الله تعالى عز ذكره وجل اسمه : " أهل الله . بيت الله - رسول الله - كتاب الله . خليل الله . روح الله . أرض الله . أسد الله . سيف الله - قوس الله - رمح الله - كلب الله ... الخ .

الباب الثانى : فيما يضاف وينسب الى الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين : وصى آدم . شهوة آدم . سفينة نوح - غراب نوح - مقام ابراهيم - نار ابراهيم - صحف ابراهيم - ضيف ابراهيم - وعد اسماعيل - ناقة صالح . ذئب يوسف . قميص يوسف - عصا موسى . نار موسى - خليفة الخضر - صبر أيوب - حوت يونس - درع داود - مزامير داود - خاتم سليمان - جن سليمان - حمار عزير - طب عيسى . دم يحيى بن زكريا . بردة النبى صلى الله عليه وسلم - داء الانبياء - فقر الانبياء .

الباب الثالث : فيما يضاف وينسب الى الملائكة والجن والشياطين : خط الملائكة - جناح جبريل - حربة أبى يحيى - سحر هاروت - كلاب الجن جند ابليس - قبح الشيطان - اصابع الشيطان - رءوس الشياطين .

---

(١) مجلة المشرق عدد ١٢ ص ٥٥٣ سنة ١٩٠٠م

الباب الرابع :

فيما يضاف وينسب الى القرون الاولى :
احلام عاد — ريح عاد — أحمر ثمود — صاعقة ثمود — اكل لقمان — نخوة فرعون
صرح هامان — كنوز قارون — سد الاسكندر — نوم اصحاب الكهف ...

الباب الخامس :

فيما يضاف وينسب الى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم :—
سيرة العمرين — درة عمر — قميص عثمان — فضائل على — صدق أبى ذر مشية أبى
دجانة — دهاء معاوية — فقه العبادلة — وليمة الأشعث — حلم الاحنف — زهد
الحسن — ورع ابن سيرين ...

الباب السادس :

فى ذكر رجالات العرب فى الجاهلية والاسلام مختلفى الألقاب والمراتب مضافين
الى اشياء مختلفة يضرب بأكثرهم الامثال :—
قريش الاباطح — شيبة الحمد — حاتم طىء — كليب وائل — زيد الخيل —
عراف اليمامة — يسار الكواعب — طفيل العرائس — وضاح اليمن مجنون بنى عامر —
أمين الأمة — حوارى النبى — اشج بنى أمية — جبار بنى العباس .

الباب السابع :

فيما يضاف وينسب الى القبائل :—
ايلاف قريش — تيه بنى مخزوم — لؤم باهلة — رماة بنى ثعل قيافة بنى مدلج — عيافة
بنى لهب — خطباء اياد — ثريدة غسان — مهور كندة .

الباب الثامن :

فيما يضاف وينسب الى رجال مختلفين .
حكمة لقمان — رأى سطيح — جود كعب — بخل مادر — بلاغة قس — عى باقل — حديث
خرافة — مواعيد عرقوب — وفاء السموءل — عدو سليك — نفس عصام جزاء سنمار .
كنز النطف — شؤم طويس — كذب مسيلمة — واو عمرو :

الباب التاسع :

فيما يضاف وينسب الى العرب :

تيجان العرب — اغربة العرب — جمرات العرب — اثافى العرب — نخوة العرب — صناجة العرب — كسرى العرب — كاهل العرب — سابق العرب .

الباب العاشر :

فيما يضاف وينسب الى الاسلام والمسلمين :

سهم الاسلام — قبة الاسلام — بيضة الاسلام . خضاب الاسلام. دعوة الاسلام .... الخ .

الباب الحادى عشر :

فيما يضاف وينسب الى القراء والعلماء :

خويطة شهر — فقه أبى حنيفة — جامع سفيان — عنز الاعمش — طفرة النظام — حاجة أبى الهذيل .

الباب الثانى عشر :

فيما يضاف وينسب الى اصحاب المذاهب والآراء والأهواء :—

ايمان المرجىء — وجه الناصبى — خف الرافضى — نجدة الخارجى — اكل الصوفى — ظرف الزنديق .

الباب الثالث عشر :

فيما يضاف وينسب الى ملوك الجاهلية وخلفاء الاسلام :

سيرة ازدشير — عدل أنوشروان — رمى بهرام — ايوان كسرى — نديما جذيمة — شقائق النعمان — اخلاق الملوك — دين الملوك — داء الملوك — غضب الملوك — ميدان الخلفاء — حسن الأمين — ليلة المتوكل — خلافة ابن المعتز .

الباب الرابع عشر :

فيما يضاف وينسب الى الكتاب والوزراء ومن يجرى مجراهم فى الدولة العباسية :—

بلاغة عبد الحميد — يتيمة ابن المقفع — زمن البرامكة — خط ابن مقلة .. الخ

الباب الخامس عشر :

فيما يضاف وينسب الى طبقات الشعراء :—

حلة امرئ القيس — يوم عبيد — حكم لبيد — حوليات زهير — صحيفة المتلمس — لسان حسان — سيف الفرزدق — بنات نصيب — غزل ابن ابى ربيعة — عين بشار — طبع البحترى — تشبيهات — ابن المعتز .

الباب السادس عشر :

فيما يضاف وينسب الى البلدان والأماكن :—

عزيز مصر — اسقف نجران — ملكا بابل — جنة عبقر — قاضى منى — سحرة الهند — شيخ العراق — لصوص الرى ...

الباب السابع عشر :

فيما يضاف وينسب الى اهل الصناعات :

سرى القين — راية بيطار — راحة صباغ — حمار القصار كلب القصاب — جنون المعلم — كذب الدلال .

الباب الثامن عشر :

فى الاباء والامهات الذين لم يلدوا والبنين والبنات الذين لم يولدوا :—

وقسمه الى اربعة فصول :

الفصل الأول فى الأباء : أبو الضيفان — ابو يحيى ، أبو مره ... الخ

الفصل الثانى فى الأمهات : ام الكتاب — ام القرى — ام المؤمنين .. الخ

الفصل الثالث فى البنين : ابن الليالى — ابن ذكاء — ابن السبيل .. الخ

الفصل الرابع فى البنات : ابنة الجبل — ابنة الكرم — بنت المنية .. الخ

الباب التاسع عشر :

فيما يضاف الى الأذواء والذوات :

ذو الاوتاد ، ذو القرنين — ذو الكفل — ذو النورين — ذو الوزارتين — ذات النحيين

ذات النطاقين - ذات الخمار - ذات الانواط .

الباب العشرون :

في ذكر النساء المضافات والمنسوبات يتمثل بهن :

بنات طارق - بنات نصيب - زرقاء اليمامة - حمالة الحطب - خضراء الدمن - زواني الهند - صواحب يوسف .

الباب الحادي والعشرون :

فيما يضاف وينسب الى النساء :

كيد النساء - نخلة مريم - عرش بلقيس - شؤم البسوس - عطر منشم قوة الزباء يوم حليمة - بكاء الثكلى - ليلة العروس - أصابع زينب .

الباب الثاني والعشرون :

في اعضاء الحيوان وما يضاف وينسب اليها ويستعار منها :-

رأس المال - رأس العصا - وجه النهار - عين الرضا - انف الكرم - فم القنينة - لسان الحال - اسنان المشط - ناب النوائب - اذنا الحائط - جريعاء الذقن - أعناق الرياح - ايدي سبا - أنامل الحساب - أصابع الايتام - ظفر الزمان - كلكل الدهر - صدر الأمر وعجزه - ثمار النحور - ثدي اللؤم - سويداء القلب - كبد السماء - داء البطن - ذكر الخصي - شريان الغمام - حبل الوريد - عرق الخال .

الباب الثالث والعشرون :

في الابل وما يضاف وينسب اليها :-

حمر النعم - يوم الجمل - ركبتا البعير - ناقة صالح - انف الناقة - خبط عشواء - سفن البر .

الباب الرابع والعشرون :

في الخيل والبغال :-

نواصي الخيل - فارسي الابلق - شؤم داحس - فرسا رهان - بغلة ابي دلامة .

الباب الخامس والعشرون :

في الحمير :

حمار العزير — صبر الحمار — ولد الحمار ... الخ

الباب السادس والعشرون :

في البقر والغنم :

بقرة بني اسرائيل — اذناب البقر — عنز الأخفش — ذل العنز ... الخ .

الباب السابع والعشرون :

في الأســـد :

أسد الله — عريسة الأسد — راكب الاسد — فم الأسد ... الخ

الباب الثامن والعشرون :

في الذئب :

ذئب يوسف — ذئب الغضى — لؤم الذئب — نوم الذئب .... الخ

الباب التاسع والعشرون :

في الكلب :

كلب اصحاب الكهف — كلب طسم — مزجر الكلب — حرص الكلب — لؤم الكلب .

الباب الثلاثون :

في سائر السباع والوحوش :

حلب النمر — است النمر — نوم الفهد — مجير ام عامر — حرص الخنزير روغان الثعلب
قبح القرد — صيد ابن آوى — كراع الأرنب — ظباء مكة — جآذر جاسم — عين الظبي .

الباب الحادي والثلاثون :

في السنور والفأر :ـ

سنور عبد الله — فأرة العرم — فأرة المسك — فأرة الابل —

الباب الثاني والثلاثون :

في الضب والظربان والقنفذ والسرطان :
ابهام الضب — عقوق الضب — فسو الظربان — سرى القنفذ — مشية السرطان .

الباب الثالث والثلاثون :

في الحية والعقرب :
حية الوادي — ابنة الجبل — شجاع بطن — ثعابين مصر — خبث العقرب — رقيــة العقرب — دبيب العقرب .

الباب الرابع والثلاثون :

في سائر الحشرات والهوام :
بيت العنكبوت — دودة القز — لجاج الخنفساء — جناح النملة — مثقال ذرة .

الباب الخامس والثلاثون :

في النعام :
بيض النعام — عدو النعام — صحة الظليم .

الباب السادس والثلاثون :

في الطير :
عتاق الطير — بغاث الطير — لبن الطير .

الباب السابع والثلاثون :

في عتاق الطير :
عقاب الجو — عقاب ملاع — شأو العقاب — فرخ العقاب — خوافي العقاب .

الباب الثامن والثلاثون :

في الغراب :
غراب البين — زهو الغراب — صحة الغراب — شيب الغراب بكور الغراب — حــذر الغراب .

الباب التاسع والثلاثون :

في الحمام :

حمامة نوح — حمام الحرم — طوق الحمامة — خرق الحمامة — سجع الحمام — •

الباب الأربعـــون :

في سائر اصناف الطير :

تيك العرش — ديك الجن — سفاد الديك — عين الديك — نسر لقمان — حســن الطاوس — سرق العقعق — صدق القطاة — وعيد الحبارى — هدهد سليمان — غناء العندليب — بيضة الديك — شؤم البوم •

الباب الحادى والاربعون :

في البيض :

بيض الأنوق — بيض النعام — وبيضة البلد — بيضة الديك • بيضة الاسلام •

الباب الثانى والأربعون :

في الذباب والبعوض :

طيش الذباب — جرأة الذباب — طنين الذباب — بق البطائح — مخ البعوض — فراش النار — ابر النحل — خصر زنبور •

الباب الثالث والأربعون :

في الأرض وما يضاف اليها :—

خبايا الأرض — سمع الارض وبصرها — دابة الارض — جنة الارض — اوتاد الارض — أديم الارض — خد الارض — جدرى الارض — بعل الارض •

الباب الرابع والاربعون :

في الدور والأبنية والأمكنة :—

دار الندوة — دار ابى سفيان — حصن تيماء — كعبة نجران — قصر غمدان — اهرام مصر — منارة الاسكندرية — كنيسة الرها — مسجد دمشق — غوطة دمشق — دير هرقل •

الباب الخامس والاربعون :

فيما يضاف وينسب الى البلدان والأماكن من فنون شتى :–
خراج مصر – كتان مصر – قراطيس مصر – تفاح الشام – زيت الشام – عود الهند سيوف الهند – ياقوت سرنديب – برود اليمن – ثياب الروم – عنبر الشحر – سيوف اليمن – سكر الاهواز – وردجور – بسط ارمينية – طين نيسابور – مشمس هراة .

الباب السادس والاربعون :

فيما يضاف الى البلدان وينسب من الاغراض طاعة أهل الشام – طرب الزنج – حمى الأهواز – دماميل الجزيرة – طحال البحرين – حساب الهند – لواط خراسان هواء جرجان –

الباب السابع والاربعون :

فى الجبال والأمكنة :
ثقل احد – ثالثة الاثافى – رشح الحجر – قالب الصخرة .

الباب الثامن والاربعون :

فى المياه وما يضاف اليها :
ماء زمزم – ماء صداء – ماء السماء – ماء عناق – ماء الوجه – ماء النعيم – اديم الماء – نيل مصر .

الباب التاسع والاربعون :

فى النيران :
نار الله – نار ابراهيم – نار موسى – نار القرى – نار الحرب – نار المسافر – نار المجوس – نار الاستمطار – نار الشوق – قبسة العجلان .

الباب الخمسون :

فى الشجر والنبات :
نخلة مريم – سدرة المنتهى – خدود الورد – عيون النرجس – خرط القتاد .

الباب الحادى والخمسون :

فى اللباس والثياب :

برد الشباب — شعار الصالحين — خفاحنين •

الباب الثاني والخمسون :

في الطعام وما يتصل به :

عجالة الراكب — حشو اللوزينج — مواعيد الكمون •

الباب الثالث والخمسون :

في الشراب وما يتصل به ويذكر معه :

برد الشراب — قذارة الكوز — خمر بابل •

الباب الرابع والخمسون :

في السلاح وما يجانسه :

سيف علي — مخراق لاعب — ظل الرمح — ظهر الترس

الباب الخامس والخمسون :

في الحلي ومايشبهها •

قرط مارية — طوق عمرو — درة التاج — واسطة القلادة •

الباب السادس والخمسون :

في الليالي المضافة :ـ

ليلة القدر — ليل المحب — ليلة النابغة — ليلة الغدير — حاطب الليل • ثم يضيف فصلا في ذكر الايام المضافة : يوم البسوس — يوم الفجار — يوم خزازى • • •

الباب السابع والخمسون :

في الازمان والأوقات :

زمن الفطحل — عام الحزن — عام الجحاف — عام الفيل — نسيم السحر — قمر الشتاء فاكهة الشتاء •

الباب الثامن والخمسون :

في الآثار العلوية سوى ماتقدم منها :ـ

قمر المقنع ـ صحبة الفرقدين ـ مناط العيوق ـ سحابة الصيف ـ مر السحاب ـ برق خلب ـ ريق المزن ـ عيث الغيث ـ نسيم الصبا .

الباب التاسع والخمسون :

في الأدب وما يتعلق به :ـ

ادب النفس ـ حرفة الادب ـ بيت القصيدة ـ غذاء الروح ـ سير المثل .

الباب الستون :

في فنون مختلفة الترتيب على توالي حروف الهجاء :ـ

الألف : أنفاس الحبيب ...

الباء : بكاء السرور ...

التاء : تقسيمات اقليدس ...

الثاء : ثقل الدين ...

الجيم : جهد البلاء ...

الحاء : حكم الصبي ...

الخاء : خدعة الصبي ...

الدال : دعوة المظلوم ...

الذال : ذل السؤال ...

الراء : رشاء الحاجة ...

الزاي : زكاة الجاه

السين : سوط عذاب

الشين : شريكا عنان .

الصاد : صحبة السفينة ...

الضاد : ضربة لازب ...

الطاء : طعم الحياة .

الظاء : ظل الموت

العين : عرق القربة

الغين : غفلة الرقيب ...
الفاء : فتنة الرجال ..
القاف : قبور الاحياء ...
الكاف : كيمياء الفرح ...
اللام : لعاب المنية ...
الميم : مفتاح النجاح ...
النون : نور الهموم
الواو : وقار الشيب
الياء : ينبوع الاحزان

الباب الحادي والستون :

في الجنان وهو آخر الابواب :
جنه الدنيا ـ جنة الرجل ـ جنة الفردوس ـ جنة عدن ـ جنة المأوى ـ ظل طوبى ـ باب الجنة ـ كنوز الجنة ـ ريح الجنة .

خامسا : منهج الكتاب :

هكذا بلغت أبواب الكتاب واحدا وستين بابا كما ذكرنا ومنهجه في الكتاب قائم على ذكر اشياء مضافة أو منسوبة الى المعنى الذى يعقد الباب عليه وعلى مايقاربه في المعنى أو يجانسه .

وكما رأينا عند تقسيمه الكتاب الى أبواب يضع عنوان الباب مثلا في المياه ثم يذكر المضاف او المنسوب الى المياه فيقول : ماء زمزم ، ماء عناق ... الخ .

وبعد أن يذكر عددا من هذه الامثلة يبدأ بالاستشهاد فيأتي بالآية والحديث والشعر والمثل . وهذه هي طريقته في تأليف الكتاب

سادسا : مادة الكتاب :

من تقسيم الكتاب نستطيع أن نتعرف على مادة الكتاب التى رصعها بآيات من القرآن الكريم وبا حاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اكثر من الاستشهاد باشعار العرب وامثالهم السائرة مما يجعل هـذا

الكتاب عملا ادبيا وعلميا ضخما بالنسبة لعصره ولعل ذلك مادفع الدكتور زكي مبارك الى المبالغة في تقويم هذا الكتاب حين قال: "ونحن نقول بدون تحفظ ان هذا الكتاب من انفس ماكتب باللغة العربية ." (١)

فالكتاب موسوعة ادبية ولأهميته كثرت مختصراته ومنتخبات منه فقد ذكر حاجي خليفة كتابين هما "نفحة المجلوب من ثمار القلوب" و "جنى المحبوب المنتخب من ثمار القلوب" (٢)

وذكر محرر مادة (الثعالبي) في دائرة المعارف الاسلامية موجزا لثمار القلوب بعنوان "عماد البلاغة" لعبد الرزاق المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ (٣) ومما حمل اكثر النقاد والادباء على أن يعدوه موسوعة ادبية احتواؤه على اشياء كثيرة ومتنوعة مضافة ومنسوبة الى اشياء مختلفة يتمثل بها ويكثر في النظم والنثر وعلى السنة الخاصة والعامة استعمالها كقولهم: غراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف وعصا موسى ، وكقولهم: كنز النطف وقرطا مارية وصحيفة المتلمس ، وكقولهم: تفاح الشام واترج العراق وسكر الاهواز وورد جور — وهكذا افتن الثعالبي في تأليفه فجاء متنوعا جامعا شاملا كما يؤخذ وصف ابوابه من حديث المؤلف نفسه :

" وقد خرجتها في أحد وستين بابا ، ينطق كل منها بذكر مايشتمل عليه اولا ويفصح عن الاستشهاد وسياقة المراد آخرا ، وما منها الا مايتعلق من المثل بسبب ، ويعرض من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الاخبار والانساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والاماكن قدحا ، ويجري في اعاجيب الأحاديث شوطا ." (٤)

---

(١) النثر الفني ٢ : ١٨٣
(٢) كشف الظنون ٥٢٣
(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧
(٤) ثمار القلوب/ مقدمة المؤلف ٤ ، ٥

أما لغته في هذا الكتاب فهي تمتاز عن لغته في سائر كتبه بالخلو من السجع ولعله كان مشغولا بجمع المعلومات والاخبار والفكاهات والاقاصيص التي استقاها من كتب السابقين واودعها بطن هذا الكتاب.

والكتاب يرينا فهم العرب لكثير من الطباع الانسانية والحيوانية : من ذلك "عرق الخال : العرب تقول : عرق الخال لاينام : قال الجاحظ : زعم كثير من العلماء أن عرق الخال أنزع من عرق العم . قالوا : والدليل على أن نصيب الامهات في الأولاد اكثر وأنها على الشبه أغلب وأن اكثر ماتلد الامهات الاناث ، وكذلك الناس وجميع الحيوانات ، فاذا أردت أن تعرف حق ذلك من باطله ، فاحص سكان عشر دور من يمينك ، وعشر من شمالك ، وعشر من خلفك ، وعشر من أمامك ، فانظر أيهما اكثر ، رجالهم أو نساؤهم ؟ واعتبر ذلك في الابل والبقر والشياه ... والأم والخال عند العرب انزع وأشد جذبا للولد ، لأن الام والأب قد يستويان في وجوه ، ثم تفضل الام الأب في وجوه بعد ذلك لأن الولد ليس يخلق من ماء الأب دون ماء الأم ، قال تعالى "خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب " والأب انما يقذف مثل المخطة أو البصقة ثم يعتزل أو يغيب أو يموت أو يكون حاضرا والأم منها الرحم ، وهو القالب الذي ينطبع عليه الولد ، وتفرغ فيه النطفة كما يفرغ الرصاص المذاب في القالب ، فاذا وقع ماء الرجل وماء المرأة في القالب وفي قرار الرحم فامتزجا تشعب خلق الولد على قدر تشعب الرحم ، ثم لا يغتذي الا من دم الأم ، ولا يمتص الا من قواها ، ولا يجذب الا من الاجزاء التي فيها لطائف الأغذية ، وله ذلك مادام في جوفها ، فاذا ظهر غذته بلبنها ، ولا يشك الأطباء أن اللبن دم استحال عند خروجه ، فهي تغذوه بدمها مرتين ، وتزيد في خلقه من اجزائها دفعتين ، ولذلك صار حب النساء للأولاد اشد من حب الرجال "ويسوق الأدلة على ذلك من اشعار العرب منها : انشد الاصمعي لبعض الشعراء :

سرى عرقه في القوم حتى أصابهم * وللخال عرق لا ينام ولا يكد .(١)

وقد فسر الثعالبي المثل القائل " ماء عناق " في الباب الثامن والاربعين من هذا الكتاب :— " وهو مثل يضرب للداهية وللأمر الملتبس ، وكان من حديثه أن رجلا بينا هو يسقي وبيته تلقاء وجهه ، اذ نظر فاذا برجل قد عانق امرأته يقبلها ، فأخذ

---

(١) ثمار القلوب ٣٤٣ ر٣٤٤ ر٣٤٥

العصا وأقبل مسرعا ، فلما رأته المرأة اخفت الرجل فيما بين النضد ، فنظر يمنة ويسره فلم ير شيئا ، فنظر فى الارض فلم يبصر أحدا ، فكذب بصره وكرراجعا ، فلما كان الورد الثانى قالت المرأة : هل لك فى أن اكفيك السقى وتتورع اليوم؟ قال : نعم ان شئت ، فأقام فى البيت وانطلقت تسعى وتحينت منه غفلة ، فأخذت العصا واقبلت حتى علت بها رأسه ، فقال : ويلك وما دهاك : قالت: أين المرأة التى رأيتك معها معانقا لها ؟ فقال : والله ماكانت عندى امرأة ، قالت: بل أنا نظرت اليها بعينى وأنا على الماء ، فتحالفا ، فلما اكثرت قال : ان تكونى صادقة فان ماءكم هذا ماء عناق ، فصار مثلا يضرب فى الدواهى »(١)

ومن تعليل الثعالبى للمثل العربى القائل "عرق الخال لا ينام " الذى أوردت قصته من ثمار القلوب يدلنا على دقة الملاحظة عند العرب وقد تغنى الشعراء فى الجاهلية وفى صدر الاسلام بفضل الخال كما شاهدنا من الاشعار التى اختارها الثعالبى لهذه المناسبة وأحسن اختيارها .

وكذلك الرواية التى ساقها الثعالبى لتفسير " ماء عناق " من جملة الفكاهات التى اخترعها الكتاب تفسيرا للأمثال .

وهذه الفكاهات والطرف والاقاصيص التى أودعها كتابه هذا كانت من الكثرة الى حد ان جعلت الدكتور زكى مبارك يقول : " فليس كل مافى الكتاب حقائق ثابتة ، وانما هو مجموعة من الحقائق والأكاذيب التى قبلها معاصروه ، وعدوها من العلم الصحيح ، فمن اغلاطه الكلام عن ثعابين مصر اذا رتضى قول الجاحظ: " الثعابين لا تكون الا بمصر وانها حول الله تعالى عصا موسى عليه الصلاة والسلام . " (٢)

مراجع الثعالبى فى تأليفه " ثمار القلوب " :

أولها : الينبوع الذى لا ينضب من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

والثانى : الشعر العربى وخاصة فى حديثه عن الأبل والخيل والبغال والحمير والكلب والأسد وغيرها من الحيوانات .

فالعرب تحدثوا عن الابل فى شعرهم وأطالوا الكلام وتحدثوا فى نعتها فلم يتركوا عضوا من اعضائها ، وكان لهم فى الخيل نعت مفصل ، وذكروا من الطيور

---

(١) ثمار القلوب ٥٦٢ لا ٥٦٣ (٢) النثر الفنى

والنسور والعقبان والرخم والقطا مالا يحصى نعته .

فالثعالبي عندما يذكر مايضاف الى الله عز وجل أو الى مخلوقاته يستشهد على ذلك بآيات قرآنية أو بأحاديث شريفة ويكثر من اختياراته من اشعار العرب التي تفسر الأمثال .

ومن هنا نرى مقدار صدق ماذهب اليه الدكتور زكي مبارك عندما قال : " لا أحد يستطيع أن يقدر خسارة الأدب العربي لوفقدنا كتاب يتيمة الدهر أو ثمار القلوب " (١)

ومن دراستي لكتاب ثمار القلوب لمست مابذله الثعالبي من جهد وعناء عند تأليفه وما كان يتطلبه من وعى وحفظ لأمثال العرب واشعارهم وآيات القرآن الكريم والاحاديث الشريفة :

كما يجب أن لا ننسى اعتماده على اقوال الجاحظ في كتابه (الحيوان) .

آراء النقاد في كتاب ثمار القلوب :

لعل أول مايطالعنا من اطراء هذا الكتاب هو قول الدكتور زكي مبارك : " ونحن نقول بدون تحفظ أن هذا الكتاب من أنفس ماكتب باللغة العربية " (٢)

وقد ذكرنا قوله بأنه لا يستطيع أن يقدر خسارة الادب العربي لو فقد ثمار القلوب من المكتبة العربية .

أما محقق الكتاب الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم فيقول : " وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، من الكتب التي اتسمت بجمال التأليف وتنسيق الأبواب مع شرف الغاية وكرم المقصد . " (٣) ثم يقول : " وقد افتن الثعالبي في تصنيفه ، وجرى على سجيته في كتابة أبوابه وفصوله ، وأودعه من الطرف والنوادر والملح والأفاكية والأقاصيص ومضاحك الشعر ماجعله مراد النفس وجلاء القلب ومتعة الخاطر ، وقد شارك الثعالبي في تأليف هذا النوع بعض العلماء والمصنفين : منهم ابن الأثير في كتاب " المرصع " وقد قصر على الأنواء والأباء والبنين والبنات والمحبى ، وفي كتاب " مايعول عليه فيما يضاف وينسب اليه " وقد سار فيه سيرا معجميا ، واخلاه من

---

(١) النثر الفني ٢ : ١٧٩ (٢) النثر الفني ٢ : ١٨٣

(٣) ثمار القلوب / مقدمة المحقق ص ٨

الأخبار والقصص، واختصر فيه الشواهد ، كما وقعت منه بعض فصول لأبى هـــلال العسكرى فى كتاب" جمهرة الامثال " ، والميدانى فى كتاب" مجمع الأمثال " وابن سيدة فى كتاب المخصص، الا ان كتاب الثعالبى أحسنها فصولا وأبوابا ،وأسهلهـــا شريعة ، واعذبها موردا ، واجمعها لصنوف الآداب وروائع الأخبار ، ومتنخل الاشعار وسوائر الامثال . "(١)

ومجمل القول ان الثعالبى كان حريصا على اخراج كتابه فى أحسن صورة جامعة لمختلف الأمثال والقصص والنوادر والطرف التى لا يستغنى عنها اديب أو كاتب ،ولقد كان مع ذلك متواضعا فى تقديمه لهذا الكتاب حيث يقول :

" وان كنت فى ذلك كمهدى العود الى الهنود ، وناقل المسك الى أرض الترك ، وجالب العنبر الى البحر الأخضر . "(٢)

* * *

---

(١) ثمار القلوب — مقدمة المحقق

(٢) المصدر نفسه — مقدمة المؤلف ص٣

:: الفصل السادس ::

" كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر "

...

أخرت الحديث عن هذا الكتاب الذي اشتهر به الثعالبي ، حتى انه لا يذكر الا مقترنا به .

ولكنني قصدت الى ذلك قصدا . ذلك أن هذا الكتاب أجمع وأشمل وأظهر مؤلفات الثعالبي ، وهو لذلك يحتاج الى أن أفرغ له ، وأن اطيل الحديث عنه بعد أن اكون قد افرغت ذهني من الحديث عن أشهر كتبه الأخرى .

على أنني اقتدى في ذلك بالثعالبي نفسه عندما كان يذكر البلغاء والفصحاء من الكتاب ويؤخر ذكر صاحبه وأميره وولي نعمته الأمير الميكالي ، كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد ، ومتمثلا بقول الشاعر :

وكذاك قد ساد النبي محمد * كل الأنام وكان آخر مرسل

وعند تقديمه كتاب (خاص الخاص) للشيخ السيد ابي الحسن مسافر بن الحسن أخر ذكر شعره عندما ذكر عجائب الشعر والشعراء ، فقال : " أخرت ذكر شعره كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد . "(١) ويتيمة الدهر تستحق منا دراسة وافية شاملة دقيقة مستأنية ، وقد نظلمها عندما نكتب عنها فصلا من باب ، بل حرى بنا أن نكتب عنها رسالة برأسها .

تسمية الكتاب : ذكره الثعالبي في عدد من كتبه (٢) بهذا الاسم ولم يغير فيه أحد من القدماء والمحدثين أو يخالف في هذه التسمية ، وقد غلبت اليتيمة على مؤلفات الثعالبي حتى اشتهر بها فقيل وما يزال يقال : (صاحب اليتيمة) . بل ان ياقوت الحموي يقول : " قال الثعالبي في كتابه " (٣) يقصد اليتيمة .

مخطوطات الكتاب: منه نسخ خطية في اكثر مكتبات اوربا . وذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٤) " تعددت نسخ هذا الديوان ، شأنه في ذلك شأن

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ص٢٢٨

(٢) سحر البلاغة ٣ ، ثمار القلوب ٧٤ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٦٤

(٣) معجم الادباء ١ : ٢٢٥ ، ٢ : ٩٦ (٤) ٦ : ١٩٤

معظم الكتب التي من نوعه ،ويتضح لنا هذا من قول ياقوت في (ارشاد الاريب حـ ٢ ص ٣٢٠) أنه قرأ القصة الواردة في نسخة دمشق (حـ ٣ ص ٣٣) بالقاهرة في نسخة اعطاها الى ياقوت ابن احمد بن محمد ولم ترد هذه القصة في النسخ المعروفة ، وذكر (برتشي) و (بروكلمان) مخطوطات باريس وكمبروج ، والمخطوط الذي في حوزة نيكلسون ، والمختصر الذي لا يعرف صاحبه ، الموجود في المتحف البريطاني .

طبعاته :

طبع في دمشق سنة ١٣٠٤ هـ بأربعة اجزاء غير مفهرسة ، وصدر في كلكتا فهرس شامل للأشخاص والأماكن والكتب والاشعار لهذه الطبعة ، جمعه أبو موسى احمد الحق سنة ١٩١٥م .

وطبع الكتاب عدة مرات في القاهرة منها طبعة أولى سنة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ثم طبعة ثانية في مطبعة السعادة سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦ م وطبعة ثالثة في دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م .

وهي طبعات مناسبة يقع كل منها في أربعة اجزاء ولكنها " تفتقر الى مزيد من الجهد في ضبط النصوص وشرحها والتعليق عليها ، وفي فهرسة الكتاب فهرسة علمية جيدة تتناسب مع قيمته . " (١)

سبب تأليفه :

لقد رأى الثعالبي أن المصنفين الذين سبقوه كانوا يعنون بالقدماء قبل سواهم ، ولم يجد كتابا يضم محاسن أهل العصر ، فتصدى لهذا العمل الجليل ، وذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمئة للهجرة ، والعمر في اقباله ، والشباب بمائة ، وكان حينذاك لم يتجاوز عمره الرابعة والثلاثين .

ولنسمعه يقص علينا ذلك في مقدمة كتابه ذاكرا الاسباب التي حملته على تأليف اليتيمة ، والمراحل التي مر بها كتابه هذا ، حيث يقول :

" وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب

---

(١) مصادر التراث العربي ١٦٠

فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن الا نبو العين من اخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في اقباله ، والشباب بمائة " (١) فكان كتابه هذا انصافا لأهل عصره لأن اشعارهم أجمع لنوادر المحاسن وانظم للطائف البدائع من اشعار من سبقوهم يقول " وكانت اشعار المصريين اجمع لنوادر المحاسن وانظم للطائف البدائع من اشعار سائر المذكورين لانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها اقصى نهايات الجودة والظرف تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، ومن حد الشعر الى السحر " (٢) ثم نراه يبين لنا المراحل التي مر بها كتابه بأن اعاد فيه النظر فزاد في النسخة الأولى ونقص منها وغير ترقيمها وتبويبها وذلك بعد أن تقدمت به السن . حيث يقول : " وحين اعرته على الايام بصري ، واعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ماقرأته في بعض الكتب : أن أول مايبدو من ضعف ابن آدم انه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة الا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟ " (٣) ويتساءل : لم لا أبلغ به المبلغ الذى يستحق حسن الاحماد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، " فجعلت ابنيه وانقضه وازيده وانقصه وامحوه واثبته وانتسخه ثم انسخه .. الى أن ادركت عصر السن والحنكة فاختلست لمعة من ظلمة الدهر وانتهزت رقدة من عين الزمان وخفة من زحمة الشوائب واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة .. بعد أن غيرت ترتيبها وجددت تبويبها وأعدت ترصيفها واحكمت تأليفها " (٤)

وهكذا نجد أنه أعاد تأليف النسخة الثانية سنة ثلاث واربعمائة بجرجان (٥) . أما عباس اقبال فيقول : " أن النسخة الثانية من كتاب اليتيمة قد كتبت في الجرجانية ، واهديت لخوارزم شاه (٦) .

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٤ مقدمة المؤلف — (٢) المصدر السابق ٤ مقدمة المؤلف
(٣) المصدر السابق ٥ " " — (٤) " " ٥-٦ " "
(٥) صرح بذلك في تتمة اليتيمة ١ : ١٤٥ — (٦) تتمة اليتيمة ١ : ٥ مقدمة (الفارسية)

تقسيم الكتاب :

قسمه المؤلف اربعة اقسام يشتمل كل قسم منها على ابواب وفصول .

القسم الأول : في محاسن اشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من اهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من اخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وانشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، ونصوص من فصول المترسلين فيهم .

القسم الثالث : في محاسن اشعار اهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان واصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها وما ينضاف اليها من اخبارهم وغرر الفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن اشعار أهل خراسان وما وراء النهر من انشاء الدولة السامانية والغزنوية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من اخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها :

وكل قسم موزع على عشرة أبواب متأثرا بطبقات الشعراء لابن سلام من حيث التقسيم الشكلي .

هذا وقد خص شعراء الشام وما يجاورها بالقسم الأول وهو اكبر الأقسام وفضلهم على غيرهم وقد ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الثاني (الثعالبي في ميزان النقد) سبب تفضيله هذا .

وقد قطع على نفسه عهدا أن لا يورد في كتابه هذا الا " لب اللب وحبة القلب وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص " (١)

لذلك نجده يطيل الحديث عن أعم الشعراء والكتاب ، فقد بلغت كتابته عن المتنبي ١١٥ صفحة ، وعن الصاحب بن عباد ٩٨ صفحة ، وعن أبي اسحق الصابي

---

(١) اليتيمة ١ : ٧ خطبة الثعالبي

٧١ صفحة ، وعن ابن الحجاج ٦٩ صفحة ، وعن السرى الرفاء ٦٦ صفحة ،وعن أبى فراس ٥٤ صفحة ، وعن ابى بكر الخوارزمى ٤٨ صفحة ، وعن بديع الزمان الهمذانى ٤٧ صفحة وعن كل من ابى الحسن السلامى وأبى الفرج الببغاء ٣٥ صفحة ، وعن أبى الفتح البستى ٣١ صفحة ، وكذلك عن أبى طالب المأمونى ٣١ صفحة ،وعن كل من أبى الفضل الميكالى وابن وكيع التنيسى ٢٨ صفحة ، وعن كل من ابن العميد وابن سكرة ٢٧ صفحة وعن كل من الخالديين وابى الرقعمق وأحمد بن محمد بن عبد ربه ٢٥ صفحة ، وعن القاضى الجرجانى ٢٤ صفحة ، وعن الشريف الرضى ٢٣ صفحة ، وعند أبى دلف الخزرجى ٢٢ صفحة وعن ابى القاسم الواسانى ٢١ صفحة ، وعن سيف الدولة ٢٠ صفحة ، وعن المهلبى الوزير ١٨ صفحة ، وعن ابن نباته السعدى ١٦ صفحة وعن كل من شمس المعالى قابوس وابى عامر ابن شهيد ١٥ صفحة .

أما مابقى منهم فقد كان يكتفى بتراجم قليلة عنهم ، وأحيانا كان يورد لبعضهم البيتين ،ومن هؤلاء شعراء أوساط أو مغمورون لولا اليتيمة لما عرفنا عنهم شيئا .

يقول الدكتور امجد الطرابلسى : " وتختلف تراجم اليتيمة فيما بينها طولا وقصرا ، فهناك تراجم غنية ومطولة لعدد من كبار شعراء القرن الرابع وادبائه المرموقين كأبى فراس الحمدانى وأبى الفرج الببغاء والسرى والرفاء وابى اسحق الصابى وابن الحجاج وابن الميكالى وغيرهم ، بل ان بعض تراجم الكتاب تكاد تبلغ احيانا مئة صفحة كما هى الحال مثلا فى ترجمة المتنبى والصاحب بن عباد ، والى جانب هذه التراجم المطولة الخصبة تراجم قصيرة لاتتجاوز الصفحة الواحدة أو الصفحات القليلة . "

ويرى الدكتور الطرابلسى ان قيمة اليتيمة ليست فى التراجم المطولة ، وانما فى مئات التراجم القصيرة التى تنطوى عليها لاولئك الشعراء الاوساط أو المغمورين الذين عاشوا فى القرن الهجرى الرابع فى مختلف بقاع العالم الاسلامى الفسيح .

فلولا اليتيمة لفقدت معظم اخبار هؤلاء وآثارهم ، " ولما عرفنا عن كثير منهم شيئا يذكر . " (١)

أما الدكتور زكى مبارك فيقول : " وفى بعض الاحيان يطيل فى ترجمة الشعراء والكتاب ولا يفعل ذلك الا حين يعرض لمن كثر خصومهم وانصارهم وتشعبت فيهم

---

(١) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١ : ١٦٦

الأقاويل كالمتنبى والصاحب وأبى فراس • وفيما عدا ذلك يلم الماما خفيفا ، قد يصل به الى ترجمة كاتب أو شاعر فى نصف صفحة ،وذلك جانب من الضعف فى ذلك الكتاب النفيس • " (١)

ولكن يكفى فى الرد على الدكتور زكى مبارك ان الثعالبى أزاح الغبار وكشف النقاب عن هؤلاء المغمورين ،فعرف الناس بهم ولفت الانظار اليهم •

وربما كان هذا الالمام القصير بتراجمهم راجعا الى أنه لم يكن ليكتب شيئا دون أن يتحقق مما يكتبه ، فقد اعتمد فى كثير من تراجمه على مشافهة من يتراجم لهم ، فان تعذر ذلك اعتمد على رواة شافهوا الشعراء والكتاب ، فان تعذر هذا ايضا لجأ الى دواوين الشعراء يختار منها مايكتبه فى اليتيمة •

وبما أن اغلبهم من الشعراء والكتاب المغمورين فقد اجاد وابدع وكلف نفسه مشقة التأليف عندما ترجم لبعضهم فى نصف صفحة •

وهكذا جاءت اليتيمة مرآة العصر الذى عاش فيه الثعالبى ، ومثالا من أدب أهله فاشتملت على أخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة •

وتختلف تراجمها عن تراجم الكتب الأخرى بكثرة الاشعار المختارة فيها ،وطغيانها على اخبار الشعراء وتفاصيل حياتهم ، حتى ليمكن اعتبار هذا الكتاب سجلا لاشعار القرن الرابع لا كتابا فى تراجم شعرائه •

" وتأليف هذا الكتاب الضخم فى ذلك العصر ، ان دل على شيء ، فعلى اهتمام الاوساط الأدبية آنذاك بالشعر المحدث والشعر المعاصر " (٢)

وعندما ذكر حنا ماخورى أشهر من عنوا بتراجم الشعراء ذكر الثعالبى وأبا الفرج الاصبهانى حيث قال: " ومن أشهر من عنوا بتراجم الشعراء أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الأغانى وابو منصور الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر فى شعراء اهل العصر " (٣)

وقد ذكرنا أن كتاب اليتيمة مرآة العصر ورأينا أن ظاهرة المجون قد طغت على المجتمعات آنذاك وبخاصة على المجتمع البويهى فكان هذا الكتاب هو خير الكتب الادبية التى احتفظت بهذا النوع من الادب الذى يصور الحياة الماجنة • وعندما

---

(١) النثر الفنى ٢ : ١٨٨ (٢) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١ : ١٦٢

(٣) تاريخ الادب العربى ٧٥١

يتكلم الدكتور الغناوى الزهيرى عن ظاهرة المجون التى طفت على المجتمع البويهى يقول : " هذه الظاهرة الاجتماعية العامة قد انعكست صورتها فى الحياة الأدبية انعكاسا تاما فلونت الادب بلون ماجن خليع لم يشهده من قبل ولا من بعد ، وربما كان كتاب اليتيمة لأبى منصور الثعالبى هو خير الكتب الادبية التى احتفظت لنا بهذا النوع من الادب الذى رسم ظلال الحياة الماجنة فى عهد بنى بويه وذلك لأن المؤلف قد أكثر فى كتابه من ايراد الشواهد التى تصور الجانب اللاهى من حياة الناس عموما وحياة الادباء خصوصا .

فهو حين يترجم لشعرائه وكتابه يعنى كثيرا بأخبار لهوهم ومجونهم وتطرفهم مستشهدا على ذلك بالشعر والنثر " (١)

هذا وقد صور لنا هذا الكتاب الحياة الاجتماعية بنواحيها المختلفة بتضمينه مجموعة من الشعراء المختلفى المشارب والأهواء ، فمنهم الصنوبرى الحلبى الذى مثل الترف والنعيم والعيش الرغد ، يقابله الشاعر ابن لنكك الذى كان يصور البؤس والفقر وعبث الاقدار ، وقد قال الثعالبى فيه : " كانت حرفة الأدب تمسه وتخمشه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ودهره يضعه " (٢) والمتنبى كان يصور الاحداث فى المعارك التى كانت تقع بين الحمدانيين والروم ، وقد أورد الثعالبى لابن حجاج وابن سكرة شعرا يصور حالة العصر فى مجونة وهزله وفساده وأدبه المكشوف .

ومن هنا ندرك أن الثعالبى على الرغم من عنايته البالغة بتسجيل مظاهر اللهو والمجون لم يغفل مظاهر الحياة الاخرى . ولهذا فقد بالغ الدكتور غناوى الزهيرى حينما قال " فهو — يعنى الثعالبى — حين يترجم لشعرائه وكتابه يعنى كثيرا بأخبار لهوهم ومجونهم وتطرفهم مستشهدا على ذلك بالشعر والنثر ، وقد يطغى عليه هذا الاتجاه حتى نراه لا يذكر من القصيدة أو القصائد التى كانت تقال فى المدح أو فى التهنئة أو فى غيرهما من الاغراض الا الابيات التى تصور عبث الممدوح وتهتكه مكررا هذا الصنيع فى غير موضع من الكتاب . " (٣)

ولعل مارآه الثعالبى من ميل أهل العصر الى اللهو والمجون بصفة عامة يشفع له

---

(١) الأدب فى ظل بنى بويه ٢٥٢، ٢٥٣ (٢) يتيمة الدهر
(٣) الادب فى ظل بنى بويه ٢٥٢، ٢٥٣

في هذه العناية الفائقة بجانب اللهو والمجون ، وبخاصة عند ترجمته لابن حجاج وابن سكرة اللذين استغرقت ترجمتهما ٩٦ صفحة من صفحات هذا الكتاب. ويؤكد هذا القول الدكتور غناوى الزهيرى حين قال : "ويبدو لي ان الثعالبي كان يتعمد هذا الأمر تعمدا ارضاء لذوق العصر ومجاراة لميول أهله الذين كانوا يستسيغون هذا النوع من الأدب ، ويفضلونه على ماسواه ، ودليلي على ذلك ماكان من عنايته الشديدة بشعر ابن الحجاج وابن سكرة ، واكثاره من رواية هذا الشعر على فحشه واقذاعه ، بحيث استوعبت الشواهد التي اختارها منه اكثر من سبعين صفحة من صفحات الكتاب . " (١)

فضلا عما عن تنوع اختيار الثعالبي للاشعار التي تمثل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية في عصره لا يعني أننا ندفع عنه ماجاء في كتابه هذا من انماط فاحشة وبخاصة عند ذكره للغزل بالغلمان ، "ففي يتيمة الدهر للثعالبي انماط فاحشة من هذا الغزل يقف عن تسطيرها القلم " (٢)

ومجمل القول ان المتصفح لكتاب يتيمة الدهر يخرج بصورة حية كاملة للحياة الأدبية عامة ، والشعرية خاصة ، خلال المئة الرابعة ، ومثل هذه الصورة نكاد نفتقدها في العصور السابقة ، " ذلك ان المصنفين قبل الثعالبي كانوا في الغالب يعنون بالقدماء اكثر من معاصريهم ، ولا بد لتثبيت صورة الحياة الادبية في عصر من العصور من أن ينهض بصنعها أحد ابنائه ، قبل ان يأكل النسيان جوانب ذلك العصر ويغطي بصدئه على كثير من ملامح الحياة فيه . " (٣)

لقد بذل الثعالبي قصارى جهده في تقصي الظواهر الادبية ودراسة الدواعي والمسببات والربط بين هذا وذاك ، ليخرج بمنهج متكامل يضعه قيد التطبيق في كتابه هذا وينال الكتاب من القبول في حياة صاحبه وبعد وفاته مايجعله رائد المؤلفين في تاريخ الأدب والنقد الأدبي . وقد لاقت طريقة الثعالبي التي اقتصرت على دراسة المحدثين والعصريين من الشعراء قبولا لدى عدد من الادباء والمصنفين الذين جاءوا بعده ، لأن المنهج الذي بنى عليه اليتيمة يدل على موقفه من أثر الزمان في

---

(١) المصدر نفسه ص٢٥٣ (٢) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ٢٠

(٣) نظرة تاريخية في حركة التأليف ١٦٦

الشعر . فحاول الادباء أن ينسجوا على منواله ،فكان لنا من جراء ذلك عدد من المصنفات تؤلف وكتاب اليتيمة سلسلة متتابعة الحلقات.

وقد ذكر ابن خلكان ان اليتيمة ذيل على كتاب" البارع " لهارون بن على المنجم [1] وتابعه حاجي خليفه [2] الذى ذكر ذيولا للبارع ويمكننا عدها ذيولا لليتيمة : وتابعه ايضا طاش كبرى زادة حين عد كتاب(البارع) الأصل الذى نسجوا على منواله وقال " من التواريخ (كتاب البارع) لأبى عبد الله هارون بن على بن يحيى بن منصور المنجم البغدادى الأديب الفاضل . كان حافظا ، رواية للاشعار ، حسن المنادمة ، لطيف المجالسة ، صنف كتاب البارع فى اخبار الشعراء المولدين ، وجمع ١٦١ شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد وختم بمحمد بن عبد الملك بن صالح وهو من الكتب النفيسة ،فانه يغني عن دواوين الجماعة الذين مر ذكرهم ،فانه فحص اشعارهم ، واثبت منها زبدتها وترك زبدها ،وهذا الكتاب اصل نسجوا على منواله" [3]

ومن المحدثين الاستاذ مصطفى صادق الرافعى حين قال : " وأما كتب التراجم التى تجمع بين التاريخ والخبر وبعض المختارات ، فهى ما زالت تتصل مع الزمان ،لم تنقطع الا فى القرن الثالث عشر وأول ماوضع منها كتاب البارع فى اخبار الشعراء المولدين لهرون بن على المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ جمع فيه ١٦١ شاعرا ، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح . وهذا الكتاب هو الأصل الذى احتذاه من جاء بعده ،فذيل عليه ابو منصور الثعالبى سنة ٤٢٩هـ بكتابه يتيمة الدهر الشهير — ويذكر الرافعى الذين صنفوا ذيولا لليتيمة وهم الباخرزي وابو الحسن بن زيد البيهى والوراق الخضيرى وعماد الدين الكاتب الاصفهانى وياقوت الحموى فى كتابيه معجم الشعراء ومعجم الادباء ثم ابن خلكان فى وفيات الاعيان والكتبى فى فوات الوفيات ثم صلاح الدين الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات " [4]

أما الدكتور مصطفى الشكعة فقد وضع كتاب(البارع) على رأس قائمة كتب طبقات الشعراء ورتبهم حسب التدرج الزمنى والموضوعى [5] :

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ١٩٤   (٢) كشف الظنون ٢٠٩٤

(٣) مفتاح السعادة ١ : ٢٦١، ٢٦٢   (٤) تاريخ اداب العرب ٣ : ٣٦١، ٣٦٢

(٥) مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب) ص ٤٤٥

١ـ هارون المنجم	(البارع)
٢ـ ابن المعتز	(طبقات الشعراء)
٣ـ ابن الجراح	(الورقة)
٤ـ الثعالبى	(يتيمة الدهر)
٥ـ الباخرزى	(دمية القصر)
٦ـ الحظيرى	(زينة العصر)
٧ـ العماد الاصفهانى	(خريدة القصر)
٨ـ الخفاجى	(ريحانة الألبا)
٩ـ المحبى	(نفخة الريحانة)
١٠ـ ابن معصوم	(سلافة العصر)

ولكن الدكتور امجد الطرابلسى يذكر أن ابن المعتز أسبق الادباء الى العناية بالشعراء المحدثين والمعاصرين فيقول : " لا يفوتنا هنا أن نذكر أن الثعالبى لم يكن اسبق المصنفين الى الاهتمام بالشعراء المحدثين والمعاصرين • ولعل ابن المعتز اسبق الادباء الى العناية بهم حين الف كتابه (طبقات الشعراء المحدثين) فى اواخر القرن الهجرى الثالث " (١) ان ماذكره ابن خلكان والذين تابعوه من أن اليتيمة ذيل على كتاب البارع يعتمد على اهتمامهما (البارع واليتيمه) بتراجم المحدثين " ولكن اليتيمة خالفت البارع فى المنهج ، اذ أنها أول كتاب تراجم قائم على التقسيم البيئى ، ولهذا يصح ان نعدها اصلا ، ونعد الكتب التى عدها حاجى خليفه ذيولا للبارع ذيولا لليتيمة نفسها • " (٢)

وهكذا يمكننا أن نضع قائمة بالكتب التى جاءت بعد اليتيمة وهى فعلا ذيول عليها :

أولا : تتمة اليتيمة : لمؤلف الكتاب نفسه كتبه بعد اليتيمة بما يقرب من عشرين عاما • وقد مر ذكره ضمن مؤلفات الثعالبى العامة •

ثانيا : دمية القصر وعصرة اهل العصر : لأبى الحسن الباخرزى تلميذ الثعالبى والباخرزى (نسبة الى باخرز ناحية من نواحي نيسابور): أحد الشعراء الادباء

(١) نظرة تاريخية فى حركة التأليف •• ١٦٢:١ و١٦٣ (٢) الثعالبى ناقدا واديبا ٩٥

في القرن الهجري الخامس قتل سنة ٤٦٧ هـ في مجلس أنس وكتابه هـــذا يحتوي على تراجم عدد كبير من شعراء أواخر القرن الرابع واوائل القـــرن الخامس وقد نشرت الدمية في حلب سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٣٠ م بتحقيق محمد راغب الطباخ ، والكتاب مقسم الى أقسام بحسب اقاليم الممالك الاسلاميـــة على طريقة تشبه طريقة الثعالبي الى حد كبير .

ثالثا : وشاح الدمية :

لأبي الحسن علي بن زيد البهي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

رابعا : زينة الدهر في لطائف شعراء العصر :

لأبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الخطيري البغدادي . المعروف بالوراق (دلال الكتب) وكان هذا اديبا وشاعرا رقيق الشعر توفي سنة ٥٦٨ هـ جمع فيه كثيرا من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لكل واحد منهم طرفا من أحواله وشيئا من شعره .

خامسا : خريدة القصر وجريدة العصر :

لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصبهاني كاتـــب صلاح الدين الايوبي ، مؤرخ وأديب وشاعر معروف ولد في اصبهان سنـــة ٥١٩ هـ وتوفي في دمشق سنة ٥٩٧ هـ وكان كتابه المشهور (الخريـــدة) مخطوطا الى أن قريب وفي عام ١٩٥٢ م طبع القسم المتعلق منه بشعراء مصر في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في جزأين ، وأشرف علـى نشر هذا القسم الاساتذة احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس .

ويقوم الآن المجمع العلمي العربي بدمشق بنشر القسم المتعلق منـــه بشعراء الشام باشراف الدكتور شكري فيصل .

ويبدو أن العماد نفسه ذيل الخريدة بكتابه (السيل على الذيل) .

سادسا : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

لأبي الحسن بن بسام الشنتريني الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ جعله

ذيلا ليتيمة الدهر.

سابعا : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا :

للقاضي أبي العباس احمد بن محمد الملقب بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩، وقد اختار في كتابه لشعراء الشام ومصر والمغرب وجزيرة العرب .

ثامنا : نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة :

للمحبي صاحب خلاصة الأثر المتوفى سنة ١١١١ ذلك أنه نظر في الريحانة فوجد بعض النقص وبعض الاغفال ، فذيلها بالنفحة .

تاسعا : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر : لعلي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم وقد أخذ على الخفاجي اهماله جماعة من مجيدي الشعراء ومفيدي البلغاء والتمس له العذر ببعد ديارهم عن ديارهم وان الليالي لم تأته بأسمائهم ، واستدرك عليه مافاته بتأليف (السلافة) وسلك فيها سبيل يتيمة الدهر ودمية القصر وغيرهما من الكتب المقصورة على هذا الغرض.

لقد صرح بعض مؤلفي هذه الكتب بانهم نسجوا على منوال يتيمة الدهر منهم الباخرزي (١) وابن بسام (٢) والعماد الاصبهاني (٣) ، فلو كانت كتبهم ذيولا للبارع لأشاروا الى ذلك.

ومن قال بأن اليتيمة ذيل للبارع بنى قوله على التشابه بينهما بدراسة المحدثين وذلك لا يعد دليلا قاطعا على حكمهم . " والا وجب أن نعد البارع ذيلا على كتاب " الروضة " للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، ووجب أن نضيف (طبقات) الشعراء المحدثين " لابن المعتز المقتول سنة ٢٩٦ هـ الى قائمة الذيول . " (٤)

هذا وقد لمس الثعالبي معالم الابتكار في كتابه ورأى الركبان تسير به الى اقاصي البلدان فتحدث عنه مفتخرا فقال : " وأنا لا أحب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين يتداولون حتى يصير من أنفس ماتشح عليه أنفس ادباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى اقاصي البلدان " (٥)

---

(١) دمية القصر ١ : ١١٨ (٢) الذخيرة القسم الأول / المجلد الأول ٢٠ـ٢٣
(٣) خريدة القصر/القسم العراقي ١ : ٥ (٤) الثعالبي ناقدا واديبا ٩٠ (٥) اليتيمة ١ : ١٨

مكانة اليتيمة الادبية وآراء النقاد فيها :

لم يكن الثعالبي هو الوحيد الذى حدثنا عن قيمة كتابه حين لمس الشهرة التى طارت له ، فقد ذكر ياقوت الحموي [١] أنه رأى نسخة من اليتيمة بيعت بثلاثين دينارا نيسابورية وتحدث باعجاب بالغ عن بعض تراجم اليتيمة . وتابعه على ذلك ابن خلكان [٢] والسبكى [٣] .

أما ابن قاضى شهبة [٤] فيقول : " وكتابه يتيمة الدهر (وتتمة اليتيمة) [٥] من أحسن تصانيفه وقد اشتهرت كثيرا ولابن قلاقس عدة مقاطع فيها منها :

كتاب اشعار اليتيمة * ابكار افكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمة

ويقول أيضا :

حفظ اليتيمة كل من * فى شرقها والمغرب
فشدوت من عجب بها * كم لليتيمة من أب

وقوله :

كتب القريض لآلى * نظمت على جيد الوجود
فضل اليتيمة فيهم * فضل اليتيمة فى العقود

ولم يقتصر الاعجاب باليتيمة على القدماء وحدهم ، فقد اكثر من جاء بعدهم من الحديث عنها والاعجاب بها ، فيذكرون تصانيف الثعالبى الكثيرة ويفضلون اليتيمة بقولهم " ويتيمة الدهر اكبر كتبه واحسنها وفيها يقول ابو الفتح نصر الله بن قلاقس الاسكندرانى " أبيات اشعار اليتيمة ... الخ "

ذكر هذا كل من الدميرى [٦] والحافظ بن كثير [٧] ويعلق محمد كرد على [٨] قائلا :

---

(١) معجم الادباء ١ : ٩٥ر٦ : ٤١ (٢) وفيات الاعيان ١ : ٤٥٤ر٣ : ٥٨ر٤ : ٦٣٦
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٢ر٤٥٩
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ أما الصفدى فقد ذكر الشعر وقال (أبيات) بدلا
(٥) وجدتها كذلك فى المخطوطة المصورة لطبقات النحاة وهذه زائدة .
(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٩ (٧) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ (٨) كنوز الاجداد ٢٣٣

" وماجود الثعالبي هذه الاجادة النادرة في تأليف اليتيمة الا لأنه تصدى لتصنيفها والعمر في اقباله ، ثم تعاورها بالزيادة والنقص الى أوان نضجه واكتماله "

أما الدكتور أحمد مطلوب فقال : " ووقف أحد الادباء الى جانب المتنبي وأنصفه كما انصفه ابن جني ، وذلك الأديب هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الذي وجد الناس قد شرقوا وغربوا في ذكره فمن مادح يرفعه الى السماء وقادح ينزله الى الحضيض ، وقرأ ماكتب عن شعره ونقده فحاول أن يقف موقفا وسطا يوفق بين محاسنه ومساويه ، وكانت دراسته في يتيمة الدهر من أروع ماكتب عن المتنبي واكثر الدراسات تفصيلا " (١)

وهكذا تنطوي اليتيمة على مادة ادبية وافية مما جعل الكتاب والادباء يعتمدون عليها في تواليفهم فمثلا "كتب محمد صدر الدين مؤلفا حديثا عنوانه " سيف الدولة وزمنه " لاهور سنة ١٩٣٠ م ... فصل خصه بالمتنبي ، نجد منه سلسلة من النظرات الاجمالية التي تعتمد على دراسات القرون الوسطى ، وبخاصة يتيمة الدهر للثعالبي " (٢) " وأخذ الشاعر الاديب يوسف البديعي عن كتاب اليتيمة ، في كتابه الذي سماه " الصبح المنبي عن حيثية المتنبي " ، نجد ان قيمة هذا الكتاب عظيمة ، وفي الحقيقة أنه الى جانب الاجزاء التي اخذت من المؤلفات المعروفة كيتيمة الدهر للثعالبي والوساطة للجرجاني وغيرها " (٣) ويقول بلاشير " في هذا العام نفسه ظهرت دراسة تدل على مجهود عظيم للوصول الى تقدير ديوان المتنبي ، ولم يستعن الكاتب بشرح ، بل بكتاب مؤلف شرقي هو " الثعالبي " ، فتحت عنوان (المتنبي وسيف الدولة) ترجم في الحقيقة فصل هذا المؤرخ في " اليتيمة " وأتمه بما وصل اليه المستشرقون " (٤)

وهنا نرى مقدار صدق ماجاء على لسان الاستاذ حسن الأمين في تقديمه كتاب خاص الخاص حين قال " اليتيمة من اشهر الكتب واكثرها فائدة ، وهو مصدر من أهم مصادر الأدب القديم ، ومرجع لكل من يريد البحث والدرس " (٥) ولشمول مادة اليتيمة

---

(١) اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ٢٧١ و ٢٧٢

(٢) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين / بلاشير — ترجمة احمد بدوي ٨١

(٣) المصدر السابق ٣٩ (٤) المصدر السابق ٩٥ (٥) خاص الخاص / تقديم حسن الامين ٥

فان الدارس أو الباحث اذا أراد شيئا عن بيئة الثعالبى وعصره ، وجد كل عناصر بحثه مهيئة ، وكذلك اذا أراد أن يدرس الشعراء من ابناء فارس الذين مهروا فى قرض الشعر العربى على اختلاف بيئاتهم التى نشأوا فيها وجد كل هذا فى اليتيمة يقول الدكتور احمد الخوفى : " وحسبنا أن نردد النظر فى (يتيمة الدهر للثعالبى) لنتعرف عشرات من ابناء الفرس مهروا فى قرض الشعر العربى ، نشأ بعضهم فى ظلال الدولة البويهية فى بغداد والعراق وأواسط فارس ، ونشأ بعضهم فى ظلال الدولة الزيارية بطبرستان ، وعاش آخرون فى رعاية الدولة الساسانية بخوارزم وخراسان . " (١)

ولدى تقسيم الثعالبى الشعراء على حسب اقاليمهم ومناطق بلادهم يكون قد ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل لأنه استطاع ان يربط بين الأدب وبيئته ، يقول الدكتور عمر الدقاق : " أما كتابه " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " فيتمتع بمنزلة خاصة بين كتب الادب والتراجم ، وماذلك الا لتميزه عن سائر الكتب فى موضوعه فى عدد من الخصائص التى انفرد بها ، وأول مايمتاز به الثعالبى فى يتيمة الدهر أنه ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل ، فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وهذا التناول فى الحقيقة أقرب الى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعا لترتيب اسمائهم أو غير ذلك ، لأن صاحب اليتيمة استطاع فى كتابه أن يربط بين الاديب وبيئته ، وهذا مايجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد فى عصرنا هذا . " (٢)

وكانت اليتيمة مصدرا يكاد ينفرد بدقته العلمية فى تراجم ادباء القرن الرابع للهجرة فلو ضاعت لخسر الأدب كثيرا ويؤيد قولنا ماذهب اليه الدكتور زكى مبارك حين قال : " من الذى يستطيع ان يحدد خسارة الأدب لو ضاعت اليتيمة أو ثمار القلوب . " (٣)

وقد لاحظ الدكتور مصطفى الشكعة اهمية اليتيمة وشمولها فقال : " اليتيمة تعتبر اولى طبقات الشعراء ذات الصفة الموسوعية " (٤) وقال ايضا : " أن كتاب اليتيمة قد قارب حد الشمول فى ترجمة شعراء القرن الرابع ... هذا ولا تزال اليتيمة بأجزائها

---

(١) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ٢٠٠ (٢) مصادر التراث العربى ١٥٦
(٣) النثر الفنى ٢ : ١٧٩ (٤) مناهج التأليف عند العلماء العرب ٤٤٨

الاربعة الثمينة ، العمدة لكل من يرغب في تثقيف نفسه في ادبنا في القرن الرابع الهجري ، وقد اعجب بها الادباء والباحثون قديما وحديثا مما جعل أبا القتح الاسكندري يقول فيها : أبيات اشعار اليتيمة ... " (١)

— ٦ —

وليس معنى كل هذا أن اليتيمة لا مآخذ عليها فشأنها شأن أي عمل عظيم لا يمكن أن يبلغ درجة الكمال لكن حسبها أن قاربته .

فمما أخذ عليها ماذكره الدكتور زكي مبارك بعد الاطراء الذي سمعناه منه على الكتاب نفسه حيث يقول : " من أقتل عيوب اليتيمة اغفال الوفيات ، فقد يندر أن يذكر مؤلفه في أي عام مات من يحدثنا عنه ، وفي أي عهد لقيه ؟ ولو أن الثعالبي عنى بتدوين الوفيات لأدى لتاريخ الأدب حقا من أوجب الحقوق " (٢)

وقد لاحظ ذلك جرجي زيدان حيث يقول : " وينتقد على مؤلفه — كتاب اليتيمة أنه اغفل الوفيات فيندر أن يذكر سنة الوفاة أو الولادة وانما هو مقصور على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الأخبار . " (٣)

وانطلق الدكتور طه حسين من هذا المنطلق في تقديمه لكتاب (الذخيرة) فأشار الى عدم دراسة الثعالبي حياة من وردت تراجمهم في اليتيمة لبيان اثرها في أدبهم ونعى على الثعالبي اكتفاءه بالاطراء الذي لا غناء فيه بعد أن نعت مؤلف الذخيرة بالسذاجة لأنه صرح بأن جعل أبا منصور الثعالبي قدوة له في تأليفه للذخيرة " (٤)

ويبدو أن هؤلاء الذين عابوا على اليتيمة اغفالها الوفيات ودراسة حياة من ترجم لهم صاحب اليتيمة ينظرون اليها وكأنها كتاب في تاريخ الأدب لكنها ليست كذلك بقدر ما هي كتاب في الادب نفسه ، ثم ان المؤلف ذكر في يتيمته تراجم شعراء عصره أي شعراء القرن الرابع الهجري ، فحصر من ترجم لهم سنوات محدودة ومعدودة ، فليس منهم من عاش في الجاهلية أو في صدر الاسلام حتى يكون من الواجب عليه أن يحدد تاريخ وفاته . وهذا هو مايشفع للثعالبي في هذا التقصير الذي أخذ عليه .

---

(١) المصدر السابق ٤٤٩ (٢) النثر الفني ٢ : ١٩٠
(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة / مقدمة المحقق ج

ونرى بعض الادباء عند مقارنة (الذخيرة) باليتيمة يمدحون اليتيمة تارة ويعيبونها تارة أخرى ، من أمثال الدكتور طه حسين والاستاذ علي أدهم ، وقد مر بنا ماقاله طه حسين ، أما علي أدهم فيقول : " وظاهر من طريقة تنسيق كتاب الذخيرة ، ومن بعض عباراته الصريحة ، واشاراته الواضحة أن المؤلف قد اتخذ الثعالبي صاحب اليتيمة قدوة له واماما فجرى على خطته ، وسار على منهجه ، واصطنع السجع كما اصطنعه الثعالبي ، واحتفل وتأنق في تقديم الكتاب والشعراء ، والاشارة الى محاسنهم ، والتنويه ببراعتهم احتفال الثعالبي وتأنقه في الحديث عن شعراء اليتيمة وكتابها والاشادة بذكرهم ، وقد كان الثعالبي مؤلفا بارعا له كتب كثيرة في موضوعات مختلفة جزيلة الفائدة ، تدل على تمكنه ، وتنم على حياة اوقفت على البحث والتصنيف ، • وأما ابن بسام فاني لا أعرف له غير كتاب الذخيرة ، والظاهر أنه استغرق جهده ، واستأثر بوقته •••• ويبدو لي أن الثعالبي كان على فضله وعلمه وسعة اطلاعه اكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام ، وانه كثيرا مايخدعه البهرج ، ويحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، وأما ابن بسام فانه نافذ النظر ، سليم الذوق ، بارع الناقدة ، دقيق الملاحظة ، لا يخدعه الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الألفاظ الضخمة المدوية أو الطنطنة العالية • " (١)

وقد سبق لي التعليق على رأى طه حسين عندما فضل ابن بسام في ذخيرته على الثعالبي في يتيمته لا لشيء الا ان الثعالبي اكثر خضوعا لأحكام القدماء ، أما ابن بسام فقدها جم الشعر الجاهلي ، فأصبح نافذ النظر ، سليم الذوق عند كل من طه حسين وعلى أدهم ، على أنه لا تجوز المقارنة بين اليتيمة والذخيرة التى ألفت بعدها بمائة وخمسين سنة ، فقد كان لهذه المدة الطويلة اثرها في تطور التأليف وكفى الثعالبي فخرا أنه مهد الطريق أمام ابن بسام وغير ابن بسام لدراسة الادب من خلال دراسة البيئة •

ومن المآخذ على الثعالبي ميله الى الالفاظ الضخمة والطنطنة العالية وتفضيله السجع والعبارات الرنانة على التحليل النفسي للشاعر : كما يقول الاستاذ احمد امين : " والكتاب — (يعني اليتيمة) — مملوء بتراجم الشعراء في كل عصر ، ولكنه مع الأسف

---

(١) بعض مؤرخي الاسلام ٩٩

عنى بالبديع اللفظى اكثر من عنايته بالتحليل النفسى " (١)

أما مايؤخذ عليه من تفضيله السجع فشفيع الثعالبى ان السجع كان طابع النثر الأول فى القرن الرابع حيث كان الكتاب يلتزمونه التزاما ، وسجع الثعالبى فى اليتيمة على كل حال مقبول " (٢)

وأما ماأخذ عليه من قلة العناية بالتحليل النفسى فالاستاذ احمد امين نفسه يتدارك الأمر بعد أن يأسف على عناية الثعالبى بالبديع اللفظى اكثر من عنايته بالتحليل النفسى فيقول : " وعلى كل حال عنى شعراء هذا العصر بالتشبيهات والاستعارات اكثر مما عنوا بجدة المعنى " (٣)

ومن المآخذ ماذكره الاستاذ حنا فاخورى الذى قال : " أما طريقته فقد نزع فيها نزعة الايجاز واقتصر فى اكثر الاحيان على ذكر مقام الشاعر الادبى فى اسلوب مسجع ، وعلى ايراد بعض شعره " (٤)

ويبدو لى أن الاستاذ حنا نسى أو تناسى أن الثعالبى قام بجهد جبار فى ترجمته لحشد ضخم لا يستهان به من الشعراء والكتاب المغمورين فاوجز ترجمتهم ولكن ذلك لم يمنعه من تناول المشهورين من الادباء بالشرح المستفيض والدراسة الطويلة فقد دونت عدد الصفحات التى كتبها عن كل من هؤلاء المشهورين ومن المآخذ على اليتيمة ماقاله كل من الدكتور زكى مبارك والدكتور الغناوى الزهيرى حيث قال زكى مبارك : " الثعالبى فى اليتيمة مفتون بالاسراف فى اطراء من يتحدث عنهم من مشاهير الرجال ، وله فى ذلك تعابير تكاد تكون واحدة يدور بها هنا وهناك فأبو على الزوزنى الكاتب " يغرس الدر فى أرض القراطيس ، وينشر عليه أجنحة الطواويس " " وابو الفرج الببغاء " ظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، له كلام ، بل مدام ، بل نظام من الياقوت بل حب الغمام " وأبو القاسم الاسكافى .

" لسان خراسان وغرتها وعينها وواحدها ، وأوحدها فى الكتابة والبلاغة ومن لم تخرج

---

(١) ظهر الاسلام ٢ : ١٠٢

(٢) النثر الفنى ٢ : ١٨٧

(٣) ظهر الاسلام ٢ : ١٠٢

(٤) تاريخ الأدب العربى ٧٥٤

مثله في البراعة والصناعة . " وبديع الزمان " نادرة الفلك ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس " وعبد الرحمن الشيرازي " روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب " (١)

وقال الدكتور الفناوي الزهيري : " أوصاف الشعراء والكتاب في كتاب كاليتيمة قد تشابهت والتبست وعميت لأن المؤلف أسرف في اسجاعه ومبالغاته واستعاراته ومجازاته فكان من أجل ذلك اكثر ادباء اليتيمة : افرادا ودررا وصدورا وغررا ونوادر ، فابن العميد : " عين المشرق ، وأوحد العصر في الكتابة ، والضارب في الأداب بالسهام الفائزة " والصاحب بن عباد : " صدر المشرق وتاريخ المجد وغرة الزمان ، ونادرة عطارد في البلاغة " والجرجاني : " فرد الزمان ونادرة الفلك ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر . " والهمذاني " نادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر " والخوارزمي : " باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النظم والنثر . " وعلى هذا النحو يمضي في سرد تراجم الكتاب والشعراء في كتابه " (٢)

أما ان الثعالبي مفتون بالاسراف في اطراء من يتحدث عنهم من مشاهير الرجال فشأنه في ذلك شأن معظم كتاب عصره الذين ترجم لهم في يتيمته . فلا غرو أن يسري هذا الذوق الى المؤلفين فيسيطر على لغة التأليف ، كما رأينا في هذا الكتاب حيث كان المؤلفون ينحون في كتبهم نحو الادباء في كتاباتهم من حيث العناية بالحلية اللفظية والمبالغات ؛

" ومع أن الثعالبي يميل الى الطنطنة في التعريف بالكتاب والشعراء ، فانه لا يلتزم هذه الخطة ، وانما يعود اليها في الحين بعد الحين . " (٣)

بقي علينا أن تشير الى مأخذ آخر للدكتور مصطفى الشكعة عندما لاحظ " تقصير الثعالبي في اغفاله بعض الاعيان وهكذا تبقى اليتيمة مع كل ما قيل فيها ، العمدة لكل أديب وباحث ، وهي خير ما وصل الينا من كتب تراجم الادباء من حيث منهجها وشمولها وفائدتها لكل من يدرس الأدب منذ تأليفها الى يومنا هذا .

---

(١) النثر الفني ٢ : ١٨٨ (٢) الأدب في ظل بني بويه ٢٥٣

(٣) النثر الفني ٢ : ١٨٩

:: خاتمة البحث ::

هكذا درست الثعالبي ، وعشت معه ، وصحبته في هذه الرحلة التي يمكن أن ألخصها وابرز نتائجها فيما يلي :

أولا : صورت عصره تصويرا سياسيا واجتماعيا وثقافيا وربطت بين ظروف هذا العصر وأدب الثعالبي .

ثانيا : كشفت عن حياته وثقافته ومواهبه ، وحققت تاريخ وفاته من بين شتى الروايات المختلفة ، ورجعت الى مصادر ثقافته ، واستظهرت عوامل نبوغه .

ثالثا : جمعت المتفرق من شعره في شتى المصادر والمراجع ، وصنفته وقومته تقويما فنيا مبينا خصائصه التعبيرية والأدبية معتمدا في ذلك على اجتهادى الخاص ، وتذوقى لهذا الشعر .

رابعا : تتبعت كتابته النثرية في مؤلفاته ورسائله وعرضت نماذج متعددة منها مبينا اغراض نثره ، ثم قومت هذا النثر على اختلاف فنونه تقويما فنيا موضحا خصائصه وطرائقه بحيث اكدت ماقيل عنه بحق (انه جاحظ نيسابور .)

خامسا : درست آراءه النقدية دراسة تفصيلية مستوعبة ، وكشفت فيها عن القضايا النقدية التي تعرض لها ، وعن آرائه في الادباء والشعراء ونقده لهم مثل المتنبي والسرى الرفاء والصاحب بن عباد وغيرهم .

وبسطت القول في ذلك بسطا وافيا مدعما بالأمثلة والشواهد الكثيرة .

سادسا : عرضت لآراء النقاد قديما وحديثا في الثعالبي ، وموقفهم من أدبه و نقده ، وناقشت آراءهم ، ووقفت كثيرا عند كل رأى واستوعبت كل ماقاله النقاد فيه مدحا أو ذما ، بحيث كان هذا الفصل صورة كاملة لكل مادار حول الثعالبي من آراء ودراسات ، تصور لنا مكانته الادبية والنقدية .

سابعا : عرضت لمؤلفات الثعالبي بصفة عامة ، متتبعا لكل المصادر التي ذكرت اسماء مؤلفاته ، واستخلصت من ذلك كله عدد هذه المؤلفات التي اختلف المؤرخون

حول اسمائها وعددها ٠

ثامنا : خصصت أشهر مؤلفات الثعالبى فى الأدب بدراسات مستفيضة وافية مثل كتاب خاص الخاص ، وكتاب لطائف المعارف ، وكتاب التمثيل والمحاضرة ، وكتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، وكتاب يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر ٠ حيث حققت اسم كل كتاب ومخطوطاته ومطبوعاته ، واوضحت موضوعه وفصلت أبوابه وفصوله ، وكشفت عن منهج الثعالبى فيه مستعينا بالأمثلة والشواهد الكثيرة التى تضمنها كل كتاب ، وموضحا آراء النقاد فيه مع مناقشتى لهذه الآراء ، مما يعطى صورة كاملة واضحة عن كل كتاب من هذه الكتب وقيمته الادبية وما تضمنه من موضوعات ٠

تاسعا : على هذا النحو درست الثعالبى من كل جوانبه وأوضحت شخصية هذا الكاتب الشاعر الناقد الفذ الذى يعد ذخيرة من ذخائر تراثنا الأدبى ، ويستطيع القارئ أن يلمس بنفسه ما بذلته من جهد ، وما عانيته من مشقة فى الرجوع الى مصادره الكثيرة ، وفى جمع تراثه العظيم ، وفى دراستى الشخصية لأدبه وتقويمه ، وفى مناقشتى لكل رأى مناقشة تقوم على التجرد والاستقلال ، وفى استيعابى لكل ما أثير حوله من نقد وما دار من آراء ٠

ولعلى بهذا قد وفقت الى اضافة جديدة الى تراثنا العربى فى مجال الدراسات الأدبية ٠ وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب ٠

* * *

:: فهـرس المراجع ::

١ — اتجاهات النقد الادبى فى القرن الرابع للهجرة — الدكتور أحمد مطلوب — وكالة المطبوعات — الكويت — ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م ٠

٢ — اجناس التجنيس — الثعالبى — (مخطوط) ضمن مجموع خطى برقم (٣٦٣) فى مكتبة الاسكوريال ٠

٣ — أحسن ماسمعت — الثعالبى — تصحيح محمد صادق عنبر — مطبعة الجمهور القاهرة — ١٣٠٤ هـ ٠

٤ — احكام صنعة الكلام — الكلاعى (القرن السادس الهجرى) — تحقيق محمد رضوان الداية — مطبعة الثقافة — بيروت — ١٩٦٦ م ٠

٥ — الادب فى ظل بنى بويه — الدكتور محمود غناوى الزهيرى — مطبعة الامانة مصر — ١٣٦٨ هـ ٠ ١٩٤٩م ٠

٦ — ارشاد الاريب الى معرفة الاديب — ياقوت الرومى — (٦٢٦ هـ) — مطبعة هندية بالموسكى — مصر — ١٩٢٣م ٠

٧ — الاعجاز والايجاز — الثعالبى — تقديم اسكندر آصاف — مكتبة دار البيان بغداد ودار صعب — بيروت ٠

٨ — الاعلام — خير الدين الزركلى — مطبعة كوستاتوماس — القاهرة ١٩٥٩ م ٠

٩ — الاقتباس من القرآن الكريم — الثعالبى — (مخطوط) بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مصورة عن نسخة (سليم أغا ١١٢) ٠

١٠ — اكتفاء القنوع بما هو مطبوع — جمعه ادوارد فنديك — صححه السيد محمد البيلاوى — مطبعة الهلال — القاهرة ١٨٩٦ م ٠

١١ — الامثال — الثعالبى — مطبعة دار الكتب العربية الكبرى — مصر — ١٣٢٧ هـ ٠

١٢ — الانساب — السمعانى (٥٦٢ هـ) تصحيح الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلى العثمانية — حيدر أباد — ط ١ — ١٣٨٣ هـ ٠

١٣ — أنوار الربيع فى أنواع البديع — على صدر الدين بن معصوم المدنى — تحقيق شاكر هادى شاكر — مطبعة النعمان — النجف — العراق ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

١٤ ــ ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ــ اسماعيل البغدادى ــ مطبعة وكالة المعارف ــ استنبول ــ ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥م ٠

١٥ ــ البداية والنهاية ــ الحافظ بن كثير ــ مكتبة المعارف ــ بيروت ــ ١٩٦٦م ٠

١٦ ــ بديع القرآن ــ ابن ابى الاصبع المصرى (٦٣٥ هـ) تحقيق حفنى محمد شرف ــ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٧م ٠

١٧ ــ برد الاكباد فى الاعداء ــ الثعالبى ــ ضمن مجموعة (خمس رسائل) ــ مطبعة الجوائب ــ القسطنطينية ١٣٠١ هـ ٠

١٨ ــ بعض مؤرخى الاسلام ــ على أدهم ــ مكتبة نهضة مصر بالفجالة (بدون تاريخ)

١٩ ــ تاريخ آداب العرب ــ مصطفى صادق الرافعى ــ مطبعة الاستقالمة ــ مصر ١٣٥٩ هـ ــ ١٩٤٠م ٠

٢٠ ــ تاريخ آداب اللغة العربية ــ جرجى زيدان ــ مكتبة الحياة ــ بيروت ١٩٦٧م ٠

٢١ ــ تاريخ الادب العربى ــ حنا فا خورى ــ المطبعة البوليسية ــ ١٩٥١م ٠

٢٢ ــ تاريخ الادب العربى ــ الاعصر العباسية ــ الدكتور عمر فروخ ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨م ٠

٢٣ ــ تاريخ الادب العباسى : رينولد (أ) نكلسون ــ ترجمة صفاء خلوصى ــ بغداد ــ المكتبة الاهلية ١٩٦٧م ٠

٢٤ ــ تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ــ ادوارد براون ــ ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربى ــ مطبعة السعادة ــ مصر ــ ١٩٥٤م ٠

٢٥ ــ تاريخ النقد الادبى عند العرب ــ الدكتور احسان عباس ــ مطبعة دار الامانة ومؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١م ٠

٢٦ ــ تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ــ الدكتور محمد زغلول سلام ــ مطبعة دار المعارف ــ مصر (بدون تاريخ) ٠

٢٧ ــ تتمة اليتيمة ــ الثعالبى ــ تحقيق عباس اقبال ــ مطبعة فردين ــ طهران ــ ١٣٥٣ هـ ٠

٢٨ ـ تحسين القبيح وتقبيح الحسن ـ الثعالبي ـ (مخطوط) مصور في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (فيض الله ٢١٢٣) .

٢٩ ـ تحفة الوزراء ـ الثعالبي (مخطوط) ـ مصور بمكتبة الجامعة المركزية بغداد ـ برقم (أ ح ١٤٦) عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس (٤٨٢) .

٣٠ ـ التمثيل والمحاضرة ـ الثعالبي ـ تحقيق عبد الفتاح الحلو ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م .

٣١ ـ تيارات ثقافية بين العرب والفرس ـ الدكتور احمد الحوفي ـ مطبعة نهضة مصر بالفجالة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

٣٢ ـ الثعالبي ناقداً وأديبا ـ محمود الجادر ـ دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م .

٣٣ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م .

٣٤ ـ الحياة الادبية في الاندلس والعصر العباسي الثاني ـ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة الجامعة الازهرية بميدان الازهر الشريف (بدون تاريخ) .

٣٥ ـ حياة الحيوان الكبرى ـ الدميري (٨٠٨ هـ) ـ مطبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ١٣٩٢ هـ .

٣٦ ـ خاص الخاص ـ الثعالبي ـ تصحيح محمود السمكري ـ مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ ، نسخة أخرى ـ تقديم حسن الامين ـ دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦م .

٣٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ القسم العراقي ـ عماد الدين الاصبهاني (٥٩٧ هـ) تحقيق محمد بهجة الاثري والدكتور جميل سعيد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ و ١٩٦٤م .

٣٨ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عبد القادر بن عمر البغدادي ـ القاهرة مطبعة بولاق ١٢٢٩ هـ .

٣٩ — دائرة المعارف الاسلامية — مترجمة — مراجعة وزارة المعارف العمومية — مصر ١٩٣٣م ٠

٤٠ — دراسات فى فقه اللغة — الدكتور صبحى الصالح — مطبعة المكتبة الاهلية — بيروت (بدون تاريخ) ٠

٤١ — دمية القصر وعصرة أهل العصر — الباخرزى — مطبعة دار الفكر العربى — تحقيق عبد الفتاح الحلو ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨م ٠ ونسخة ثانية شرح الطباخ ٠

٤٢ — ديوان الصاحب بن عباد — تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين — مطبعة المعارف — بغداد ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥م ٠

٤٣ — ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين — بلاشير — ترجمة أحمد أحمد بدوى — ط ١ — مطبعة نهضة مصر — (بدون تاريخ) ٠

٤٤ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة — ابن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) — تحقيق لجنة برئاسة الدكتور طه حسين ٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥م ٠

٤٥ — ذيل زهر الاداب — لابى اسحق الحصرى — مطبعة الرحمانية — مصر — (بدون تاريخ) ٠

٤٦ — روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات — محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصبهانى (١٣١٣ هـ) تحقيق أسد الله اسماعيليان — مطبعة مهر استوار طهران — ١٣٩٢ هـ ٠

٤٧ — ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا — شهاب الدين أحمد الخفاجى — القاهرة المطبعة العثمانية ١٣٠٦ هـ ٠

٤٨ — زهر الآداب — لابى اسحاق الحصرى — ط ٤ — مطبعة دار الجيل — بيروت ١٩٧٢م ٠

٤٩ — سجع المنثور — للثعالبى — (مخطوط) — مصور بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (أحمد الثالث ٢٣٣٧) ٠

٥٠ — سحر البلاغة وسر البراعة — للثعالبى — تحقيق أحمد عبيد — ط ١ — مطبعة

الترقى ــ دمشق ــ (بدون تاريخ) ٠
٥١ ــ شذرات الذهب ــ عبد الحي بن العماد الحنبلي ــ مكتبة القدس بجوار الازهر ــ مصر ١٣٥٠ هـ ٠
٥٢ ــ الشعر فى ظل سيف الدولة ــ الدكتور درويش الجندى ــ ط ١ ــ مكتبة الانجلو مصرية ــ ١٩٥٩ م ٠
٥٣ ــ الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ــ الدكتور بدوى طبانة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ــ ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣م ٠
٥٤ ــ صبح الاعشى فى صناعة الانشا ــ القلقشندى ــ (٨٢١ هـ) ــ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ــ كوستاتوماس وشركاه (بدون تاريخ) ٠
٥٥ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ السبكى (٧٧١ هـ) ــ مصطفى البابى الحلبى ــ مصر ــ ١٩٦٥م ٠
٥٦ ــ طبقات النحاة واللغويين ــ ابن قاضى شهبة الاسدى ــ (٨٥١ هـ) ــ مخطوط مصور عن نسخة الظاهرية ــ فى قسم المخطوطات ــ بجامعة الكويت ٠
٥٧ ــ ظهر الاسلام ــ أحمد أمين ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٥٢م ٠
٥٨ ــ العبر فى خبر من غبر ــ الحافظ الذهبى ــ تحقيق فؤاد سيد ــ دائرة المطبوعات والنشر ــ الكويت ــ ١٩٦١م ٠
٥٩ ــ عيون التواريخ : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى (٦٨١ ــ ٧٦٤ هـ) ٠
٦٠ ــ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ــ الثعالبى ــ تقديم مجتبى مينوى ــ مطبعة مكتبة الاسدى ــ طهران ــ ١٩٦٣م ٠
٦١ ــ فقه اللغة وسر العربية ــ الثعالبى ــ تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ــ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ــ مصر ــ ط ٢ ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤م ٠
٦٢ ــ فقه اللغة وخصائص العربية ــ محمد المبارك ــ مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٦٤م ٠

٦٣ ـ الفن ومذاهبه فى النثر العربى ـ الدكتور شوقى ضيف ـ ط ٢ ـ دار الغد للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٥٦م .
٦٤ ـ فهرس المخطوطات المصورة ـ فؤاد سيد ـ معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ١٩٥٤م .
٦٥ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب ـ فؤاد سيد ـ مطبعة دار الكتب ـ ١٣٨٠ هـ ١٩٦١م .
٦٦ ـ فوات الوفيات ـ لابن شاكر الكتبى (٧٦٤ هـ) ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م .
٦٧ ـ الكامل فى التاريخ ـ ابن الاثير (٦٣٠ هـ) دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦م .
٦٨ ـ كتاب ابى نصر : تأليف أبى نصر أحمد بن عبد الرازق المقدسى ـ القاهرة المطبعة الوهبية ـ ١٢٩٦هـ .
٦٩ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ـ حاجى خليفة ـ مطبعة وكالة المعارف ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م .
٧٠ ـ الكناية والتعريض ـ الثعالبى ـ دار صعب بيروت ـ ١٩٧١م ـ (ضمن رسائل الثعالبى) .
٧١ ـ كنوز الاجداد ـ محمد كرد على ـ مطبعة الترقى ـ دمشق ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠م .
٧٢ ـ الكنى والالقاب ـ الشيخ عباس القمر ـ مطبعة الحيدرية فى النجف : العراق ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦م .
٧٣ ـ لطائف المعارف ـ الثعالبى ـ تحقيق ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى ـ دار احياء الكتب العربية ـ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .
٧٤ ـ اللطائف والظرائف ـ ابو نصر المقدسى (معاصر الثعالبى) وهو الكتاب الحاصل من جمع كتابين للثعالبى هما (الظرائف واللطائف) و (اليواقيت والمواقيت) فى كتاب واحد ـ المطبعة الوهبية ـ مصر ١٢٩٦ هـ .
٧٥ ـ اللطف واللطائف ـ الثعالبى (مخطوط) فى مكتبة الاسكوريال ضمن مجموع برقم (٣٦٣) .

٧٦ _ المبهج _ الثعالبي _ مطبعة النجاح _ مصر ١٩٠٤م ٠
٧٧ _ المتشابه _ الثعالبي _ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي _ العراق ١٣٨٦ هـ
٧٨ _ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : تأليف أبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني / مطبعة جمعية المعارف ١٢٨٧ هـ ٠
٧٩ _ المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام _ أنور الجندي مطبعة الرسالة ١٨٤٠ هـ _ ١٩٤٠م ٠
٨٠ _ المختصر في اخبار البشر _ لابي الفدا _ ط ١ _ مطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٥ هـ ٠
٨١ _ مخطوطات جامعة الرياض المصورة _ يحيى ساعاتي وزميلاه _ ١٩٧٣م ٠
٨٢ _ مرآة المروءات _ الثعالبي _ على نفقة أحمد أفندي _ الترقي _ مصر ١٨٩٨م ٠
٨٣ _ المراجع العربية و المعربة _ عبد الجابر عبد الرحمن _ دار الطباعة الحديثة البصرة _ ١٩٧٠م ٠
٨٤ _ مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والادب _ الدكتور عمر الدقاق حلب _ ١٩٦٨م ٠
٨٥ _ معاهد التنصيص _ عبد الرحيم العباسي (٩٦٣ هـ) تحقيق ابراهيم الدسوقي دار الطباعة _ مصر _ ١٢٧٤ هـ ٠
٨٦ _ معجم الادباء _ ياقوت الحموي الروحي _ الطبعة الاخيرة _ مطبعة دار المأمون ٠
٨٧ _ معجم البلدان _ ياقوت الحموي الرومي البغدادي _ ط ١ _ مطبعة السعادة مصر ١٣٢٣ هـ ١٩٠٦م ٠
٨٨ _ معجم المطبوعات العربية والمعربة _ يوسف اليان سركيس _ مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨م ٠
٨٩ _ معجم المؤلفين _ عمر رضا كحالة _ مطبعة الترقي _ دمشق _ ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م ٠
٩٠ _ مفتاح السعادة ومصباح السيادة _ احمد بن مصطفى المشهور بـ(طاشي

كبرى زادة) — تحقيق كامل كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور — مطبعة الاستقلال الكبرى — مصر — ١٩٦٨م .

٩١ — مناهج التاليف عند العلماء العرب — قسم الادب — الدكتور مصطفى الشكعة دار العلم للملايين — بيروت ١٩٧٣م .

٩٢ — مناهج الدراسة الادبية — الدكتور شكرى فيصل — مطبعة دار الهنا بشارع الصحافة — بولاق — القاهرة — ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣م .

٩٣ — المنتحل — للثعالبى — تصحيح أحمد أبو على — المطبعة التجارية — الاسكندرية ١٩٠١م .

٩٤ — من غاب عنه المطرب — للثعالبى — تصحيح محمد بن سالم اللبابيدى — بيروت — المطبعة الادبية — ١٣٠٩ هـ .

٩٥ — الموسوعة العربية الميسرة — باشراف محمد شفيق غربال — دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٥ م .

٩٦ — النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى — الدكتور زكى مبارك — مطبعة دار الكتب — مصر — ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٤م .

٩٧ — نثر النظم وحل العقد — للثعالبى — دمشق ١٣٠١ هـ . (بالاوفسيت) ، دار صعب — بيروت ١٩٧١م .

٩٨ — نزهة الالبا : لابى البركات كمال الدين الانبارى (٥٥٧ هـ) مطبعة نهضة مصر (دون تاريخ) .

٩٩ — نسيم السحر — للثعالبى — تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين — ونسخة أخرى تحقيق الدكتوره ابتسام مرهون الصفار — مجلة المورد — العدد الاول والثانى — المجلد الاول ١٩٧١م .

١٠٠ — نظرات جديدة فى تاريخ الادب — أحمد لواسانى — بيروت ١٩٧١م .

١٠١ — نظرة تاريخية فى حركة التأليف عند العرب — الدكتور امجد الطرابلسى مطبعة الجامعة السورية — دمشق ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥م .

١٠٢ ـ النقد المنهجي عند العرب ـ الدكتور محمد مندور ـ مطبعة نهضة مصر الفجالة ـ القاهرة ١٩٤٨م ٠

١٠٣ ـ نهاية الارب فى فنون الادب ـ شهاب الدين النويرى ـ مطابع كوستا تسوماس وشركاه ـ القاهرة (دون تاريخ) ٠

١٠٤ ـ هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادى ـ استانبول ١٩٥١م ، أعادت طبعة بالاوفسيت مكتبة المثنى ـ بغداد ٠

١٠٥ ـ الوافى بالوفيات ـ خليل الصفدى (٧٦٤ هـ) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم برقم (٥٦٥ أحمد الثالث) رقم المخطوط ١٩/٢٩٢٠ فى معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ٠

١٠٦ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ الجرجانى ـ (٣٩٢ هـ) تحقيق أبوالفضل ابراهيم ومحمد على البجاوى ـ البابى الحلبى ـ مصر ـ ١٩٦٦م ٠

١٠٧ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان (٦٨١ هـ) ـ تحقيق الدكتور احسان عباس ـ مطبعة دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨م ٠

١٠٨ ـ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ـ الثعالبى ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م ٠ ودار الفكر بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ٠ والطبعة الاولى بتحقيق محى الدين) بجامعة الازهر سنة ١٩٤٧م ٠

١٠٩ ـ اليمينى فى أخبار السلطان ابى القاسم يمين الدولة محمود بن ناصر الدين ابن منصور سبكتكين تأليف محمد بن عبد الجبار العتبى (٤٢٧ هـ) (تاريخ ٢٨٣٨) فى دار الكتب ٠

* * *

:: المجـــلات ::

١ — مجلة كلية الاداب — بغداد — العدد ١٤ — المجلد الثانى ١٩٧٠ — ١٩٧١م ٠

٢ — مجلة لغة العرب — العددان السادس والعاشر لسنة ١٩٢٨م والعـدد الثانى لسنة ١٩٢٩م ٠

٣ — مجلة المشرق — بيروت — المطبعة الكاثوليكية — السنة الثالثة — العـدد الاول — ١٩٠٠ م ٠

٤ — مجلة المورد — العددان الاول والثانى من المجلد الاول لسنة ١٩٧١م والعدد الاول من المجلد السادس لسنة ١٩٧٧م ٠ وتصدرها وزارة الاعلام فى الجمهورية العراقيـة ٠

* * *

:: فهـــرس الموضوعات ::